العدد ٨ من السنة الثانية — رجب سنة ١٣٦٠ — أغسطس سنة ١٩٤١

مجلة الشؤون الاجتماعية

تصدر لها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(بالمجان)

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

		صفحة
وزارة الشؤون الاجتماعية		٣
صوت الشعب وصوت النائب	الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظه	٧
عمد عمارات الاسكندرية	محمد عبد الجليل أبو سمره باشا	١٢
أساس النهضة النسائية وتطوراتها في مصر	هدى هانم شعراوي	١٦
تطور التقاليد وتطور التفكير	علي جمال الدين باشا	٢٥
التضامن الاجتماعي		٢٩
تطور الملابس	محمود حسيب بك	٣٣
اعطني جيشا قويا		٣٩
ملائكة الرحمة	الدكتورة نعيمة الأيوبي	٤٢
كيف يتعاون الجمهور على مكافحة الغلاء المصطنع	محمد صلاح الدين بك	٤٥
عالم جديد	الأستاذ سيد قطب	٥٢
مكافحة الحفاء في الريف	الدكتور احمد حسين	٥٨
البيت نواة المجتمع		٦٢
الفن في الصناعة المصرية	الأستاذ سلامه موسى	٦٥
لا نزال في حاجة إلى الكلام		٦٨
واجبنا في مواجهة العاديات	الأستاذ محمد زكي عبد القادر	٧٠
السجن تأديب وإصلاح وتهذيب	الأستاذ عريان يوسف سعد	٧٣
مقومات المجتمع المصري	الأستاذ س . ق	٧٦
الفلاح في القرية والعامل في المدينة		٨٠
القيمة النفسية والخلقية للألعاب الرياضية	الأستاذ س . م	٨٣
حياتنا العامة ينقصها النظام	الأستاذ علي حسني ابراهيم	٨٦
كتب الأطفال		٩١
تربية الذوق		٩٤
معالجة الإجرام		٩٨
المعدة	الأستاذ صاع ميخائيل	١٠١
المعدة محور الرقي القومي		١٠٣
محمد علي ومناقشاته		١٠٦
الفيتامينات وأهميتها في التغذية	الدكتور أحمد كرم	١٠٨
متفرقات اجتماعية		١١٣

(حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه وزير الشؤون الاجتماعية)

وزارة الشؤون الاجتماعية
فى مجلس النواب

نقتبس فيما يلى بعض ما جاء فى البيان الذى ألقاه حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة وزير الشؤون الاجتماعية على حضرات النواب فى جلسة ٧ يوليه سنة ١٩٤١ عند عرض ميزانية هذه الوزارة على المجلس :

حضرات النواب المحترمين :

صدر المرسوم الملكى الكريم منذ سنة و بضعة شهور بإنشاء وزارة تهيمن على الشؤون الاجتماعية وتجمع أشتاتها ، وتنسقها فى وحدة واحدة بعد أن كانت تابعة لوزارات شتى لتبلغ بها البلاد ما ترجوه من خير ورقى، فلا بد اذن من فترة تنقضى فى الإعداد والتمهيد، والتنسيق والبحث ، خشية التورط والاندفاع فى خطة ارتجال سريع لا تؤمن عواقبه .

وإذا لوحظ أن عملا جليلا كهذا يحتاج إلى موظفين، بل إلى طراز خاص من الموظفين وأضيف إلى ذلك ما فرض على الوزارة بحكم الظروف التى نشأت فيها ، من أن إنشاءها يجب ألا يكلف الخزانة العامة نفقات جديدة ، إذا لوحظ كل هذا، تبين لكم مبلغ ما لقيته الوزارة من الصعوبات فى مرحلتها الأولى، وتيسر لحضراتكم أن تقتنعوا بأنها وفقت إلى جعل هذه المرحلة قصيرة جدا بجانب أهميتها والعقبات التى صادفتها .

إنكم يا حضرات النواب أعرف الناس بحقيقة المهمة التى عهد بها إلى هذه الوزارة، فإنها جليلة و بطبيعتها دقيقة، لإنها تعتبر بحق فى حياة هذه الأمة شيئا جديدا ، مع أنها تتناول بالعلاج أدواء قديمة، فمن المتعذر أن يدرك الناس أثره كما يدركون نتائج أعمال الوزارات الاخرى، والأمراض الاجتماعية فى مصر قد طال عليها العهد فكادت تصبح من منة مستعصية.

وقد رأت هذه الوزارة أنه لا سبيل إلى الإصلاح الاجتماعى الا بالاتجاه إلى المجتمع نفسه لاقناعه بوجوب تحقيق هذا الإصلاح فتضمن معونته .

ولقد عملت وزارة الشؤون الاجتماعية بتوفيق الله فى سنة و بضعة أشهر على أن توجد فى مصر جوا صالحا للتفكير فى الإصلاح الاجتماعى والإيمان به والمعاونة عليه .

وإنكم لترون ذلك فى انتشار الجمعيات والهيئات المشتغلة بالإصلاح الاجتماعى وفى تسابق الخطباء والمحاضرين إلى المنابر وقاعات المحاضرات يلقون فيها التعاليم الاصلاحية النافعة ، وفى اهتمام الصحف والمجلات بهذه الشؤون، وفى تحول أئمة المساجد وخطبائها إلى الناحية

الاجتماعية فى الدروس والعظات، وفى انصراف الشبان عن المجادلات العقيمة إلى المناقشات التى تمس شؤون الأسرة والعامل والفلاح .

حضرات النقباء المحترمين :

لو لم يكن من عمل لوزارة الشؤون الاجتماعية فى السنة الأولى من حياتها إلا تنبيه الشعور الاجتماعى فى الأفراد والهيئات من جميع الطبقات ، لكان ذلك وحده دليلا على أنها جديرة بالآمال المعقودة عليها .

ولكن الوزارة الناشئة قامت أيضا بأعمال ذات أثر مباشر فى خدمة المجتمع المصرى الذى أنشئت لخدمته .

وكان أول ما وجهت إليه اهتمامها تحسين حال الفلاح والعامل لأنهما عدة البلاد فى الإنتاج الزراعى والصناعى .

أما " الفلاح " فقد وضعت لتحسين حاله مشروع المراكز الاجتماعية ، وقد عرض على على حضراتكم فى العام الماضى فرحبتم به ، وأقررتم الاعتماد الذى أرصد لتنفيذه .

وإذا كانت الظروف القاهرة قد أكرهت الحكومة على وقف التصرف فى هذا الاعتماد أو بعضه، مما اضطرت معه الوزارة الى الابطاء فى ابراز المشروع، فقد استطاعت أخيرا أن تحققه بإنشاء بضعة مراكز وضعت فعلا الحجر الأساسى لها ، وهى ماضية فى اتمامها مضيها فى انشاء غيرها بجهات أخرى على توالى السنين وفى حدود ما يمكن أن تسخو به ميزانية الدولة، وقد وصلتنا الأدوية الضرورية لثلاثة مراكز أمس من وزارة الصحة ، فبدأ العمل اليوم فى المراكز الثلاثة فى " برما " بالغربية و " هلا " بالدقهلية و " منية الحيط " بالفيوم .

وأما " العمال " فقد وضعت الوزارة مشروعا لإنشاء مراكز اجتماعية لهم أيضا ، ولكن وقف التصرف فى الاعتمادات بحكم الظروف القاهرة على ما بينت آنفا ، حال دون إبراز المشروع مؤقتا، على أن ذلك لم يمنع الوزارة من القيام بخدمة العمال سواء أكان ذلك بتيسير أسباب العيش لهم ، أم بحمايتهم من المزاحمة الجائرة ، وهى تواصل السعى فى إلحاق المتعطلين منهم بالمحال الصناعية والشبان المتعلمين بالأعمال التجارية ، كما أنها تسعى دائبة فى فض المنازعات التى تقع بين العمال وأصحاب العمل .

وقد قامت أيضا فى هذا العام بإنشاء مكتبين للعمل بطنطا وأسيوط، للاتصال المباشر بالعمال فى الوجهين القبلى والبحرى ، والإشراف على مصالحهم .

وكذلك أنشأت قسما صحيا عماليا، يخصر نشاطه فى زيارة المصانع المختلفة وبحث أمراض المهن وعلاجها ، ووضع نظام التأمين ضدها والتعويض عنها ، هذا عدا قيامها بالتفتيش على المصانع والمحال الصناعية والتجارية للتحقق من تنفيذ القوانين التى صدرت لمصلحة العمال.

وقد قدم بعض هذه القوانين إلى البرلمان ، أما سائرها فهو فى طريقه إليه بعد استيفاء بحثه.

ولم يفت الوزارة الاهتمام بأمر التعاون ، فسارعت إلى تشكيل لجنة برياسة حضرة صاحب العزة وكيلها درست الموضوع دراسة تفصيلية وقدمت عنه تقريرا وافيا أحاط بالحركة التعاونية ، ووضع لإصلاحها و إنهاضها اقتراحات موفقة ، كان فى مقدمتها تعديل قانون التعاون تعديلا يجعله أكثر انطباقا على حالة المجتمع المصرى ، وذلك بإحكام الرقابة على الجمعيات التعاونية مع إصلاح طرق تمويلها ، وحماية أموالها ، وتنظيم النشاط الاجتماعى فيها. وكثيرا ما ارتفعت صيحات دعاة الإصلاح فى هذه البلاد بالشكوى من فوضى أعمال " البر والإحسان " فكان أول ما عنيت به الوزارة من وجوه الخدمة العامة إنشاء قسم خاص بالجمعيات الخيرية قام بإحصائها وسجل إلى الآن نحو أربعمائة جمعية ، وأتم التفتيش على جانب منها .

وكان من بركات رقابة الوزارة على هذه الجمعيات أن كشفت عيوب خطيرة ، إذ تبين للوزارة أن كثيرا من هذه الجمعيات ظل زمانا طويلا يتقاضى مبالغ كبيرة من المال باسم المعونة على البر ، دون أن يقوم بعمل يمت إلى البر بصلة .

ولقد كنتم تسمعون فى بعض الأحيان عن قيام هياج داخل الملاجئ يفمعه البوليس من وقت لآخر ، ولكن الوزارة أنشأت قسما خاصا بالملاجئ عهد اليه فى التوفر على دراسة شؤونها وتوجيهها توجيها اجتماعيا .

وهى جدة فى تحقيق الرغبات البرلمانية فى إنشاء ملاجئ للأحداث بالقاهرة ، ومعتزمة إنشاء ملاجئ لإيواء القاصرات وحمايتهن من السقوط ، ومعهد للشواذ. وقد وضعت مشروعا جديدا لكل من قانون الجمعيات الخيرية والملاجئ .

ولقد أجمعت الرغبات البرلمانية على وجوب بث الروح الرياضى فى البلاد والاشراف الفعلى على الهيئات والأندية الرياضية ، وحرص الوزارة على تحقيق هذه الرغبات أنشأت قسما خاصا " بالرياضة وتنظيم أوقات الفراغ " .

وللوزارة إدارة خاصة " للبحوث الفنية " تبحث وتدرس المشاكل المتعلقة بالأسرة وما يتفرع عنها من علاقات الزوجية والأبوة والبنوة والولاية المترتبة عليها كما تدرس مشروعات القوانين التى تضعها الوزارة لعلاج المشاكل الاجتماعية .

ومما استحدثته الوزارة من وسائل إصلاح المجتمع المصرى " الإرشاد الاجتماعى " فبه اتصلت الوزارة بالشعب على صورتين وفى جميع المناسبات العامة اتصالا مباركا. والناس يشعرون جميعا بآثار هذا الاتصال فى المحاضرات الاجتماعية تلقيها نخبة ممتازة من كبراء المصريين وذوى الرأى فيهم مرة كل أسبوع على الأقل يحضرها الجم الغفير ، وكذلك فى الأحاديث الاجتماعية المختارة التى تلقى من محطة الإذاعة اللاسلكية مرتين كل أسبوع .

كما يتجلى هـذا الاتصال فى الاستمرار فى إصدار " مجلة الشؤون الاجتماعيـة " تفيض بالمقالات التى تعالج أدواءنا الاجتماعية وتبث فى الشعب أفضل التقاليد، وقد عملت الوزارة ولا تزال تعمل على تيسير نشر هـذه المجلة بين بيئات الشعب المختلفة ، كذلك عادت مجلة التعاون إلى الظهور حافلة بكل ما ينهض هـذا العمل الجليـل ، كذلك يتجلى أثر الإرشاد الاجتماعى مجديا فى الإشراف على الموالد والمهرجانات العـامة والأعياد القومية وتطهيرها من الخرافات والبدع .

كما اتخـذت الوزارة من إشرافها على الفرقة القومية فرصة الإرشـاد الاجتماعى فتحقق ما أمكن ترقية الذوق الفنى والنهضة الثقافية العامة .

وأما " السجون " فلم تأل الوزارة جهدا فى تعهد المسجونين بالتهـذيب الخلق كالتعليم الدينى الكفيل بالقضـاء على نزعات الشر فى نفوسهم مع توجيههم توجيهـا صناعيا يؤهلهم للعمل الشريف .

وهى تعتزم أن تنشئ مصحة للمسجونين المصابين بالتدرن الرئوى و إصـلاحية للمحكوم عليهم فى تعاطى المخدرات ،وأخرى للأحداث بالاسكندرية كما تعمل على نشر التعليم للقضاء على الأمية فى السجون .

هذا بيان وجيز بأعمال وزارة الشؤون الاجتماعية فى السنة الأولى من حياتها أرجو أن تزنوه بميزان العدل بعد أن تدخلوا فى حسابكم الظروف المـالية التى أحاطت بهذه الوزارة ولا تزال تحيط بها حتى اليوم .

* * *

ولا بد لى فى النهاية من كلمة أتوجه بها إلى اللجنة المـالية وأرجو أن تقبلها منى بصـدر رحيب .

حضرات النواب المحترمين :

مظهرنا بين الأمم مظهر جميل برّاق، فلنا دسـتور وهيئات تشريعيـة وأنظمة قضائية وإدارية ، ولنا جامعة ومعاهد للعلم ، ولنا جيش وبوليس ، ولنا فوق ذلك ظواهر من الترف والكمال ، فمن مجمع علمى إلى مجمع لغوى إلى جماعات تشتغل بمختلف العلوم والفنون ، لنا كل هذا وترون كثيرا على الفلاح المسكين الذى يئن من البؤس وسوء الحالة ، وعلى العامل التعس الذى يتطلع لشىء من العناية ،وعلى الأسرة المصرية المفككة ، وعلى الطفولة المشردة ، وعلى الأمراض المتوطنة ، والأمية الفاضحـة ، ترون كثيرا على هذا القسم الأكبر من الشعب أن تكون له وزارة تحفل بشىء من المعونة والعطف ،وأنتم نواب الأمة وممثلو الشعب تشعرون بما يشعر به من الآلام ،وترجون كل ما يتمنى المخلصون له من مجد ورفعة " .

صوت النائب وصوت الناخب

بقلم حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه

وزير الشؤون الاجتماعية

" ألقى معاليه هـذه المحاضرة من محطة الاذاعة اللاسلكية قبيل تقلده منصب الوزارة ، وقد استأذناه فى نشرها فأذن "

المحرر

دعتنى وزارة الشؤون الاجتماعية للكلام عن " صوت الناخب " وعينت هذا العنوان على ما فيه من غموض ، فحاولت محاولة تلميذ يؤدى امتحانه أن أكتب فى الموضوع بغير رجوع إلى من اختـار العنوان ووضع الامتحان ، ولكنى آثرت أن أحدثكم عن " صوت النـائب وصوت الناخب " بما افترضت أنه يدخل عن قرب أو بعـد فى موضوع الامتحان ، وأرجو أن تسمحوا لى بأن أبدأ بصوت النائب فأتكلم عنه من جهة تقدير مكانته وتقويمه فى ميزان الاحترام العام ، ثم عن صوته عند الدعاية الانتخابية ، فقد جرى على ألسنة الناس مجرى القول المـأثور "صوت الشعب من صوت الله" ولمـا كان النائب يمثل الشعب فلعله يظن أن من حقه أن يطمع فى الادعاء بأن فى نبرات صوته شيئا من هذا المعنى ، أو يتواضع قليلا فيزعم أن صوته يحاكى على الأقل بعض أصـوات الملائكة . أما أنا فأؤكد لكم أن صـوته فى بعض الأحيان يكون أقرب إلى صوت الشيطان عندما يكون ممن أعطاهم الله هبة الخطابة والتأثير الشخصى وقوة الإرادة ، وحرمهم من طهارة الضمير وحب الخير والإخلاص للوطن ...

ومن قديم الزمان لم يكن " بروتس " على حق حينما حمل على يوليوس قيصر ذلك العاهل العظيم الذى خاض المعارك ظافرا ، وأخضع للرومان أقطارا شاسعة وعاد يحمل إلى روما أكاليل الغار ، ثم رفض التاج الذى عرض عليه غيرمرة ، ومع هذا فإن بروتس صديقه الحميم اتهمه بالجشع والأنانية ، وسمع فيه أقوال الوشاة الحاسدين من أعدائه ، ثم تآمر عليه معهم وهجموا عليه ذات يوم يطعنونه بسيوفهم وهو يناضل عن نفسه مستبسلا حتى إذا رأى بروتس ينقض عليه شاهرا سيفه ليخضبه من دمائه أغمض عينيه وألقى حسامه وغطى بردائه رأسه لكيلا يرى ذلك المنظر الوحشى المؤلم : منظر صديقه يطعنه ، واستسلم للموت ونطق بكلمته المشهورة "حتى أنت يا بروتس!" ثم سقط قتيلا ، بعد أن رأى خيانة بروتس الذى كان يعتبره خير الأصدقاء ، ومثـال الحب والإخلاص والوفاء ، قضى وهو يقول : " لاخير إذن فى الحياة " .

ولم يكن "روبسبير" نائب باريس ورئيس اليعقوبيين على حق عندما أعان الحرب على رجال الجيروند وكان حزبهم أول من نادى فى فرنسا بالحرية ، وقام بالنهضة الوطنية ، وشيد دعائم الديموقراطية ، وما زال بهم حتى أهدر دماءهم فقتل وسجن أكثر زعمائهم وشتت شمل صفوتهم وأخيارهم .

ولم يكن صوت " مارا " حبيب الشعب صوتا ملائكيا عندما كان يلغ فى دماء أبناء وطنه الذين يخالفونه فى الرأى ويطالب حزبه بالإمعان فى إهراق الدماء "دماء الجيروند والملكيين " وكان يصدر جريدة حبيب الشعب " L'ami au peuple " ومنها الى الآن أعداد محفوظة فى مكتبة باريس ، كانت من أول حرف إلى آخر حرف تحض على القتل والفتك والسفك ، وكانت تجد من الشعب آذانا صاغية فكانت المقاصل لا تكفى لإعدام ألوف المواطنين إطفاء لظمأ حكام فرنسا اليعقوبيين الى الدماء ، وقد سمى الفرنسيون هذا الوقت عصر الرعب " L'ere de la terreur " أقاموا لهذا النائب " مارا " تمثالا فى البرلمان ولكن لم يمض وقت طويل على الخلاص من عصر الرعب حتى حطم الشعب هذا التمثال ، تمثال المجرم الدموى الأثيم ، وجاء عصر الجيروند بعد ذلك فأخرجوا من السجون واستولوا على الحكم بعد حين .

ضربت المثل بالقديم لأبرهن على أن صوت النائب قد لا يكون دائما صوت الحق والعدل والحرية .

ولنبدأ الآن بالكلام عن النائب عندما يرتفع صوته بالدعاية الانتخابية لنفسه ، فمن المرشحين من يصون صوته عن العبث بأحلام الشعب فلا يداهن ولا يخاتل ولا يمين ، ومنهم من لا يكترث كثيرا لشرف الدعوة فيختلف صوته باختلاف البيئة التى ينتمى إليها والبيئة التى يدعو لنفسه فيها فتراه يتنكر أحيانا لماضيه ، ويتكلم من غير عقيدة لا يهتم إلا بأن يتملق الجمهور ويرضيه ، ثم هو فوق ذلك يحمل على خصمه الحملة الشعواء ويرميه بما ينفر منه قلوب الدهماء . ومما أذكره دعاية طريفة قام بها رجل من أعيان الريف كان معروفا بالمكر وسعة الحيلة وكان منافسه كبيرا من رجالات مصر وعالما من أقطاب الأدب والسياسة وكان هذا العالم السياسى يتغنى بالديموقراطية ويمجدها وينادى بها حتى اشتهر عنه ذلك . والشرف والديموقراطية كما تعلمون هى حكم الشعب بواسطة الشعب لخير الشعب ، لكن خصمه انتهز الفرصة وأخذ يطوف البلاد ويقابل الناخبين ويوسوس فى عقولهم بأن الديموقراطية إنما هى المساواة وأن ذلك السياسى المصرى يعترف بأنه ديموقراطى وغرضه الذى يرمى إليه من هذا هو مساواة النساء بالرجال فى حقوقهن فكما أن الرجل من حقه أن يتزوج بأربعة من النساء فالمرأة من حقها أن تتزوج بأربعة من الرجال ، ويطلب إليهم أن يسألوه ليسمعوا من فمه ذلك الاعتراف ، وصدق الناخبون الغرية ، وكان من يريد أن يستوثق منها يمر بالسياسى العظيم

فيسأله " هل أنت ديموقراطي ؟" فيقول له : " نعم " فينفض عنه قائلا : "طيب ، سلام عليكم " بغير أن يدخل معه فى التفاصيل ، ثم ينشر ذلك فى الملأ ، وهكذا فشل ذلك النابغة فى انتخابات الجمعية التشريعية .

وأعرف مرشحا شديد الخطر ، من أسرة فقيرة لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، ولكنه يستفيد من هذا الفقر ويستغله أكمل استغلال فهو يندس بين الفلاحين فى ذلة وانكسار ، رث الثياب تبدو عليه آثار الفاقة ويقول لهم ، " انى مثلكم " فقير لا أملك شيئا قد كنت عاملا صغيرا أتقاضى قرشين فى اليوم ، ثم انتسبت إلى كلية الحقوق فأصبحت محاميا ولكننى شعرت بألم الجوع والحرمان وما زلت رقيق الحال لا أعرف الا الشقاء والبؤس فأنا منكم أشعر بآلامكم وما تقاسونه من استعباد وذل ، وأمى ما زالت تلبس الجلبية الزرقاء وتحمل على رأسها الجرة فنحن من أسرة واحدة . ثم يبيت فى بيوت الفلاحين متنقلا من دار إلى دار لا يجد فى ذلك مضضا ولا غضاضة . ويقضى لياليه بينهم يناجيهم بما يملك به عواطفهم ، ويستولى به على نفوسهم ، ويبالغ فى وصف ارستقراطية خصمه وعظمته وتعاليه ، فيقول للناخبين انى لكم أن تصلوا اليه ودونه الف حجاب ، وكيف يشعر بما أنتم فيه من ضيق وضنك ؟ أنى له أن يشعر بما تشعرون به وهو يتقلب فى قصره العظيم على أرائك من الترف والنعيم ؟ وإذا صادف هذا المرشح امرأة وقف بين يديها يخطب ولقبها بالسيدة النبيلة ، ثم يحرضها ويذويها على منافسه ، ويتركها مشدوهة بعد أن يكرر على سمعها قوله " قولى لزوجك لا تكفر قولى لزوجك لا تكفر " ثم ينطلق من قرية إلى قرية ينفث فيها سموم دعاياته فيهيب بالغوغاء مهيجا عواطفهم ، مثيرا فيهم عاطفة البغض والكراهية والعداء . وقد فهمت من مراقبة مثل هذا المرشح كيف تنبت الشيوعية وتتغلغل فى نفوس الجماهير الساذجة التى سرعان ما تصدق المخادعين والدجالين المضللين فيفلت زمامها من أيدى الحكماء والمثقفين المفكرين .

أما صوت النائب فى مجلس النواب فيجب ان يضعه حيث يكون الحق ومصلحة الوطن ، فإن النائب قد أقسم يمينا أن يؤدى واجبه بالذمة والصدق ، ولكنه يرى بجانب الذمة والصدق حزبا وحكومة يجب أن يدخلا فى حسابه . أما من جهة الوطن فان الوطن غفور رحيم . وتعدد الأحزاب من لوازم الحياة النيابية لسوء الحظ ، وله فوائد ومضار ، فوجود الأحزاب كارثة ، وزوالها نكبة . ولا يتسع الوقت لأتكلم عن الأخطار التى تترتب على المنافسات بين الأحزاب وأغراضها وغاياتها ، ولكننى أسوق لكم واقعة لا تخلو من الطرافة :

كان ذلك فى سنة ١٩٣٤ وكانت جلسة مجلس النواب منعقدة للنظر فى موضوع التعليم الإلزامى ، ولى فيه آراء خاصة ترمى الى تيسير التعليم ونشره وتعميمه مع الاستغناء عن الزخرف والأناقة والتماس الكماليات . فأخذت أتكلم عن هذا طويلا وأطلب أن تتخذ تركيا قدوة حسنة ، فإنها قضت على الأمية أو كادت فى زمن وجيز . وشعرت بأن كلامى أحرز قبولا

حسنا فقد صفقوا له طويلا حتى خيل الى أن الكثرة أصبحت تحبذ رأيي وبادرت بوضع اقتراح وقع عليه معي ثلاثون نائبا وقدمت الاقتراح وصممت الحكومة على رأيها. ثم طلبت أخذ الآراء بجعلوا ينادون الأسماء وكنت أسمع فى شيء من الدهشة توالى كلمة "موافق . موافق" تتردد من جوانب المجلس لمناصرة الحكومة، فوقعت عندئذ فى شيء من الضيق وسرت فى الممر نحو أحد أبواب قاعة المجلس ثم خطر لى أن أقف هنيهة بجانب وقفتي خلف مقعد أحد النواب الذين وقعوا معي على الاقتراح، فاذا به هو أيضا يقول موافق. أخذ مني الغيظ مأخذه ووضعت يدى على كتفيه أهزهما بعنف وقلت له إنك وقعت معي على الاقتراح، لقد وقعت معي على الاقتراح. فاضطرب لهذه المفاجأة وأجاب "أحسبك خرجت. أحسبك خرجت" وغلبني الضحك وروّح جوابه عن نفسي، وجلست، ورفض الاقتراح. ولست أقصد أن النواب يخالفون ضمائرهم ولكن بينهم من يغالى فى الحيطة أو يبالغ بغير ضرورة فى الرضوخ للأنظمة الحزبية حتى فى غير المسائل السياسية .

والآن فلننتقل إلى صوت الناخب . فما الناخب إلا وكيله ورسوله. وكيله الذى وضع فيه ثقته فاختاره لأشرف مهمة، ورسوله إلى مجلس النواب ليشترك فى الهيمنة على مصالح البلاد.

فهذا الصوت، صوت الناخب ، يجب أن يحرص عليه صاحبه ويضن به ولا يمنحه إلا لمن يعتقد فيه الخير لبلاده ، ومع هذا فكثيرا ما رأينا أن الناخبين يلتمسون بأصواتهم :

(أولا) المنفعة الخاصة .

(ثانيا) نكاية النائب لأن له بغير أسرته صلة .

(ثالثا) الظهور بمظهر الوطني المخلص فى بلده إذا اعتقد أن الكثرة فى قريته خاطئة فيجارى القرية .

وقد شاهدت أمثلة كثيرة من هذه الثلاث ، وأذكر أنى أنقذت سنة الثورة سنة ١٩١٩ موظفا صغيرا من موت محقق ، وأنقذت حياته بتعريض حياتى وحريتى للخطر ، ثم أحيل إلى المعاش وساعدته فى تقرير المكافأة له ، واستقلت أنا أيضا ومضى على ذلك زمن طويل، وفى يوم من الأيام عرفت مقره فى إحدى القرى ووجدته جادا فى مقاومة انتخابى فشعرت بصدمة قوية، ولكنى ظننت أنه يعمل باعتقاد، فأخذت أتلمس له المعاذير ، غير أنه اعترف بأن منفعة مادية ضئيلة هى التى جذبته إلى الطرف الآخر، وأخذ يؤكد لى مع هذا أنه لم ينس ما لى عليه من يد .

وكثيرا ما وجدت أسرات تتحول عنى نكاية فى العمدة أو فى أسرة تنافسها فى البلد عرفت بالميل إلى .

ومن غريب ما صادفته فى الانتخابات أنى علمت أن ناخبا يعمل على مناوأتى بهمة ونشاط متنقلا من بلد إلى بلد، فسألت عنه أحد أصحابه فقال إنه أخبرنى أنه يريد أن يلفت

نظرى إليه فقلت إنها لطريقة رقيقة حتا أن تلفت إليك شخصا بأن تقذفه بحجر، فقابله ثم عاد إلى يقول بأن هذا الناخب يعترف بأنها طريقة شاذة ولكنها ناجعة، فهو يقول عنى بأننى تعودت الأرهار تلقى على بكثرة حتى أصبحت لا أعبأ بها، أما الحجر فقد نجح فعلا فى أنه لفت إليه النظر.

وفى إحدى القرى تلقانا شاب مثقف بقصيدة من نظمه فصال وجال، وبالغ فى المدح والترحيب ماشاء الخيال، ثم علمت أنه قابل بعد ذلك منافس قريبى الذى كنت أدعو له بقصيدة أخرى عصماء لا تقل عن قصيدتنا فصاحة و بلاغة. وعدنا إلى بلدة كبيرة ثانية فانبرى الشاعر نفسه للخطابة والقرية كلها تسمعه فى عجب ودهشة، وأخذ يبرر الرياء والنفاق، ويصف بهما نفسه فى صراحة صارخة و بلغ به الأمر أن قال " لو كانت الانتخابات وجدت فى زمن النبوة لسمح بها الدين"

وهنا سمعت دمدمة من رجال القرية، ورأيتهم فى هياج شديد، فوقفت أدافع عن الشاب فقلت إنه على الأقل صريح فى نفاقه، و إن كان الدين لا يمكن أن يأمر بالنفاق، ثم جعلت أعتذر عنه لأخفف من سخط القرية فقلت: وإنه لشاعر والشعراء فى كل واد يهيمون، وهم يقولون ما لا يفعلون، ثم زعمت أنه أخطأ التعبير فإن الذى دفعه إلى ذلك ليس هو الرياء بل فرط الحياء فهو يكرم ضيوفه بأعز ما عنده — وأعز شىء لديه شعره — وهدأت ثائرة القوم فاطمأنوا وانصرف الشاعر فرحا لخلاصه من ورطته وصدقت القرية معنا فى الانتخاب، واصبح المرشح عضوا بمجلس النواب .

وهكذا ترون أيها السادة أننا نقاسى الويل ونكابد أصناف العناء مع الناخبين الذين يرون فى الانتخابات أفضل مناسبة للتدلل، وقد تعودوا أن يسمعوا من النواب أعذب الاقوال وأجمل الوعود، وقد يكون المضللون والمهرجون من المرشحين هم أصحاب الحظ الأوفر فى الحصول على الثقة بسبب تأخر البلاد فى ثقافتها، وتأخرها فى الحصول على حريتها، مما جعلها بعيدة عن المرانة فى اختيار الرجال وحسن تقديرها لهم، والنضوج السياسى لا يمكن أن يأتى طفرة واحدة بل هو يأتى مع طول الزمان وطول النضال .

ولكن على أى حال يجب أن نذكر أننا فى بدء حياتنا النيابية، وقد مضى على الممالك الدستورية أجيال وأجيال تمارس فيها هذه الحياة فاكتسبت مرانة وخبره .

وسترى الأجيال المقبلة إن شاء الله ناخبين ونوابا جديرين بمجد مصر التاريخى العظيم، وترى البلاد برلمانا جديرا يتفوق على أمثاله فى العالم نظاما ونشاطا وعملا مجديا منتجا نافعا .

ولا يفوتنى أن أذكر أن الحياة النيابية على مافيها من عيوب هى خير أنواع الحكم وأن البرلمان المصرى على حداثة عهد البلاد به أسدى إليها أيادى جليلة وقدم لها خدمات كبيرة إذا لم يعترف بها بعض المعاصرين فإن التاريخ سيذكرها له بالتمجيد والتحبيذ والإجلال العظيم ٤

ابراهيم دسوقى أباظه

بعض غارات الإسكندرية

الشجاعة والنظام والتعاون

لحضرة صاحب المعالى محمد عبد الجليل أبو سمره باشا

ومدير تموين

هذه حرب كثيرة المفاجآت ، شديدة الويلات . تمتاز عن جميع الحروب قبلها بأن المحاربين فيها هم الجنود فى الميدان ، والمسالمون من السكان ، لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء .

ولهذا ينبغى أن يتوافر فى المدنيين كل ما كان يتوافرفى الجنود وحدهم فى الحروب السابقة لأن هؤلاء المدنيين غير بعيدين فى هذه الحرب عن الاصطلاء بنارها . ولست أعنى ان يصبح جميع المدنيين جنودا نظاميين مدربين على الحركات العسكرية والفنون الحربية . ولكن أعنى أن يتدرعوا بما تتدرع به الجيوش المقاتلة من الصفات ، وأهمها فى نظرى ثلاث : الشجاعة والنظام والتعاون .

فقد لفت نظرى عند وصولى الى الاسكندرية عقب الغارة الثانية ، ذلك الذعر المستولى على السكان بشكل جعلهم بعيدين عن التحكم فى أعصابهم . وهذا الذعر الشديد كان سببا فى فوضى شديدة وعرقلة لأعمال الإنقاذ والهجرة على السواء .

وقد يكون للجماهير التى ساقها الذعر الى محطة الاسكندرية بالألوف ، والى الطريق الممتد من الاسكندرية الى كفر الدوار ودمنهور بعض العذر فى هذا الهلع الشديد بسبب جدة هذه الحالة على نفوسهم ومفاجأتها لهم .

ولكن الحزم يقتضى أن نوطن نفوسنا على تحمل هذه الحالة بشجاعة ورباطة جأش ، فلا نكرر مأساة الهجرة المتدفقة بلا روية ولا نظام ، ولا تعود الاسكندرية أو سواها من المدن التى تتعرض لخطر الغارات الى حالة الذعر التى شاهدناها فى هذه المرة ، والتى دعت الطبقة العاملة الى الهرب فشلت الحركة فى الثغر المصرى الأول الذى تتوقف عليه حياة البلاد الى أمد كبير .

ولقد سبب الذعر الشديد والفوضى التى أعقبته متاعب كبيرة للقائمين على شؤون الإنقاذ وشؤون الهجرة .

فأما أعمال الانقاذ فقد كانت بطيئة عسيرة أول الأمر بسبب مغادرة العمال للمدينة وهم أعصاب الحركة فيها .

كان ذلك أول ما لفت نظرى ، ولم نتمكن من تداركه إلا بمضاعفة الأيدى من قوات الجيش المرابط ، ولو بقى عمال المدينة ورجال المقاولين فى أعمال الهدم والبناء لكانت المهمة أسهل والإنقاذ أسرع .

وأما أعمال الحجرة فقد تعرضت بسبب الضغط المتزايد والفوضى الناشئة من ذعر المهاجرين لاضطرابات شديدة ، سواء فى ركوب القطارات والسيارات أو فى استقبال المهاجرين وإعداد الأماكن المناسبة لهم .

وبذلت السكة الحديدية كما بذلت الخدمة الاجتماعية فى وزارة الشؤون الاجتماعية وجمعيات الهلال الأحمر جهودا جبارة فى مواجهة حالة الذعر والفوضى المستولية على المهاجرين حتى استطاعت أن تواجه السيل الجارف من المهاجرين ، وتمكنهم من السفر والاستقرار فى الأماكن التى أعدت لهم . ومع ذلك لم يسلم بعضهم من التعرض للمتاعب والأضرار .

ومما لا شك فيه أن هذه المتاعب كانت تقل كثيرا لو تذرع الجميع بالشجاعة الواجبة واستمسكوا بالنظام اللائق ، ولم يستسلموا للفزع الذى يذهب بأفكارهم ويشوش أذهانهم ويحطم أعصابهم .

وهاهى ذى لندن وبليموث وسواهما من المدن الانجليزية تضرب بالليل والنهار وتتعرض لمخاطر هائلة ، ومع ذلك لم نسمع أن العمال الانجليز أو سواهم تملكهم الذعر إلى الحد الذى ينسيهم النظام والتماسك وضبط الأعصاب ، بل تسير الأعمال كلها سيرها العادى حتى توزيع اللبن فى الصباح .

نعم إن الاستعدادات الواقية أتم هناك من نظيرها فى مصر ، ولكن يجب أن نذكر إلى جانب ذلك عظم المخاطر التى تواجههم والتى لا تقاس اليها هذه الغارات الخفيفة نسبيا على الاسكندرية أو سواها .

على أن هذه التجارب التى مرت بنا أبرزت لنا بعض العيوب فى الهجرة غير المنظمة إلى البلاد الداخلية سواء أكانت فى الريف أم فى المدن .

فأما فى الريف فقد اتضح من تجربة العام الماضى أن كثيرين ممن هاجروا إليه عادوا إلى المدن مفضلين خطر القنابل فيها على خطر الأمراض المتوطنة وسواها وخطر المياه الراكدة والأتربة المتصاعدة وكل ما يشكو منه الريف من متاعب .

وأما الهجرة إلى المدن الداخلية فى هذا العام فقد اتضح أنها ترهق السكك الحديدية إرهاقا شديدا من جهة ، وتعرض المهاجرين لمتاعب شديدة من جهة ثانية ، كما تعرض حياة المدن المهجورة إلى التعطل والتوقف من جهة ثالثة .

أما إرهاق السكك الحديدية فقد كان واضحا من هجرة الألوف المؤلفة المتزاحمة على المحطات فى وقت واحد ولولا أن إدارتها بذلت مجهودات عنيفة فى مواجهة هذه الحالة المفاجئة ، ولكرر هذا الإزعاج فى ليس من مصلحة الدولة ولا مصلحة الجمهور بوجه عام .

وأما تعرض المهاجرين للتاعب فيكفى فى تصوره مشاهدة الألوف التى كانت تتزاحم فى محطات الاسكندرية عند السفر، ومحطات كفرالدوار ودمنهور وطنطا والقاهرة وسواها عند الوصول ، ولم تلتقط متاعبهم عند هذا الحد ، فان توزعهم فى مدن كثيرة وفى أحياء كثيرة وأماكن شتى ، يضاعف فى هذه الأحياء مهمة الهيئات المشرفة على راحتهم وتوفير الغذاء لهم ووقايتهم من انتشار الأمراض .

وفوق هذا فإن عدد المهاجرين يزيد على طاقة المدن التى هاجروا اليها فيسبب ارتفاعا فى أجور المنازل ونفقات المعيشة عليهم وعلى سكان هذه المدن على السواء ويخلق عدم توازن فى توزيع السكان له عواقبه الاقتصادية والاجتماعية .

وأما تعريض حياة المدن المهجورة للتعطل أو التوقف فقد شاهدنا مصداقه فى حركة الأعمال بالاسكندرية بعد الهجرة ، ولولا الأمر العسكرى بعودة العمال لأصيبت الاسكندرية والمملكة كلها بتلف لها ، باضطراب طويل فى نظام العمل .

وعلاج هذه الحال يكون بإقامة المعسكرات المؤقتة من الخيام والأكياب والعشش تمهيدا لإقامة معسكرات ثابتة بجوار المدن المعرضة للخطر والضواحى التابعة لهذه المدن وترحيل السكان اليها ، فهذا العلاج لا يحرم المدن من عمالها وأصحاب الأعمال فيها لقرب مقرهم فى هذه المعسكرات منها وسهولة وصولهم اليها وعودتهم .

وهو فى الوقت ذاته يضمن للمهاجرين الراحة والصحة ، لانهم لا يزدحمون فى مدن نائية ولا يتكدسون فى أحيائها زيادة على سكانها ، بل يقيمون فى جهات خلوية تتخللها الشمس والهواء حيث تستطيع السلطات الإدارية والصحية والاجتماعية أن توفر لهم كل وسائل الصحة والراحة وتكفل تغذيتهم ، وتحميهم من الغلاء المصطنع والاستغلال السيئ الذى لا يسلمون منه فى المدن المزدحمة .

فمن الواجب الإسراع فى توفير الخيام والعشش والأكياب بزيادة الإنتاج فى المحلة الكبرى ودمياط وسواهما من البلاد التى تنتجها تلبية للحاجة الملحة الى إقامة هذه المعسكرات المؤقتة بجوار كل المدن المهددة بالغارات .

على أن هذا الإجراء وسواه من الإجراءات التى تتولاها الهيئات الحكومية لا يكفى ما لم يتحل الجمهور بالصفات السابق بيانها وهى الشجاعة والنظام والتعاون .

فأما الشجاعة والنظام فقد أسلفت الحديث عنهما ، وأما التعاون فهو الصفة التى يجب ظهورها و بروزها فى ساعات الخطر ، فقد لا تحتاج الشعوب كثيرا اليها فى أيام السلم والطمأنينة . أما حين تواجه الأخطار فهى أحوج ما تكون الى هذه الصفة النافعة .

ومما تطمئن اليه النفس أن الخطر ما كاد يواجهنا حتى نهض القادرون ، وعلى رأسهم شخصيات كريمة ، الى رعاية المنكوبين والترفيه عنهم ومدهم بالمعونة .

ولكنا فى حاجة الى المزيد من هذا التعاون ، فان أسماء كثيرة لم يسمع صوتها فى هذه الكارثة القومية ، ولم تتحرك أيديها بالبذل حين يجب البذل ، وذلك أوانه وهنا فائدته .

إن هذا الخطر يهدد الجميع ، فالتبرع والتعاون واجب اجتماعى ودين يؤديه الناجون للصابين . وقد شاهدت مناظر مروّعة لمن ذهب عائلوهم ضحية العدوان أو تحطمت دورهم وضاع متاعهم وباتوا بلا مأوى ولا لباس ولا طعام .

و إن لهؤلاء جميعا لدينا فى عنق كل قادر على المعونة بالتبرع أو التطوع . وهو دين لهم كما هو دين للمجتمع وللوطن الذى يظلل الجميع ، والذى لا يستطيع الصمود للخطر والوقوف للعاصفة إلا بالتعاون الاجتماعى فى هذا الظرف العصيب .

عبد الجليل أبو سمره

" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ "

(قرآن كريم)

أساس النهضة النسائية

وتطوراتها فى مصر

لحضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى

"محاضرة قيمة لحضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى رعيمة النهضة النسوية ألقتها من محطة الاذاعة اللاسلكية بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية " المحرر

سادتى ، سيداتى ، آنساتى :

اذا اعترفنا بان التطور سنة من سنن البقاء آمنا بأن كل أمة خاضعة لناموس هذا التطور . وقد يولد التطور قبل أوانه أو فى ظروف لا تساعد على نمو فيتضاءل ويضمحل حتى تتاح له ظروف جديدة أكثر ملاءمة لنموه فيزدهر ويؤتى ثمره . والتطور فى كل زمان ومكان له بحكم الطبيعة حسناته وسيئاته ، وله المناصر والمعارض . والنهضة النسوية بل النهضة الحديثة فى بلادنا كان لا بد لها أن تجتاز كغيرها تلك المراحل وتتعرض لهذه الأحوال .

وأول من حاول وضع أساس تلك النهضة هو المغفور له محمد على باشا الكبير الذى أنقذ مصر من فوضى حكم المماليك ، ثم شرع فى محاربة الجهل للنهوض بالبلاد ، فأسس المدارس للبنين والبنات ، وأرسل البعثات الى أوروبا لتلقى العلوم ونشرها فى البلاد لاعتقاده أن التعليم هو سبيل رقى الأمم وتقدمها .

ولكن الأمة المصرية لم تكن إذ ذاك مستعدة لقبول فكرة التعليم عامة وتعليم البنت خاصة حتى أنه لما أسس مدرسة القابلات لم تصادف إقبالا يذكر من الفتيات ، فأمر بشراء عشر جوار سود انيات صغيرات السن ينتخبن بمعرفة كاوت بك لتعليمهن فن الولادة .

النهضة فى عهد اسماعيل :

ولما تولى المغفور له الخديو اسماعيل مقاليد الحكم — وكان محبا للعلم طموحا للنهوض ببلاده — أراد أن ينيب بمصر وثبة تجعلها قطعة من أوروبا فى المدنية والحضارة ، فقام بتحقيق فكرة جده لاعتقاده مثله أن نهضة البلاد لا تقوم الا بنشر التعليم فيها ولا تكتمل الا بنهضة نسائها . فأسس المدارس وفتح ما كان قد أغلق منها ، وأوعز الى صغرى زوجاته "جشم آفت هانم أفندى" بانشاء مدرسة للبنات فأنشأت مدرسة السيوفية "السنية الآن" فكانت الأولى من نوعها . ولما أعرضت المصريات عنها أدخل فيها متبنيات زوجاته وجواريه ، فشجع ذلك

إقبال الفتيات عليها حتى ضاقت بهن . ولم يكتف اسماعيل العظيم بذلك بل خصص جناحا فى قصره الخاص بالجوارى لتربية بناته وجواريه . وكان هذا الجناح بمثابة معهد يؤمه يوميا نخبة من اكفأ رجال العلم والفن مصريين وأجانب لتعليمهن العلوم واللغات وأصول الدين والفنون الجميلة على أنواعها . وكان قصد اسماعيل من ذلك أن يجعل من هؤلاء الفتيات المتعلمات نواة صالحة لتأسيس البيوت وتدعيم الأسر المصرية .

فكان يهب من حصلن جانبا من التربية أو التعليم منحة من المال والعقار ويزوجهن من سراة مصر ورجاله الاخصاء . وقد وفق بعمله هذا الى تكوين كثير من العائلات المصرية والنهوض بها ، ونشر التربية والثقافة فيها وأنجبت تلك البيوت كثيرا من عظماء مصر رجالا ونساء .

رب معترض يقول إنه كان فى ادخال هذا العنصر الحركى فى العائلات المصرية اقتئاتا على حقوق المصرية الصميمة . وقد يكون له بعض العذر فى ذلك الا ان اسماعيل المصلح اضطر الى انتهاج هذا المنهج لما رأى الأسر المصرية تؤثر جهل بناتها على إرسالهن الى المدارس وقد كان يريد الوصول بالعائلة المصرية للمستوى اللائق بها بين الشعوب الناهضة .

لو طال أمد هذا العهد المزدهر ولم تعجل عليه العوائل المالية التى ولدت بوادر الثورة العرابية ، وأفضت بعد ذلك إلى انفجارها ، وجرت على مصر الكوارث التى ما زالت ترزح تحت أثقالها ومكنت الأجنبى من بسط نفوذه عليها الأمر الذى أدى إلى عرقلة تقدم البلاد وشل نهضتها العلمية والخلقية ، نعم لو طال عهد اسماعيل لكانت مصر اليوم تشغل مركزا ممتازا بين الأمم الناهضة .

بعث النهضة من جديد :

رغم كل العوائق التى اعترضت تقدم البلاد منذ أواخر عهد اسماعيل بقيت جذوة الطموح فى نفس المصلحين ترتقب نسمة من نسيم الحرية تذكيها ، حتى قدح الزعيم مصطفى كامل زناد النهضة الوطنية فى عهد الخديو عباس الثانى ، وقام نفر من تلاميذ الأستاذ جمال الدين الأفغانى أمثال الامام الشيخ محمد عبده وسعد زغلول والنقاش وقاسم أمين وغيرهم ينشرون روح التجديد والتحرر من أغلال التقاليد العتيقة ، وكان هؤلاء يترددون على مجلس الأميرة نازلى فاضل وكانت سيدة واسعة المدارك والاطلاع ولها مكانة عالية فى المجتمع والأوساط السياسية فعرفوا كيف تستطيع المرأة المثقفة الفاضلة أن تفيد الهيئة الاجتماعية إذا برزت اليها ، وآمنوا جميعا بأن نهضة مصر لا يمكن أن تسير بقدم واحدة بل لا بد أن تخوض المرأة المصرية ميدان النشاط الاجتماعى وتقوم بقسطها فى بناء نهضة البلاد .

قاسم أمين وتحرير المرأة :

قام قاسم ينادى بضرورة تحرير المرأة من قيود التقاليد التى تشل نشاطها لإعدادها للحياة العملية إعدادا صالحا لا يتنافى مع أصول الدين وروح التشريع، وبالرغم من الضجة العنيفة التى أثيرت ضد دعوته ظل قاسم يدافع عن مبادئه بالحجج والبراهين حتى اختاره الله الى جواره وبذلك أصبح قاسم واضع الحجر الأول فى أساس نهضتنا النسائية .

مات قاسم سنة ١٩٠٨ ولكن نداءه لم يذهب سدى، بل كان الزمن كفيلا بترديد صداه فى نفوس المفكرين والمصلحين، فأخذت بعض البيوتات الكبيرة والمتوسطة ترسل بناتها الى المدارس، وشجعها على ذلك ظهور بعض النابغات فى عالم الأدب أمثال " باحثة البادية " و" مى " والسيدة نبوية موسى بعد عائشة التيمورية وزينب فواز . وكان أولئك النابغات يرغبن غيرهن فى طلب العلم . ولكن كما كانت مدارس البنين مقصورة على توريد الموظفين اللازمين لدواوين الحكومة كذلك كانت مدارس البنات لا تخرج غير المعلمات رغم ما ظهر من بوادر الرغبة الشديدة عند أولياء الأمور فى تعليم بناتهم وتثقيفهن . والدليل على ذلك أن بعض الطالبات ممن بتلقى دراسات خاصة فى بيوتهن استعدادا للتقدم لامتحان شهادة البكالوريا فلم تسمح لهن وزارة المعارف بذلك . فكان من الصعب والحالة هذه أن تصل البنت الى الدرجة التى كانت تصبو اليها من التعليم إلا بانتسابها الى المدارس الأجنبية التى كان لها أثرها فى تربيتها وتفكيرها ولغتها .

وكثيرا ما كنت أتساءل عن سبب إقفال الوزارة اذ ذاك أبواب التعليم الثانوى والعالى فى وجه بناتنا، فعرفت السبب بطريق المصادفة من سيدة انجليزية كانت ناظرة لإحدى مدارس البنات الحكومية، إذ قالت لى انها كثيرا ما حاولت تنظيم رحلات لتلميذاتها أيام الجمع لزيارة الآثار المصرية توسيعا لدائرة معارفهن ولتعليمهن تاريخ بلادهن المجيد فكان يعترض تنفيذ فكرتها تلك ، المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف بحجة أنها مخالفة لتقاليد البلاد . فدهشت جدا من هذا التصريح، وأيقنت اذ ذاك أن من أهم أسباب تأخر بناتنا وعرقلة نهوضهن هى تلك الغيرة المزعومة على تقاليدنا وما هذه أيها السادة الا صورة من الوسائل والمبررات التى كانت تقيم لشل نهضتنا وعرقلة تقدمنا زهاء نصف قرن .

لما لمسنا شغف فتياتنا بالاستزادة من العلم عولنا على تنمية هذا الروح فيهن وتغذيتها بانشاء رابطة أدبية نسائية باسم "جمعية الرقى الأدبى للسيدات" وصادفت تلك الفكرة عندهن كل ترحيب واقبال على المحاضرات التى بدأنا بتنظيمها . وأول محاضرة ألقيت على السيدات كانت فى الجامعة المصرية عام ١٩٠٩

بوادر النهضة النسائية :

وقد استرعى ذلك النشاط النسائى نظر رئيس الجامعة اذ ذاك الأمير فؤاد "جلالة المغفور له الملك فؤاد الأول" فعمل على تشجيعها بتنظيم محاضرات تلقى على السيدات فى أيام خاصة بهن فى الجامعة المصرية التى كان لشقيقته الأميرة فاطمة الفضل الأول فى انشائها بما تبرعت به من حلى وعقار وكم كان جميلا منظر تلك السيدات المحاضرات أمثال الباحثة والسيدة نبوية موسى ولبيبة هاشم والسيدة رحمه صروف والنابغة "مى" كل منهن فى قاعة تنق محاضرتها على لفيف من السيدات، كما كانت دار "الجريدة" برياسة مديرها الاستاذ الجليل أحمد لطفى السيد بك وقتئذ ترحب بمحاضرات "الباحثة" تشجيعا لهذه النهضة النسائية المباركة .

الحركة الوطنية :

بينما كانت النهضة النسائية تتكون شيئا فشيئا وتسير رويدا رويدا نحو الظهور حدث حادث عالمى خطير وقف سيرها فى بادئ الأمر ، وكان له بعد ذلك أثر كبير فى سرعة تكوينها وانضاجها وهو الحرب العظمى التى أتاحت للمرأة الأوربية الظهور فى مختلف ميادين العمل مما أدى الى الاعتراف لها فى معظم الممالك بحقوقها السياسية .

عرفت المرأة المصرية ذلك وشعرت بأن عليها هى أيضا واجبا نحو بلادها يجب أن تستعد له ، وأن لها حقوقا شرعية أهملت المطالبة بها فضاعت عليها .

فلما نشبت الثورة الوطنية المباركة سنة ١٩١٩ أفسحت مجال العمل أمام المرأة المصرية فلم تتردد لحظة فى خوض ذلك المعترك الوطنى الخطير وفيه أبلت بلاء حسنا شهد به قادة الحركة الوطنية وزعماؤها وفى مقدمتهم المرحوم سعد زغلول باشا وكانت هذه الحركة فاتحة الخطوات الجديدة التى اعترف بها للمرأة المصرية وأول سطر خط فى سجل النهضة النسائية الحديثة. وما كان الاتحاد النسائى المصرى الا وليد تلك الحركة لتنظيم صفوف المرأة وتوحيد جهودها فى خدمة الوطن والمجتمع والانسانية .

واذا رجعنا الى الماضى وتأملنا فى مراحل نهضتنا الحديثة لاحظنا أنها منذ بدايتها كانت فى كل تطوراتها مفككة العرى كطفل نهضة تخلقها المؤثرات الوقتية ولم تنشأ عن ضرورة أو عقيدة ثابتة تنظم سيرها وتحمى كيانها . ولاتحاد النسائى نشأ بعد تمهيدات متعددة عن ضرورة ملحة وغدته عقيدة ثابتة وايمان صادق، لذلك أمكنه فى مدة قصيرة أن يؤدى خدمات جليلة فى مختلف نواحى الاصلاح . وأمكنه أن يحقق أمانى كثيرة كان لها أثر بارز فى حياتنا الاجتماعية وتقاليدنا ونظم معيشتنا الاقتصادية وهو ما زال يؤدى رسالته على الوجه الأكمل .

وهنا يسرنى أن ألقى على مستمعى الكرام نبذة وجيزة عن أغراض الاتحاد النسائى المصرى ونشاطه فى تغذية الحركة النسائية وتنميتها .

الاتحاد النسائى المصرى :

تأسس الاتحاد النسائى المصرى فى السادس عشر من شهر مارس سنة ١٩٢٣ إثر دعوة وجهت الى نساء مصر للاشتراك فى مؤتمر الاتحاد النسائى الدولى الذى عقد فى روما سنة ١٩٢٣ وكانت لجنة الوفد المركزية للسيدات التى تشرفت برياستها اذ ذاك هى الهيئة النسائية البارزة فشكلت من بين أعضائها جمعية الاتحاد النسائى المصرى وانتدبت عنها وفدا لحضور هذا المؤتمر مكونا منى ومن السيدة نبوية موسى والآنسة سيزا نبراوى . وكانت هذه أول مرة رفع فيها صوت المرأة المصرية فى الخارج باشتراكها فى هذا المؤتمر وقد اندمجت جمعيتنا منذ ذلك الحين فى عضوية هذه الهيئة الدولية النسائية الكبرى وأصبح الاتحاد النسائى المصرى ذا صفة قومية وصفة دولية ، معترفا بحيثيته فى مصر والخارج .

لقد أخطأ الكثيرون فهم المبدأ الأساسى للاتحاد النسائى فى المطالبة بمساواة المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية ، وقالوا إن غرض المرأة من الحصول على حريتها ومساواتها بالرجل فى الحقوق ما هو الا وسيلة للوصول الى السفور ومزاحمة الرجل فى ميادين السياسة والعمل مما أدى الى تذمر البعض ، والحقيقة أن مطالبة المرأة بحقها السياسى ليس معناه التدخل فى الأمور السياسية والحزبية المحضة بل لتحصل على حقها فى التشريع والتنفيذ حتى يمكنها المساهمة فى علاج الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خصوصا ما كان منها متعلقا بشئون المرأة والطفل ، وكان سفورها من الوسائل اللازمة للحصول على هذا الحق لاحيا فى السفور كوسيلة للتبرج ، ولاسعيا الى مزاحمة الرجل كما ترمى به زورا وبهتانا . واذا كان بعض الفتيات لم يقدرن معنى الحرية التى طالبنا بها للمرأة لتقوم بواجباتها القومية والنسائية واتخذتها وسيلة للتقليد الأعمى فى التبرج والخروج عن آدابنا القومية فليس هذا ذنب النهضة النسائية كما أنه لا يقلل من قيمتها ولا يحط من قدرها . بل ترجع إساءة التصرف فى الحرية المعطاة لهن الى جهلهن وتوافر الفراغ لديهن ، وهؤلاء هن اللواتى يحق عليهن ما ترمى به النهضة النسائية من نقد ولوم . فلا يصح والحالة هذه ان يتخذ من مقياسا لأهلية الفتاة المصرية المثقفة ولا عنوانا لأخلاقها .

لقد اندمجت جمعيتنا فى الاتحاد النسائى الدولى على أساس المطالبة بحقوق المرأة السياسية والمدنية لتخويلها حق الانتخاب . وقد رأينا تمهيدا للوصول بالمرأة المصرية الى تحقيق هذه الغاية أن نضع فى مقدمة برنامجنا رفع مستواها الثقافى والاجتماعى كى تكون أهلا لتلك المساواة .

فطالبنا بمساواة البنت بالولد فى جميع أدوار التعليم . وقد دأب الاتحاد النسائى على تهيئة الرأى العام لتعليم البنات فى مصر وفى الخارج . وقد تم له ذلك اذ فتحت أمامهم أبواب التعليم الثانوى والعالى وأوفدت الحكومة والاتحاد النسائى بعثات من الطالبات للدراسة

فى الممالك الأوروبية عدن بأحسن النتائج و يشغلن الآن وظائفهن فى الأعمال الحرة والحكومية عن جدارة واستحقاق . ولا أظن أن فى ذلك غبنا على الرجل ومساسا بحقوقه ما دامت القوانين الشرعية والوضعية لم تحدد وظيفتيهما بل ساوت بين الرجل والمرأة فى معظم الحقوق والواجبات وتركت للمرأة الحرية المطلقة فى ادارة شئونها الخاصة واحتراف اى حرفة مشروعة تختارها وخولتها حق الوصاية على أولادها وجعلت لها مصالح خاصة وعامة تستدعى اشتراكها فى التمثيل النيابى ما دامت مسئولة كالرجل امام العرف والقانون وامام المجالس الحسبية ومجالس المديريات فى إدارة شئونها .

ولما كانت المجالس النيابية إنما شرعت لتعبر عن إرادة الأمة ولتنظر فى مصالحها المشتركة فكيف اذن يستأثر بها الرجل وحده دون المرأة وهى نصف الأمة ولها مثل ماله من مصالح ومطالب ، وعليها مثل ما عليه من واجبات والتزامات بل ربما فاقت مطالبها مطالبه لاهتمامها بالتربية والاخلاق والصحة العامة والمسائل الاقتصادية ما دامت هى المعلم الأول والمربى والممرض والمدبر ، فوظيفتها الطبيعية تجعلها اكثر ارتباطا واهتماما بكل هذه المسائل من الرجل نفسه .

ثم طالبنا بجعل السادسة عشرة سنا أدنى لزواج البنت ليتسنى لها قبل الزواج تكوين عقلها وجسمها وتحصيل قسط مناسب من الثقافة والتعليم .

ثم نادى الاتحاد النسائى بإصلاح نظم الاحوال الشخصية فيما يتعلق بنظام الخطبة والزواج لتهيئة الجو للأسرة واستقرار الحياة الزوجية . وطالب بعلاج فوضى الطلاق ومنع تعدد الزوجات إلا للضرورة حفظا لكيان العائلة ومنعا من انهيارها . كما طالب بمد أمد حضانة الأم للطفل ومراعاة جانب المرأة فى شروط بيت الطاعة الذى يتخذه بعض الرجال وسيلة لإرهاق الزوجة و إرغامها على التنازل عن حقوقها ، وهذا مخالف لقوله تعالى "فامساك بمعروف أو تسريح باحسان" وقوله أيضا "عاشروهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف" الى غير ذلك مما حث الله جل شأنه به الرجل على حسن معاملة المرأة .

كذلك طالبنا بتحسين حالة الشعب الصحية بمعالجة الأمراض المستوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والرمد الصديدى والأمراض السرية الوراثية منها والمكتسبة وتقدمنا للحكومة باقتراحات الاتحاد النسائى الدولى لمحاربة هذا النوع الأخير . وأهم تلك المقترحات إلغاء البغاء الرسمى وفتح عيادات سرية لمعالجة هذه الأمراض . والتثبت من سلامة الزوجين قبل العقد من الأمراض السرية وغيرها من الأمراض الوراثية .

وطالبنا ايضا بمحاربة الرذائل والقضاء على البدع والخرافات ومقاومة ما هو ضار بالأخلاق كالخمر والميسر .

ولقد وفقنا — ولله الحمد — الى تحقيق معظم أغراضنا توفيقا كانت نتيجته تحقيق الاصلاح الذى تناول معظم نواحى حياتنا الاجتماعية . إلا انه يؤلمنا ان نعترف بأننا لم نصل حتى الآن الى تحقيق كل ما هو خاص بالأخلاق والصحة ، لأنه رغم المحاولات التى قامت بها الحكومات المتعاقبة ورغم الطلبات المتكررة التى قدمناها لمختلف الحكومات مازالت الحانات تفتح أبوابها لكل قادم وموائد الميسر منصوبة فى المتديات وما زال البغاء قائما وصمة فى جبين مصر الاسلامية .

ولم يأل الاتحاد النسائى جهدا فى نشر الثقافة فقام منذ نشأته بتنظيم المحاضرات العلمية والأدبية فى داره ، تلك المحاضرات التى كان يلقيها أكابر أهل العلم والأدب ويستفيد منها جمهور غفير من رواد العلم والثقافة .

ولقد اشترك الاتحاد النسائى المصرى فى المؤتمرات الدولية المنعقدة سنة ١٩٢٣ فى روما وسنة ١٩٢٥ فى جراتس وسنة ١٩٢٦ فى باريس وسنة ١٩٢٧ فى امستردام وسنة ١٩٢٩ فى برلين وسنة ١٩٣٣ فى مرسيليا وسنة ١٩٣٥ فى استانبول وسنة ١٩٣٦ فى بروكسل وسنة ١٩٣٧ فى بودابست وسنة ١٩٣٩ فى كوبنهاجن .

وكان لمندوبات مصر نصيب كبير فى بحوث وقرارات هذه المؤتمرات العالمية ، كما كان لهن شأن كبير فى الدعاية الموفقة لمصر فى الخارج بالقاء الخطب والمحاضرات فى المجتمعات والحفلات المتبادلة ، ونشر الأحاديث فى الصحف والمحافل مما أدى إلى دحض الافتراءات الكاذبة التى كانت تروجها الدعاية الأجنبية الضارة بسمعة بلادنا . وكانت تبلغ قرارات هذه المؤتمرات إلى عصبة الأمم وحكومات الدول للاسترشاد بها فى مشروعات الإصلاح . وتقوم الجمعيات المنتدبة من جانبها بتنفيذ ما هو فى دائرة استطاعتها أو السعى إلى تحقيقه بوسائلها الخاصة .

وإنه لمن دواعى فخر الاتحاد النسائى المصرى مساهمته مساهمة فعلية فى إلغاء الامتيازات الأجنبية بالدعاية الواسعة النطاق التى كان يقوم بنشرها فى كل مؤتمر دولى ضد هذا النظام الممقوت متخذا حجته فى ذلك أنه يعرقل فى مصر تنفيذ قرارات المؤتمرات حتى انتهى الأمر بأن أصدر مؤتمر برلين سنة ١٩٢٩ ومؤتمر استانبول سنة ١٩٣٥ قرارين باستنكار بقاء نظام الامتيازات الأجنبية بمصر وضرورة إلغائها وتكليف مندوبات الدول تبليغ ذلك إلى حكوماتهن ومطالبتها بالتنازل عن امتيازاتها فى مصر .

وهنا يروق لى أن أتلو على مسامعكم الكريمة البرقيتين المتبادلتين بينى وبين رئيسة الاتحاد النسائى الدولى الخاصتين بإلغاء الامتيازات الأجنبية ، وكنت أريد أن أقرأ البرقيات المتبادلة بينى وبين رفعة النحاس باشا ورئيس المؤتمر أولا ضيق الوقت :

مسز كوربيت آشبي ، رئيسة الاتحاد النسائي الدولي — لندن .

"نرجو أن تبرقوا لمؤتمر الامتيازات قراري مؤتمري برلين واستانبول بخصوص إلغاء الامتيازات بمصر ما

هدى شعراوي"

فوصل الي منها الرد الآتي :

أبعث إليك بصورة البرقية المرسلة مني عن الاتحاد النسائي الدولي إلى سكرتير مؤتمر الامتيازات بمونترو :

"الاتحاد النسائي الدولي للمساواة السياسية والمدنية بين الرجل والمرأة يذكر مؤتمر الامتيازات بالقرارين اللذين وافق عليهما المؤتمر النسائي الدولي ببرلين سنة ١٩٢٩ و باستانبول سنة ١٩٣٥ وفيهما الاعتراف بضرورة إلغاء الامتيازات الأجنبية إرضاء لمبدأ العدل الدولي. ولأن في هذا الإلغاء ما يمكن الحركة النسوية المصرية من القضاء على البغاء والرقيق الأبيض والمخدرات، و يفسح المجال لتحقيق برامج الإصلاح الاجتماعي ومن أهمها المساواة بين الزوج والزوجة في الجنسية .

كوربيت آشبي"

المؤتمر النسائي الشرقي :

لقد ساهمت المرأة المصرية بقسط وافر في مناصرة عرب فلسطين ودافعت عن قضيتهم العادلة دفاعا مجيدا فدعا الاتحاد النسائي في أكتوبر سنة ١٩٣٨ السيدات العربيات من أنحاء الشرق العربي إلى عقد مؤتمر نسائي في القاهرة جاء برهانا ساطعا على نهضة المرأة المصرية خاصة والشرقية عامة ، وكان فاتحة عهد ائتلاف و إخاء بين نساء الشرق العربي .

ومن نتائج النهضة النسائية الحديثة التي دعمها الاتحاد النسائي وأقام صرحها ظهور المرأة في ميادين العمل المنتج .

وها نحن نرى اليوم المرأة المصرية تحت إشراف حضرة صاحبة العصمة السيدة ناهد هانم سري وغيرها من فضليات السيدات في الهلال الأحمر تشد أزره وتؤدي له خدمات إنسانية عظيمة مادية وأدبية في هذا الظرف العصيب مضحية براحتها ومصالحها وبحياتها إن قضت الضرورة بذلك .

ولقد كان لرعاية حضرة صاحبة الجلالة مليكتنا المحبوبة وعطف حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلي وتشجيع صاحبات السمو أميرات البيت العلوي الكريم وحدبهن أكبر الأثر في نجاح هذه الهيئة الإنسانية .

وكذلك نرى المرأة فى ميدان الخدمة الاجتماعية تساهم بأوفر نصيب فى إصلاح حال الأسرة ورعاية الطفل ، ونراها فى المرشدات عنوان النشاط والرياضة البدنية التى تبنى جسمها وتكون عقلها وتهيئها للقيام بأعمالها ، كما نراها تؤدى واجباتها القومية والوطنية فى مختلف ميادين العمل على الوجه الأكمل بأمانة و إخلاص .

هذه صورة مصغرة من نهضة المرأة المصرية ، ولا إخالكم تنكرون ما جناه المجتمع من ثمار جهودها ، وأظنكم توافقوننى على أن المرأة التى استطاعت فى أقل من ربع قرن أن تؤدى بإخلاص وكفاءة مثل هذه الخدمات الجليلة لبلادها لا تنقصها كفاءة الزوجة الصالحة ولا تلهيها الأعمال العامة عن وظيفتها كزوجة وأم .

فليوفر الناقمون على المرأة انتقاداتهم ، وليكفوا عن مهاجمتها تلك المهاجمة العمياء ، فامرأة اليوم المثقفة العاملة ليست امرأة الأمس المستعبدة الجاهلة التى كان يقول الرجل كلما نزلت به كارثة "فتش عن المرأة" بل أصبح الرجل اليوم يفتش عن المرأة فى أوقات المحن والشدائد لتحمل عنه قسطا من مسئولية أعماله وتخفف من أعبائه .

ولا شك فى أن اليوم الذى تنهار فيه الفوارق الجنسية — وهو قريب إن شاء الله — ستبلغ النهضة النسائية فيه ذروتها ، وحينئذ ترفرف السعادة على الوجود ، ويسود السلام ربوع العالم وتغمر الطمأنينة نفوس البشر .

نضرع إلى المولى عز وجل أن ينقذ الإنسانية المعذبة من ويلات هذه الحرب القاسية وأن يشمل بلادنا بعنايته ورعايته ، وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول حفظه الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

هدى شعراوى

البنت مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

حافظ ابراهيم

تطور التقاليد
وتطور التفكير

لحضرة صاحب السعادة علي جمال الدين باشا

كل شيء في هذه الحياة يتطور ، ويتناوله التغيير والتعديل ، والتقاليد تتطور ككل شيء ، كلما مر الزمن وتغيرت الأحوال ، وجدّت أفكار تؤثر في المجتمع وفي الظروف التي تحيط به .

إلا أن تطور الأفكار أسرع من تطور التقاليد وأكثر حركة وعنفا ، فإن نظرية من النظريات العلمية أو فكرة من الفكر الفلسفية قد تحدث انقلابا علميا أو فكريا ، ولكنها لا تحدث مثل هذا الانقلاب في التقاليد الاجتماعية ، وقصارى ما تصل إليه أن تكون ذات تأثير في هذه التقاليد .

وكل حضارة من الحضارات البشرية ، يمكن تقسيمها قسمين : ثقافة ومدنية .

فأما الثقافة فتشمل الدين والفن والأساطير كما تشمل القواعد الخلقية والتقاليد الاجتماعية وما يتصل بها من أوضاع الحياة اليومية الخاصة والحياة الروحية العامة .

وأما المدنية فتشمل النظريات العلمية والفنون التطبيقية ، وكل ما يتصل بالفكر المجرد أو الحياة العملية من أوضاع .

وهذا التقسيم ليس حاسما ولكنه ملحوظ ، فالشعوب تستطيع أن تتبادل العلوم البحتة وتطبيقاتها العملية ، كما تتناول المذاهب الفكرية بلا صعوبة ، ودون أن تبدو هذه الأفكار والنظريات غريبة عن موطنها أو مرتدية غير ثوبها . ولكن العقائد والفنون والاخلاق والعادات لا تستطيع أن تنتقل من بيئتها الى بيئة أخرى دون أن تشعر بشيء من الغربة كثير أو قليل .

هذه ظاهرة ملحوظة في انتقال الثقافات والمدنيات بين الشعوب قديما وحديثا . وهناك ظاهرة أخرى ملحوظة كذلك في محيط الشعب الواحد ، وهي أن النظريات العلمية والمذاهب الفكرية دائبة التطور سريعة التغير ، أما الكيان الروحي والتقاليد الاجتماعية فتتمتع بشيء كثير من الثبات والاستمرار والمقاومة

وكلتا هاتين الظاهرتين طبيعية ودقيقة . فأما أنها طبيعية فلأن الفكرة يسهل قبولها في العقل كما يسهل تغيرها بظهور فكرة أخرى ، والنظريات العلمية خاضعة للتجربة تنفيها او تثبتها ومن العبث التعلق بها بعد بيان بطلانها

أما العقيدة وأما التقاليد وأما الاتجاهات الفنية والخلقية فمن الصعب اعتناقها ومن الصعب كذلك التخلى عنها . والتقاليد تنشأ من العقيدة والعادة ، وتأصل العادة فى النفس الإنسانية لايكون إلا بالتكرار فى أزمان طويلة .

وأما أنها نافعة فلأن الفرد والأمة لايضيرهما شيئا أن يأخذا بالفكرة بعد الفكرة ، وينتفعا بالتجربة العلمية بعد التجربة. ولكن يضرهما كثيرا ويقلق حياتهما أن يعيشا فى ظل عقيدة مضطربة وأخلاق مقلقة وتقاليد مضعضعة .

ونخلص من هذا كله الى نتيجة مقصودة: هى وجوب احتراسنا فى نقل الأخلاق والتقاليد وطرائق الفنون الأجنبية كلما نقلنا الحضارة المادية والنظريات العلمية . فذلك شىء وهذا شىء آخر فى حياة الشعوب

على أن تحقيق هذه النتيجة ليس من السهولة كما يبدو من هذه التفرقة. فالنفس الإنسانية وحدة يصعب تقسيم قواها المختلفة، ومحاولة التقسيم تحتاج إلى قوة فى الإرادة ونضج فى الفهم وتدرج فى الأخذ بالجديد من كل شىء تدرجا يتفق مع الموروثات القديمة ولا يصطدم معها اصطداما عنيفا ينشئ القلق والاضطراب .

ولكننا نندفع اندفاعا شديدا فى تقليد الغرب، غير مراعين هذه التفرقة بين الثقافة والمدنية وبين الروحيات والماديات .

وفينا من يقول: إننا قد أخذنا من الغرب أدواته وآلاته فيجب أن نأخذ كذلك تقاليده وعاداته. وقد حدث بالفعل أن أوساطا كثيرة فتنت بريق هذا المنطق العقلى ، وغلبها التقليد الاجتماعى ، فسارت مسرعة مندفعة فى هذا التيار الشديد .

وهؤلاء المتحمسون لأخذ كل شىء وتقليد كل شىء ينسون الحقيقة الواقعة، وهى أن الشعوب تخضع فى تقاليدها لعوامل غير فكرية ، تخضع للعقائد الكامنة فى النفوس، وتخضع للعادات التى تكونت بمرور الزمن فى آلاف السنين ، وتخضع لعقلها الباطن الذى لا يسيطر عليه الفكر والمنطق .

وليس يكفى أن ألبس الثوب الإفرنجى لأصبح افرنجيا فى شعورى وإحساسى ، بل لا بد من الزمن الطويل والبيئة المتشابهة والعوامل الخفية التى تعمل فى بطء وعلى مهل لتغيير الشعور وتبديل الإحساس .

على أن الشعوب الغربية قد لقيت عاقبة إسرافها فى المادية وإغفالها شؤون الروح ، وجاءت هذه العاقبة فى صورة الصراع الدموى القاتل بين شعوبها . وسبق هذا الصراع انحلال خلقى واجتماعى ، وبخاصة فى فرنسا التى كانت قد أوغلت فى البعد عن الدين وعن القيود الاجتماعية .

وكثيرا ما شكا كتابهم ومفكروهم من إهمال الروحانيات فى حياتهم ، فلم يسمع لهم المندفعون فى تيار المدنية المادية ، الغارقون فى الليالى الحمراء واللذائذ الكراء .

لقد اتجه الغرب اتجاها ماديا بحتا ، فكانت النتيجة أن استخدم العلم فى تحطيم الحضارة ، والاختراع فى تكديس آلات التدمير وأدوات التخريب .

ولو كان للغرب " روح " لأحال هـذه الأرض فردوسا بالعـلم والاختراع ، ولخدم الإنسانية بمجهوداته الفكرية المنظمة . ولـكن الغرب جسد مادى دب فيه الفساد ولا بد له من روح تعيده الى الرشاد

إن هذه الروح التى تنقص الغرب مكنوزة عندنا فى الشرق . فنحن لا نزال — والحمد لله — بنجوة من جموح المـادية إلى الحد الذى ابتلى به الغربيون . ولا نزل نستمسك بخيوط كثيرة من ثقافاتنا الروحية التى يجب أن نستميت فى التعلق بها ، كما يجب أن نحاول إنقاذ الغرب المريض بالمـادية عن طريق كنوزنا الروحية .

إلا أننا مهددون من ناحية أخرى بطفرة فى التقاليد جاءتنا بها التقاليد التعسة التى أنشأتها المدنيات الصناعية فى بلاد غريبة عنا ، بعيدة عن جونا النفسى ومحيطنا الاجتماعى .

ومن هنا أصبحنا نرى فى المجتمع المصرى نوعا من التفكك والاضطراب العجيبين . ذلك أن التناسق والانسجام فى هذا المجتمع لا وجود لهما ، فلسنا شرقيين ولسنا غربيين .

ففى مصر حفلات ساهرة راقصة فى بعض الأوساط يبلغ الاختلاط فيها أشنع أشكاله وأقبح صوره ، وفيها كذلك بيوت تحرم رؤية أبناء الأعمام والعمات لبنات الأعمام والأخوال . وهؤلاء وهؤلاء يعيشون فى عصر واحد وعلى بعد أميال .

لا بل إن التناقض ليبدو أوضح من ذلك . فلو فرضنا أن واحدا وواحدة من المتلاصقين فى المرقص أدركهما الأجل المعلوم ، لحرمت التقاليد دفنهما متجاورين فى مقبرة ، لأن المرأة لا تدفن مع رجل أجنبى ! ولوجد أهلهما الذين يسمحون بتلاصقهما فى الحياة أنهم لا يستطيعون مخالفة التقاليد بدفنهما متجاورين بعد الوفاة !

هذا مثل واضح للتناقض الصارخ بين تصرفات بعضنا وإحساسه الباطنى . وما أشك فى أن أولئك الذين يوغلون فى تقليد المجتمع الأوربى لا يناقضون الوسط فحسب ، ولكن يناقضون وجداناتهم وما كمن فيها من الوراثات الراسبة فى الأعماق .

أعتقد أنهم يضغطون عواطفهم الشرقية ضغطا شديدا ، وهم يرون زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم فى أحضان رجال غرباء . ومهما يكن كبتهم لحقيقة مشاعرهم ، فإن هذه الفرنجة قشرة ظاهرة تكمن تحتها مشاعرهم الحقيقية ، وقد تسبب لهم متاعب نورستانية وهيستيرية لا يعلمون أسبابها الأصيلة .

إن التقاليد والعادات فى حاجة إلى البطء والتضوج الهادئ حتى تتحور وتتغير، ولا يكفى فى تغييرها مجرد الاقتناع الفكرى أو الرغبة فى التجديد . فأثقال الماضى ، ورواسب العادة لا تكتسح اكتساحا ، ولكن تتفتت وتذوب بعد الزمن الطويل والعلاج الكثير . والزمن وحده أكبر المؤثرات .

على أنه من الخطل فى الرأى أن نحاول تفتيت شخصيتنا الشرقية وتحطيم كياننا الاجتماعى لمجرد التقليد والتحلل من الوضع القومى الذى اشترك التاريخ والبيئة فى تكوينه .

فماذا نكون بعد أن نفلح فى هذا بعد الجهد الجهيد ؟

إننا لا نكون شرقيين ولا نكون غربيين . ولكنا نصبح خليطا عجيبا ومسخا شائها بين هؤلاء وهؤلاء .

ومحال أن نجد الاحترام الذى ننشده بين أمم العالم حين ذاك . فلا الشرق يعرفنا لأننا خلعنا رداءه ، ولا الغرب يقبلنا لأننا سنظل غرباء فى حقيقتنا عنه . وهذا هو الضياع والبوار .

لقد سبقتنا أوربا فى المدنية الصناعية ... هذا حق . ولكن هذا السبق ليس خيرا كله . فقد رأيناها تحيد عن التفكير السليم فتجعل من التقدم الصناعى وسيلة للتحطيم والتدمير . وقد برزت وحشية القرون الأولى من خلال المدنية الأوربية ، وانتكس العالم على يديها الى شريعة الغاب وقانون الأدغال .

أما الأخلاق وأما الروح فقد فسدت وتعفنت وضاعت تحت أكداس الآلات وأثقال الماديات ، فلا دين ولا أسرة ولا خلق ، ولا قيدا واحداً من القيود الاجتماعية التى تحبت الإنسانية فى صوغها لتصون بها كيانها وتكبح بها جماحها .

هذه أوربا اليوم جائعة مريضة منحلة متوحشة ينهش بعضها بعضا ، بعد سنوات كثيرة من القلق والحيرة والاضطراب ، أدت الى هذا السعار والولغ فى الدماء .

نعم سبقتنا أوربا فى المدنية الصناعية . ولكن كنوزنا الروحية الكامنة فى الدين والفن والتقاليد ليست قليلة ولا رخيصة . وليس لدى أوربا اليوم ولم يكن لديها فى أى وقت مضى ما هو أنفس منها . وهى مع ذلك مقومات شخصيتنا القومية ومميزات محنتنا المعنوية . فالتخلى عنها نوع من نكران الذات واحتقارها .

وقد يكون فى بعض تقاليدنا جفاف وقسوة . ولكن هذا لم يكن شرا كله ، فقد صدّ تيار التقليد عن البيئة المصرية الصميمة فى الريف ، واحتفظ لمصر بشخصيتها الخالدة .

وربما كان من الضرورى تهذيب هذه القسوة ، ولكن يجب أن يسير هذا التهذيب برفق ويتمشى بحذر ، حتى يبقى المصريون مصريين ، فى عهد الوطنيات والقوميات ما

على جمال الدين

التضامن الاجتماعى

طريق السلامة القومية

من القوانين التى لقيت معارضة شديدة فى إصدارها قانون ضريبة الأرباح الاستثنائية ، وقانون عدم جواز الحجز على القوت الضرورى للفلاح وفاء لإيجار الأطيان .

وللمعارضة الشديدة فى مثل هذه القوانين التى يراد بها إما زيادة العبء على الثروات الكبيرة وإما تخفيف بعض الأعباء عن الطبقات المحرومة — دلالة واحدة ، وهى أن روح التضامن الاجتماعى لاتزال فينا ضعيفة أو معدومة ، أو أن التضحية المحتملة فى سبيل المجموع لاتزال عسيرة على النفوس ، وبالأخص فى المسائل المالية .

ومهما يكن لهذه الدلالة من معنى ، فإن مجرد الاتجاه الذى أوحى للدولة بسن هذين التشريعين وأمثالهما كقانون التعويض عن إصابة العمل ومحاولة سن قانون النقابات هو خيط النور المبشر بالفجر الجديد .

ذلك أن التفات الدولة إلى هذه الناحية دليل على كثير من النضوج فى التفكير الاجتماعى الذى يفهم أن مجموعة قوى الأمة كالأنابيب المستطرقة متصل بعضها ببعض ، وأن كل إنعاش لإحدى الطبقات يعود على الجميع بالخير والسلام .

والأمم التى سبقتنا فى الإنتاج الصناعى عرفت بالتجربة أن نجاح صناعاتها لايتوقف على رءوس الأموال ، ولا على حسن الإدارة ، ولا على الربح الكثير فى مبيعاتها ، بمقدار مايتوقف على تنشيط الاستهلاك ورفع المقدرة على الشراء ، وذلك بزيادة درجة الرخاء العام وبرفع أجور العمال والموظفين فى أحيان كثيرة أو صرف إعانات لم ترفع مستواهم المادى وتزيد مقدرتهم على الشراء والاستهلاك !

والنظرة القصيرة وحدها هى التى تريد أقصى حدود الربح مع احتكار الفائدة ، ولاتفكر فى نشر الرخاء العام بمعاونة الطبقات الفقيرة التى هى غالبية الشعوب ، والتى هى المستهلك الأعظم للإنتاج .

فالمنتج والمستهلك شريكان فى الحياة الاقتصادية، وما يعود على أحدهما من النفع يفيض على الآخر بحكم التبادل . وزيادة التبادل وقف على ارتفاع المستوى العام للشعب ، بل للشعوب جميعا .

والأجور المرتفعة — إلى الحد المعقول الذى لا يضر الإنتاج — والمحافظة على مستوى معقول للطبقات العاملة بالتخفيف عن كاهلها من الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، وتوفير قدر من الضروريات لها لا يجوز الحجز عليه ... كل أولئك خليق بتشجيع هذه الطوائف على الاطمئنان والاستهلاك، وعائد فى النهاية على الطبقات التى تدفع الأجور وتتولى تصريف الإنتاج.

وكما أن توفير بعض الرخاء المادى لمجموعة الشعب يثمر هذه الثمرة الطيبة، كذلك يساعد التعليم على نوع من الرقى الاجتماعى يتطلب الحياة فى مستوى خاص، تنشأ عنه زيادة فى الاستهلاك وزيادة فى الرخاء .

فكل قرش ينفق على التعليم وعلى ترقيــة المستوى الاجتماعى بأية وسيلة من الوسائل ، ولو أدى مؤقتا الى زيادة بعض الأعباء على القادرين وتخفيف بعضها عن المحرومين ، ليس قرشا ضائعا على هؤلاء أو هؤلاء، بل سيرتد إلى الجميع نشاطا فى التبادل ورواجا فى التعامــل وثروة عامة تصيب مرافق البلاد .

والتضامن الاجتماعى — بهذا الوصف — سمة أصيلة من سمات الديمقراطية . ونحن قد اخترنا الديمقراطية نظاما للحكم ، فيجب أن نشرب روحها الحقيقية ، وأن نتيقن أن الدساتير والمجالس النيابية وسيلة لغاية أعظم منها ، وهى حكم الشعب لنفسه ، وتوازن القوى العامة فى الأمة .

ومن أول مظاهر التوازن الشعبى هذا التضامن الاجتماعى فى الأعباء . هذا التضامن الذى فهمته انجلترا جيــدا وطبقته أمريكا عمليا ، فسلمت كلتاهما من الرجات الاجتماعية والقلاقل الحزبية القائمة على مبادئ اقتصادية فى كثير من الأحيان .

وهذه السمة فى الديمقراطيتين الكبيرتين هى الواقية من المذاهب المتطرفة . فالشيوعية مثلا لا تجد لها مجالا فى محيط متوازن متضامن كالمحيط الانجليزى ، أو محيط مرن متسامح كالمحيط الأمريكى . وكذلك لا تجد النازية سبيلا إلى مجتمع ينعم بهذه المرونة وذلك الاتزان مع الحرية الشاملة لجميع الأفراد وجميع الطبقات .

وإذا كانت انجلترا أو أمريكا قد وجدتا فى هذا التضامن الاجتماعى وسيلة طيبة لتحقيق السلامة القومية والسعادة الاجتماعية، وهما الأمتان الغنيتان المتسعتا الموارد ، فنحن فى مصر أحوج لهــذا التضامن نستعين به على نقص مواردنا العــامة وانخفاض مستوانا الاقتصادى والاجتماعى .

أجل نحن أحوج ما نكون إلى هـذا التضامن نعالج به أمراضنا المزمنة المستعصية ، ونخلق به شعبا جديدا يليق بكرامة وادى النيل وتاريخه السابق ومستقبله المرموق . ونجعل به للاستقلال الذى حصلنا عليه قيمة وطعما عند جميع الطبقات .

ويحسن أن نؤمن فى أعمـاق نفوسنا أن بقاء الحال من المحال ، وأن المستوى الحالى للشعب المصرى لا تستقيم معه حياة فى معترك دولى البقاء فيه للأصلح ، لا فى ميدان الحرب وحدها بل فى جميع ميادين الجهد البشرى المعروفة .

من المحال أن يشق شعب طريقه فى الحياة ونسبة الأمراض إلى نسبة سكانه هى ثلاثة إلى واحد ونحو عشرة ملايين من سكانه يخط دخل الفرد منهم إلى أربعة جنيهات فى العام ، ويشرب المـاء الكدر الملوث على مدار السنة ويمشى حافيا ، بينما دواب الركوب تنعم بمـا يشبه النعال .

لا أريد أن أندفع فى تصوير حماسى للحالة ، فذلك هو الواقع الذى لا تجدى المكابرة فى إنكاره . وهو الواقع الذى تخشى معه الهزيمة فى ميدان النضال العالمى ، أمام شعوب صحيحة متعلمة راقية الاجتماع .

وإنه لمن قصر النظر أن يضن الميسورون بمـا فى طوقهم وأن يتأففوا ويتبرموا حين تفرض عليهم الدولة بعض الأعباء الاستثنائية التى لا تعـد شيئا بالقياس لمـا يحتمله أمثالهم فى الشعوب الأخرى ، أو حين تهم بتخفيف بعض العبء عن الطبقات العاملة المحرومة .

أقول : إن هذا من قصر النظر ، لأن هزيمتنا فى ميدان النضال العالمى — بسبب الفقر والمرض والجهل — لا تقتصر آثارها على الجماعات الفقيرة بل تشمل الجميع . وإذا هزمنا فسنهزم كأمة وينال كل فرد وكل طبقة نصيبه من هذه الهزيمة .

ومن هنا يبدو الخطر البين فى إضعاف بعض طبقات الأمة وإفقارها وإهمالهـا بحكم الأثرة الفردية أو حرص بعض الطبقات على مافى يدها من متاع ، وهو خطر من حق الدولة أن تتلافاه بالتشريع المنظم الواقى من الهزات الاجتماعية .

ومن هنا يتضح كذلك أن النظام القديم للضرائب الذى لم تلاحظ فيه القواعد الاقتصادية الحديثـة كان واجب التعديل ، وقد بدأت الدولة المصرية تأخذ فى حذر ببعض النظريات الجديدة تدريجيا حتى لا تحدث هزة اقتصادية أو اجتماعية ، مثال ذلك نظام الضرائب الجمركية فقد كان ينظر إليهـا كمجرد مورد من موارد الدولة . ولكن الحقيقة أنه مورد ذو حدين فيجب الاحتراس فى استعماله ، فالضرائب الجمركية يؤديها المستهلكون جميعا ويستوى فيها القادر والعاجز والغنى والفقير ، فمن الضرورى الاقتصاد فيها إلى أدنى حد ولاسيما فى الضروريات والاستعاضة عن النقص فيها بالضرائب المباشرة على رءوس الأموال التى نملك تحديدها وملاحظة العدل الاجتماعى فى هذا التحديد ، وينبغى البدء فى ذلك بمجرد زوال الحالة الاستثنائية التى خلقتها الحرب والعودة إلى الحالة الطبيعية .

و إذا نظرنا إلى التضامن الاجتماعى فى مسألة التعليم وجدنا مظهرا غريبا، فالتعليم العام فى انجلترا مثلا مباح للجميع ، والتعليم الثانوى فى فرنسا كذلك . والدولة هى التى تتولى عن التلاميذ هذا العبء بما تجبيه من الضرائب المتدرجة على رءوس الأموال . أما فى مصر فالخزانة العامة ومعظم إيرادها ضرائب غير مباشرة أى مأخوذ من جيوب الفقراء هى التى تتحمل نفقات تعليم أبناء الميسورين الأغنياء !

وتأويل هذا أن الدولة لاتتقاضى ممن يتعلمون تعليما عاليا إلا ربع ما تنفقه عليهم من النفقات فى بعض الكليات . وهؤلاء فى الغالب هم أبناء ميسورى الحال . وهم بكل تأكيد ليسوا من أبناء الفلاح الأجير ولا العامل باليومية .

فكأننا نحرم الفلاح البسيط والعامل الصغير من بعض قوته اليومى فيمرض ويعيش فى جهل وفاقة، لنؤدى عن أبناء الأغنياء بعض نفقاتهم المدرسية. وهو وضع تحسن معالجته برفع النفقات المدرسية فى هذه الكليات مع إعفاء ابناء الفقراء إعفاء كليا منها كى لا يصبح التعليم احتكارا لطائفة خاصة ، وتصبح وظائف الدولة والأعمال العامة فى أيدى هذه الطائفة كذلك .

أما ما يوفر عن هذا الطريق فيحول للتعليم الإلزامى وهو وحده الذى يستفيد به أبناء عشرة ملايين من السكان الفقراء .

* * *

و بعد فقد اقتصر حديثنا إلى هذه اللحظة على التضامن المادى . ولكن التضامن الاجتماعى لايقتصر عليه و إن يكن هو أهم مظاهره . فالشعور بهذا التضامن هو الذى يدفع إلى التطوع للأعمال العامة وللتضحية الفردية فى سبيل المجموع ، وهو الذى يدفع الفرد لمنع الضرر عن غيره ولو لم تكن هناك مكافأة أو جزاء، وللتدخل لحماية المظلوم والضعيف ورعاية المنشآت العامة والتبرع لمختلف أعمال البر

و بالجملة يدفع هذا الشعور إلى كل الفضائل الاجتماعية المعروفة : فشعور الفرد بأنه جزء من مجموع وأن هناك مصالح مشتركة بينهما هو الذى يدعوه لرعاية حقوق هذا المجتمع والعمل على خيره ودفع الشر عنه ، وهو الذى يؤدى فى النهاية إلى مجتمع صالح للحياة .

وعلينا أن نمى هذا الشعور فى نفوس الأفراد والجماعات . وللتعليم بصفة عامة يرفع من درجة هذا الشعور و يوسع مداه . ولكن عطف الأقوياء على الضعفاء من أشد دواعى التضامن وتقنيم أظافر الحقد الطائفى والفردى فى النفوس، ذلك الحقد الذى يدعو إلى الجريمة كما يدعو إلى التفكك والانحلال والاضطراب .

تطور الملابس

لحضرة صاحب العزة محمود حسيب بك

مدير البحيرة

إن بحث موضوع تطور الملابس لأهم من أن يظهر لأول وهلة إذ أن الملبس يختلف عما يعبر عنه بالزى، فالأول مقصود به كساء الجسم بأية وسيلة بصرف النظر عن تأثير شكله على الغير، بينما الثانى مقصود به إشباع غريزة حب الظهور بسبب ما تميل اليه النفس البشرية من العجب والخيلاء وحب الظهور بمظهر جذاب ، وهـذه التفرقة لا تستند إلى أساس علمى متين إلا أنها ظاهرة طبيعية محققة . وليست المودة التى هى استحداث الزى وابتكاره من طبيعة أخلاق الانسان وفطرته إنمـا هى مظهر سببه اختلاف الأفكار فى سائر الأقوام، فالمرأة المسلمة تستر كل جسمها ما عدا الوجه والكفين بينما المرأة السومطرية تخفى جسمها إلى الركبة، والصينية تعنى بضغط قدميها، وفى أواسط آسيا يظهرون السرة وفى تاهيتى وتنجانيقا يطرحون الملابس ظهريا ويتزينون بالوشم وعند الكاريبيين يعنون بحزام الوسط بينما فى الاسكا يهتمون بصمامات الفم المعدنية . ولبيان مدى تباين الأفكار بشأن الزى وضع "باسكال" فرضا قال فيه : " لو أن أحد شيوخ فرقة الأندلسية من المسلمين القدماء بعث الآن وشاهد مناكب بناتنا ونسائنا العارية فى حلقات الرقص لعرته الدهشة لسفورهن ولأشفق على هذا الجيل من غضب الله" وقال فى نظريته عن الملابس "إن هناك تباينا حتى بين الأقوام التى تعيش فى عصر واحد، فاليابانى مثلا لا يرى غضاضة من استحمام الجنسين معا مجردين من الملابس بينما الانكليزى يحتم حتى فى الحمامات غير المختلطة ارتداء ثوب الاستحمام المتعارف عليه، بل إن كثيرا منهم يشمئز من العرى الذى يلجأ اليه الفنانون والمثالون فى عملهم ولوحاتهم" ويستطرد باسكال فى نظريته فيقول : " إن الاختلاف حتى فى نفس القوم فى الجيل الواحد وفى الزمان والمكان فى البلد الواحد، فالمرأة الأوربية مثلا يجوز لهـا أن تكشف بعض أجزاء جسمها فى المراقص ودور المسارح "السواريه" بينما لا تفعل ذلك فى الطريق أو أثناء النهار وأيضا لا تستبيح لنفسها أن تبدو فى المدينة بثوب الحمام الذى ترتديه على الشاطئ .

أما المودة أو استحداث الزى فليست من المسائل العويصة العسيرة الفهم . وللكشف عن أصولها يجب أن نرجع إلى القبائل التى ما زالت على الفطرة فى أفريقيا وأمريكا الجنوبية حيث تقل الملابس إلى أبعد حد فانها هنالك باقية على فطرتها تصنع من جلود الحيوان، وتتخذ

من أوراق وفروع الأشجار وتستعمل لمجرد الوقاية من الحشرات. أما المغزول منها فغير معروف عندهم .

وكثير من أشكال الملابس فى معظم العصور روعى فيه جذب انتباه كل جنس إلى أجزاء جسم الجنس الآخر، وهو ما يعبر عنه بالاشارة إلى الهدف المستتر، كما روعى فيها بالتالى تمييز كلا الجنسين عن الآخر، و إن تطورها يتجه دائما الى لفت النظر إلى الأجزاء المقصودة عن طريق إخفائها وذلك أكثر تحريكا للعاطفة من أى مؤثر آخر حتى لتبدو بعض الملابس أقل احتشاما من العرى الكامل نفسه، وأخيرا عندما تفقد الملابس كل تأثير لها يتجه الفكر ثانية الى العرى الجزئى .

وهناك ملاحظة أعنى بذكرها هى : إن أول مرة يرتدى فيها أحد أفراد قبائل العراة الملابس يبدو عليه الارتباك الذى نشاهده على أوربى اضطر الى خلع جميع ملابسه والسير عاريا وسط الناس — وهذه الحقيقة مضافة إلى ما سبق ذكره تبين لنا أن المودة ما هى إلا شعور جديد للظهور بمظهر كثير الجاذبية فوق المعتاد، وأن المودة هى نتيجة للملبس وليست سببا له ، وليس انتفاء تأثير الجو إلا سببا ثانويا فى الملبس بينما السبب الأول هو رغبة المرأة والرجل فى أن يجذب كل منهما الآخر .

ومن يتأمل فى الأطوار التى مر بها الانسان من عهد الفطرة الى الزمن الذى فكر فيه فى الملابس يلاحظ أنه فى الدور الأول منها قد عمد الى ضغط قدمه وتصغيرها كما لا يزال يفعل الصينيون ذلك إلى الآن ، كذلك عمد الى تصغير خصره كما لا يزال يفعل الأوربيون أيضا ، وكان الدافع الأول الى ذلك هو الرغبة فى الظهور بمظهر جذاب مغر ، وفى الدور الثانى بدأ الانسان يفكر فى المزيد من الزينة والزخرف وانتهى به الأمر الى تزيين جسمه بالوشم والرسوم ، منها ماقصد به الزينة فقط ، ومنها ما اتخذه سبيلا لإخفاء ما بجسمه من الجروح والندوب والعيوب، وفى الدور الثالث بدأ الانسان يضيف إلى زينته أدوات خارجية للزينة فوضع الأقراط فى أذنيه والعقود فى رقبته وصف الريش فى شعره وتمنطق بالزينات فى خاصرته.

ومما يجدر ذكره أن الرجل فى هذه العهود الاولى كان أكثر زينة من المرأة وأن الملابس حتى القليل الذى كان موجودا منها لم يكن يظهر إلا فى حفلات الرقص والطعام .

وقد لعب المناخ دورا فى تطور الملابس، ففى المناطق الشديدة البرودة عنى الانسان باخفاء جسمه كله اتقاء للبرد بينما فى المناطق الأخرى اكتفى بلباس بسيط يستر عورته عن العيون، لذا نشأت فى تاريخ الانسان فكرة الاكتفاء بلباس قصير يستر الجسم من البطن الى الركبة ، ويجعلوه محاكيا لشكل الجسم فى العصور التالية بدل الاكتفاء بقطعه قماش يلفون بها هذا الجزء مرة أو مرتين ، بل يقرر الدكتور ث. هـ. ستراتز أن المرأة ارتدت هـذا السروال القصير فى بعض العصور وخاصة السنغاليات وكانت المرأة منهم تقوم بأعمال تزيد على متوسط قوتها كما هو فى بلجيكا، إذ تعمل فى المناجم ، وفى سويسرا إذ تعمل فى استخراج البترول والرعى ، وبذلك بدأت الملابس تجمع مراعاة المناخ والعوامل الجوية إلى جانب التأنق والزينة .

ولقد كانت الملابس فى عهد الأشوريين والبابليين حوالى (٣٠٠٠٠ — ٢٠٠٠٠) قبل الميلاد تتألف من ثوب يغطى أحد المنكبين ويترك الآخر عاريا ويلتف حول الجسم وليس به أى مخيط ويكشف نصف صدره تحت منكبه العارى كما يكشف عن جزء من الساق المقابلة لهذا المنكب من الجهة الأخرى، فكأنه احرام قصير، ويزين رأسه بضفيرة من الليف يعصب بها رأسه وجبهته، وتعمد النساء إلى وضع ضفيرتين أو أكثر ويرتدين ثوبا يغطى كل الجسد بلا أكمام، وكان رجال الدين يحلقون رءوسهم كما يفعل ذلك ملوكهم وعظماؤهم وكانوا يلبسون ما يشبه القبعات وتلك هى شارة العظمة والسلطان عندهم كما أيد بعض الباحثين ذلك بأن الملابس كانت فى أحد أطوارها شارة للقبائل وعظمتها، وكان الأشوريون يزينون بها آلهتهم الحجرية ثم تدرجوا منها إلى إحاطتها بقماش جعلها شديدة الشبه بالعمامة ، أما المحاربون فيرتدون قبعات بدون حافة من النحاس تغطى كل الرأس وكانت قبعات الملوك الحربية تصنع من الذهب وهى أشبه بالخوذ إلا أنها أطول منها وأكثر انسدالا على الوجه بقصد حمايته. وكانت النساء تزيد على الرجال فى تصفيف شعورهن ووضع حزام فى خصورهن ورباطات للرأس ومشابك للشعر ونقل البابليون كثيرا عن الأشوريين وزادوا عليهم تربية اللحى ثم ارتدوا ما يشبه السروال ثم قلد السالدانيون البابليين وارتدوا رداء مماثلا لهم ثم انتقل هذا الرداء أيضا إلى الفارسيين ودلوا شعورهم إلى مناكبهم وأكثروا من العقود، أما المرأة الفارسية فلا يعرف عنها إلا أنها تزينت بالأساور فى معاصمها .

أما الملابس فى عهد مينوان والعصر البرنزى باليونان فإنها كانت متأثرة بالمناخ حيث مرتفعات الجبال فكانوا يرتدون البنطلونات ملتصقة بسيقانهم ويربطون عليها حزاما عريضا جدا، وفوق صدورهم قميصا قصيرا ويرى ذلك بارزا فيما خلفوه من التماثيل والرسوم وكانوا يشدون الاحزمة على خصورهم حتى تبدو أقل حجما واعتنوا بزركشة الملابس وخاصة النساء اللائى كان لباسهن يزيد على الرجال شيئا يشبه العباءة أو الكبود الذى كان مستعملا فى كريت فى ذلك الوقت وهو نوع من المعاطف القصيرة ويلبسون فى أقدامهم الصنادل من الليف أو جلد الماشية ، وكانوا يرسلون شعورهم بطولها الطبيعى ولم يكن يقصها الا رجال الدين بقصد تقصيرها بعض الشىء ، أما النساء فكن يقصصنها . وفى كنوسس ارتدوا على الرأس عمامة تشبه العمامة الاسلامية ومدلاة منها من الخلف قطعة من القماش الى الظهر — وذلك ما يعرف عندنا بالعذبة — كما يفعل ذلك الهنود المسلمون واشتهرت نساء كنوسس بعقص الشعر وأكثرن من المشابك والاطواق .

ورداء المرأة لم يكن جميلا فى القرون الأولى بالنسبة لأردية الرجال على عكس الحالة الآن فسبحان مغير الأحوال. على أن ذلك يخالف ما ذهبت اليه إحدى الباحثات من أن المرأة أغرمت بتجميل نفسها بأنواع المساحيق والاصباغ ومختلف الملابس المزركشة والحلى

حيا فى الوصول الى درجة الرجل الذى ميزته الطبيعة عنهن بمميزات أخرى كاللحية والشارب كما ميزت كل ذكر من أنواع الحيوان، فالديك العرف الجميل، والذكر الطاووس المنظر الحسن، وللأسد شعره الكثير المتناثر حول رأسه، وكذلك معظم أنواع الذكور من الحيوانات .

أما الملابس المصرية القديمة فقد كان لكل طبقة من قدماء المصريين لباس خاص يتناسب مع مراكز أفرادها ، فكانت العامة تلى شعورها ولا يغطون رءوسهم ، بينما الملوك يلبسون قبعة من الجلد بسيطة المظهر كما ظهر فى مقبرة " أبيدوس " ، بينما كان النبلاء يضعون على رءوسهم قبعات من القماش ويحلقون لحاهم ، وكانوا يرتدون ثلاثة أثواب بعضها فوق بعض ، أحدها ثوب كالفستان الذى ترتدية المرأة أو كالجلباب وفوقه صديرية قصيرة كالتى يرتدها الفلاحون فى الحضر، وفوق ذلك عباءة مربوطة من عند الرقبة وتتدلى خلف الظهر وبلا أكمام ، وفى عصر رمسيس كان الرجال يحلقون رءوسهم ويستبقون خصلة من الشعر فى قمة الرأس ، وهذه الطريقة باقية إلى الآن وخصوصا عند بعض الشبان من العرب والفلاحين ، بينما كان رجال الدين يحلقون كل رؤوسهم ، وفى العصر الذى حكم الرومان فيه مصر كانوا يدلون شعرهم على الجانب الأيمن للوجه ويحلقون الجانب الأيسر على النسق المسمى بالمقصوص ، وكانت ثياب العمال مكونة من جلباب قصير وأرى أنه لباس يلائم حالة الفلاح ، واستعمل المصريون الأقراط كالأسيويين ، وقد وجدت مع المومياات التى عثر عليها ، ولبست النساء ملابس أولية زرقاء اللون عادة تشبه الجلباب تتدلى إلى أسفل القدم ، وارتدين قصدانا داخلية أقصر منها قليلا ، وفى عصر العمارنة تقدمت المودة عن أى عهد سبق فارتدوا شعورا مستعارة وأطال الرجال شعورهم وتحول الرداء فأصبح يغطى كل الجسم ، ولبسوا صندلا من الليف فى أقدامهم وقد وجدت مومياء رجل مدفون فى مقبرة امحتب الثانى بهذا الوصف .

وملابس اليونان والرومان يعرف عنها الكثير مما تركوه من تماثيل وخلفوه من لوحات وصور . واشترك اليونانيون والرومان فى ارتداء ثياب مماثلة فاستخدموا الثياب الفضفاضة المكونة من قميص واسع فى وسطه حزام عند الخصر وفوقه عباءة تغطى كل الظهر حتى الركبة وهذا الرداء كان للرجال ، أما النساء فلم يستخدمن إلا عباءة صغيرة كالحرملة فوق القميص الطويل حتى القدم ، وكان الرجال الممتازون أعضاء السناتو "مجلس الشيوخ الرومانى" يرتدون حول جبهتهم اشرطة زاهية اللون شارة النبل والامتياز ، وقد صنعوا ملابسهم من الصوف وتفننوا فى صبغه بالألوان الزاهية. وفى آخر عهدهم استخدموا القراء فى صنع قبعات بسيطة أو معاطف قصيرة ولبست النساء على رءوسهن ما يشبه العمامة منها او من القماش وعادت فأصبحت مودة الآن ، وفى عصر الامبراطور تراجان الرومانى بدأوا بارتداء بنطلونات قصيرة

من الخصر إلى الركبة وقمصان وعباءات واتخذوا الأحذية من الجلد ولم يكن لها كعب وبقى لها الرباط الطويل .

وفى القرون الوسطى بدأت تتعدد الأزياء فكان الفلاح الفرنسى يرتدى بنطلونا طويلا ملتصقا بجسمه وجاكتة طويلة إلى الركبة مفتوحة من الصدر بها زر واحد عند الرقبة وتتسع فتحتها كلما اتجهت إلى الوسط ، ولبس الجنود نوعا من المعاطف متصلا به غطاء للرأس ويلبس المدنيون فوق البنطلون الضيق "تروا كار" عباءة مقفلة إلى ثلاثة أرباع طولها كمعاطف السيدات فى الوقت الحالى ، وكان الرجل منهم يحمل فى يده حقيبة من الجلد تحاكى حقائب السيدات فى هذا العصر يضع فيها حاجياته إذ لم تكن الجيوب عرفت بعد .

وأما السادة فى عصر كارلنجيان فكانوا يرتدون قبعات مقواة بلا حافة تشبه الطربوش بدون زر ، مختلفة الألوان ويشبه لباسهم لباس "التربادور" وهو المغنى المتجول فى تلك العصور واتجهت النساء إلى ارتداء الملابس الضيقة جدا عند الصدر والخصر والى ينتفخ عند الأرداف وتتسع جدا عند القدمين و إلى تجعيد شعورهن وجعلها ضفائر صغيرة حول الرأس .

وفى القرن الثالث عشر تفشت الثياب المزركشة والعباءة الطويلة والأحزمة وظهرت مودة الالتحاء ثانية للنبلاء وفى القرن الرابع عشر وجدت الثياب الضيقة من الرجال إقبالا شديدا وهو النوع المسمى "ديموازو" . وفى القرن السادس عشر شاع البنطلون والقميص وفوقهما عباءة ثقيلة نوعا مطرزة ومزركشة وارتدوا أحذية واستبدلوا بالأربطة مشبكا وارتدوا قبعات مزينة بالريش الكبير وكان شكلها يشبه شكل قبعة نابليون إلا إنها مزينة بالريش ، أما المحاربون فكانوا يرتدون أطقما من المعدن تغطى كل الجسم تقريبا كالتى تشاهد فى بعض الروايات والقصص السينمائية ، ومن هؤلاء تألفت جيوش الصليبيين ثم تحول ذلك إلى الاكتفاء بالزرد فوق الصدر وحماية باقى الجسم بالدرع الكبير .

وظلت ملابس النساء تزداد ضيقا وكشفا للجسم وزركشة فى اللون وزهوا فى الشكل وبدأ عرى الظهر والجزء الأعلى للصدر يظهر فى ملابس المراقص للنساء فى أواخر القرون الوسطى . وفى القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر تفشت مودة الدانتلا حتى صنع منها ثياب كاملة للنساء أحيانا ثم ظهرت الوردة من القماش زينت بها القبعات وأطراف الأكمام والبنطلون وتحولت ملابس الرجال إلى قميص و بنطلون ضيق قصير وجورب طويل وحذاء بمشبك وجاكتة مفتوحة وحول العنق ربطة كالكوفية وقبعة نابوليونية ذات ريش زاه ودانتلا ثم تحولت ربطة العنق إلى شريط عريض يشبه البابيون وشاعت عندئذ مودة الأزرار فأكثروا منها وأكثرت النساء من العقود والأقراط اللؤلؤية الطويلة والخواتم الكبيرة وارتدى الفلاحون ما يشبه بنطلون الجولف وكان ذلك مناسبا لعمل الحقل وعلى الصدر قميص يشبه "البول أوفر" يصل إلى الرقبة بلا فتحة وعلى الرأس كاسكت عادية وفى القدم حذاء وشراب طويل يصل إلى البنطلون .

أما اللباس الحربى فقد تغير فى أواخر القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر إذ اكتشف البارود ولم يعد للأطقم الحديدية حمايتها السابقة فلبس الجند الأشرطة الزاهية والبنطلون الطويل والجاكتة الطويلة المفتوحة وأحزمة من الكتف إلى الوسط وفى العصر بحنود فرنسا إبان الثورة الفرنسية وارتدوا الأحذية وابتكروا لها الكعب وعنوا بجعلها لماعة المنظر .

أما فى الشرق الأقصى فالصين واليابان وكوريا يلبسون ملابس قريبة الشبه بعضها ببعض أهمها جلباب من الحرير المزركش الزاهى الألوان وله اكمام واسعة ويلفون حول البطن حزاما من القماش العريض فى مدة طيات .

ومن ابتداء القرن العشرين تلا ن كثر تنوع الملابس وأصبح فى كل وقت لباس مختلف ولكل عمل كذلك ، وكان لما تجود به قرائح الفنانين وما تعرضه المعارض واستوديوهات السينما ومحال الخياطة الكبرى الأثر البارز فى انتشار الموضة، وقد تعددت طرق النساء فى تصفيف شعرهن وانتشرت المجوهرات الرائقة والمقلدة وتنوعت النماذج . ومما يلاحظ فى ملابس الرجال أن الجاكتة والبنطلون قد زادا فى الطول والاتساع وزاد عدد الأزرار فيهما ووجدت الجيوب الخارجية بجيب المنديل والجيب الداخلى، وظهر رباط الرقبة الطويل إلى جانب البابيون كما ظهرت الجاكتة القصيرة فى حفلات الطعام وتنوعت ملابس الألعاب الرياضية إلى حد كبير ولبست السيدات يرتدين الجاكتات كالرجال .

مما تقدم ذكره يتضح أن الملابس وإن تطورت فى الامم التى تحدثنا عنها من جيل الى جيل، ومن عصر الى عصر كانت موحدة فى الامة الواحدة لم تضرب الفوضى فيها أطنابها كما هو حاصل فى بلادنا الآن من تعدد الازياء والملابس . تلك المشكلة من المشاكل المعقدة التى لم توجد فى بلد من البلاد، ورأيى الخاص أن التشريع لا ينفع علاجا لها لأن تطورها كان للأسباب التى سردناها ولا دخل للتشريع فيها فعسى أن توفق وزارة الشئون الاجتماعية وهى غنية برجالها العلماء المفكرين إلى وضع حد لها ووصف علاج حاسم ان شاء الله

محمود حسيب

أعطني جيشاً قوياً

اعطك أمة سليمة الجسم والخلق

فى سنة ١٩٢٤ كان المغفور له سعد زغلول يتهيأ للمفاوضة مع مستر مكدونالد لحل القضية المصرية ، وقد اجتمع قبل سفره مع مستشاريه لوضع الأسس الأولى للنظرية المصرية فى القضية ، والمبادئ التى تقوم عليها المفاوضات من الجانب المصرى .

وقد علمت أن دولته حين سأل أحد المستشارين العسكريين عن رأيه فى أسس الاتفاق كما سأل الآخرين ، كان معنى ما أجاب به : "يا دولة الباشا، أنا رجل عسكرى لا أفهم كثيرا فى التفصيلات السياسية والدبلوماسية ، ولكننى أقول : أطلق لنا حرية تكوين جيش مصرى كما نشاء ، وسلم بكل شىء آخر ، وعند ما يكون لنا جيش قوى كبير كامل العدة نستطيع أن نصلح جميع الأخطاء ونتدارك كل ما فات " .

وهذه نظرية صحيحة ، تزداد صحتها بروزا فى هذه الأيام التى تلعب القوى المادية فيها الدور الأول على مسرح الحرب والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

والحديث عن الجيش وحاجة كل أمة اليه للذود عن كيانها نافلة فى هذا العصر أو بديهية لا تستحق المناقشة ؛ وما إلى هذا قصدت حين انتويت الحديث عن "قوة الجيش" إنما أردت أثر هذه القوة فى الخلق الفردى والاجتماعى ، وفى شىء آخر هو النشاط العام للأمم فى مختلف نواحى النشاط .

أول ما تبثه قوة الجيش فى نفس الفرد من شعور ، هو إحساسه بنوع من العظمة القومية يمنعه من التبذل و إتيان مقابح فى تصرفاته يترفع عنها كل من يحس بأنه من أمة عظيمة و إذا نسى هذا المعنى فى بعض الأحيان فإن مجرد تذكيره به كاف لإقلاعه عن تصرفه المعيب وإحساسه بالخجل من التبذل المحتقر .

كنت فى قطار للركاب وكان به بعض الجنود الانجليز السكارى ، وقد قام بينهم مزاح عنيف جعلوا يتبادلون فيه القذائف من قشر البرتقال والكلمات الطائشة والهرج والمرج إلى حد مزعج .

ولم تدم هذه الحالة خمس دقائق حتى رأيت سيدة انجليزية تنتقل من مقعدها البعيد إلى حيث هؤلاء الجنود السكارى ، وتوجه اليهم جملة واحدة ، فى ثبات ورزانة "هذا لا يليق بانجليزى" " This not the behaviour of an English man " .

وما كان أشد دهشتى ودهشة الركاب حين سادت السكينة هؤلاء الصاخبين ، وحين أطرقوا جميعهم خجلين ، بينما السيدة الجريئة تعود إلى مقعدها لتعاود القراءة فى كتاب كانت مستغرقة فى قراءته .

" هذا لا يليق بانجليزى " . ذلك هو مفتاح الكرامة الوطنية الذى أدارته السيدة فى كل قلب من قلوب السكارى فإذا بهم يفيقون ، ولولا شعور كل فرد منهم بعظمة الأمة التى ينتسب اليها ما كان لهذا التنبيه معنى خاص فى نفسه ، ولا شك أن لقوة الامبراطورية التقليدية دخلا فى تكوين هذا الشعور ، الذى يدعو الانجليزى للاحتفاظ بشخصيته وقوميته و بيئته حيثما ذهب . بحيث يكفى أن يوجد انجليزيان فى أية بقعة من الارض ليتكونن منهما ناد انجليزى !

وقد جاءت الأخبار بأن الأسرى الألمان كانوا يرفضون فى كل مكان الإقامة مع الأسرى الطليان لشعورهم بالترفع نتيجة لمعرفتهم بقوة الجيش الألمانى الذى ينتسبون إليه ، وأن سلوكهم على العموم كان خيرا من سلوك زملائهم للسبب نفسه .

وقوة الجيش تبث فى نفس كل فرد خلق الشجاعة لشعوره بأن الجيش هناك فى الصفوف الأمامية يحميه و يدفع الأذى عنه ، وللشجاعة آثار خلقية طيبة فى النفس الإنسانية ، ولكن مزاياها تبدو على أتمها فى أوقات الأزمات والمخاوف التى تمتحن بها الأمم فى هذه الأيام .

فاذا خرجنا من الدائرة الفردية إلى دائرة الجماعة وجدنا هذه الفضائل الشخصية تؤثر فى المجتمع أحسن تأثير ، فاعتزاز الفرد بوطنه خليق بأن يولد فى نفسه شعورا اجتماعيا راقيا بحقوق المجتمع عليه وبالتضامن مع هذا المجتمع العظيم العزيز الجانب ، ومعظم الرذائل إنما تنشأ من استهتار الفرد بالمجتمع و بالوطن الذى يعيش فيه .

على أن هناك أثرا أوضح من هذا وأسهل إدراكا ، لأن الأرقام تشهد به وتؤيده فقوة الجيش فى أمة من الأمم خليقة أن توجد نوعا من الاطمئنان والاستقرار يبدو أثره فى الحياة الاقتصادية من نواح كثيرة :

(أولا) فى ثبات أسعار السندات والنقد لهذه الأمة ، ومعنى هذا زيادة الثروة القومية أو الاحتفاظ بمستواها . ونحن نلاحظ أن الأسواق المالية تتبع بحساسية شديدة مراكز الأمم المتحاربة ، بل تتبع المواقع الحربية وما يتم فيها من نصر أو هزيمة .

و(ثانيا) فى إقدام الأفراد والهيئات على التعامل والمضى فى المشروعات الاقتصادية أو إنشاء المشروعات الجديدة كلما اطمأن الشعب إلى قوته الحربية ووثق من كفايتها لترجيح كفته فى النضال ، و بذلك تكون قوة الجيش سببا فى ثبات الاقتصاد القومى وازدهاره .

وإذا كان هذا شأن الجيش فى كل بلد من بلاد العالم ، فان له فى مصر فوق ذلك شأنا خاصا ، ذلك أنه يعد مصحة تشفى من الأمراض المتوطنة وسواها كما يعد معهدا للتربية الاجتماعية والفردية .

فالمعروف أن الحالة الصحية فى مصر أسوأ ما عرف عن أمثالها فى العالم ، والبيئة الاجتماعية التى نستورد منها جنودنا هى فى الغالب بيئة الفقراء الذين يعجزون عن أداء البدل النقدى الذى لا نزال حتى اليوم مع الأسف نعترف به و إن كان فى طريقه الى الإلغاء .

والجيش يتسلم هؤلاء المرضى فيصحح أبدانهم ويداوى أمراضهم ويخرجهم شبانا أصحاء أقوياء ، ثم هو فوق ذلك كله يرفع مستواهم الاجتماعى والفكرى درجات فيعودهم النظام والنظافة والتغذية الصحية وكثيرا من آداب السلوك .

ويمكن أن يلحظ ذلك بوضوح فيمن يعودون من حياة الجندية بعد قضاء مدتها إلى الريف ، فهم عادة لا يكتفون برقيهم الشخصى ، بل ينقلون إلى أسراتهم وأوساطهم الريفية تلك العادات الطيبة التى تعلموها فى أيام الجندية .

ومن هنا كانت الجندية تربية اجتماعية حبذا لو أتحناها لكل فرد ؛ ولكى ننتفع بالجيش إلى أقصى حد اجتماعى وخلق ونفسى يجب أن نسرع فى إقرار قانون التجنيد العام ، الذى لا يزال قيد البحث منذ أعوام .

فهناك حقيقة لا يصح إغفالها ، وهى أن الملابسات التى يحيط بها القانون القديم حياة الجندية غير لائقة ، بل هى معطلة للكثير من مزايا هذه الحياة .

الجندية فى فرنسا مثلا إلزام وضريبة وطنيـة ترتفع إلى مرتبة الفخر والشرف ، وقبل الحرب كانت فى انجلترا ، كما هى الآن فى امريكا ، صناعة ككل الصناعات يختارها الأفراد كما يختارون الصناعات الحرة ، لأن مرتبها كالمرتبات الأخرى فى مختلف الأعمال ينهض بالحياة لمن يحترفها .

أما فى مصر فليست إلزاما وطنيا وليست صناعة حرة ، لأن القانون يعفى منها كل من يستطيع دفع البدل النقدى الصغير ، ثم هى لا تعوض المجندين ماديا بما يشعرهم أنهم يختارونها طريقا للحياة بينما طول مدتها يؤثر فى حياتهم الاقتصادية والعائلية .

ولهذه الأسباب بلغت نسبة الفرار من الجنـدية حدا مزعجا لا يليق بالكرامة الوطنية . وكان التجنيد — ولا يزال فى بعض الأوساط — كارثة تقابل بالنحيب والعويل .

إن نفقات الجيوش باهظة — وبخاصة فى هذه الأيام — ولكن لهـا ما يقابلها من هذه المزايا التى أسلفت الحديث عنها ، تلك المزايا التى يجب أن نسـتزيد منها بإزالة العقبات التى تقف فى طريقها بسبب الإعفاء من الجندية وطول مدتها على السواء .

ولعل فكرة " الجيش المرابط " أصلح فكرة للانتفاع بمزايا التجنيد بأقل النفقات ، ولكن بقاء عدد من المقترعين فى الخارج لأنهم أدوا البدل النقدى ، يعصف بكل المعانى الطيبة فى حياة الجنـدية ويخلق نظام الطبقات ، وهو تفريق لا معنى له فى ضريبة الدم التى هى واجب وشرف فى آن ما

ملائكة الرحمة

للدكتورة نعيمة الأيوبي

"المحاضرة التي ألقتها من محطة الإذاعة اللاسلكية الدكتورة نعيمة الأيوبي بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية" المحرر

سادتي ، سيداتي :

لا أتحدث اليكم الليلة عن الملائكة التي جاءت بسيرتها الكتب المقدسة، وإنما أحدثكم عن آدميات يعشن بيننا ، لهن نفوس سامية، وعواطف فياضة ، لا يعشن لأنفسهن فقط وإنما يشعرن رغم حياتهن السعيدة الرغدة ، بألم البؤساء وحرمان الفقراء ، فيعملن في هدوء وصمت ، على رفع البؤس ، وتخفيف الآلام . كل بحسب ما يتراءى لها .

من أولئك الملائكة ، بعض كريمات السيدات والآنسات ممن يكرسن صباح كل سبت وثلاثاء وخميس لمساعدة أسر المسلولين . فيجتمعن لتوزيع الأطعمة والملابس والفراش على تلك الأسر، ويعملن على نقلها من المساكن المظلمة القذرة الى مساكن أخرى مشمسة نظيفة. ويعملن على تشغيل العاطل منها، ومعالجة المريض، وتعليم الأمهات والفتيات أشغالا يدوية يكتسبن منها فتزيد من دخل الأسرة. ويقمن بأنفسهن بوضع القطرة في أعين الأمهات والاطفال، ويوزعن القطرة والقطارات عليهم . ويعطينهم نقودا ونصائح وارشادات، وقد قمن بهذه الأعمال سنين عدة ، لم يشعرن بملل ، أو خوف عدوى ، أو صعوبة تحصيل مال أو مشاق العمل. تتزوج الآنسة منهن ويظن أن حياتها الجديدة ستصرفها عن العمل، فما تكاد تستقر حتى تعود إلى جماعتها كما كانت من قبل باسمة عاملة واثقة من اتساع أعمال الجماعة في المستقبل .

ومن أولئك الملائكة سيدات أخريات يجتمعن صباح كل اثنين وخميس بمستشفى فؤاد الأول للولادة ومعهن عدة ماكينات للخياطة ، فيعددن بأنفسهن ملابس للأطفال الفقراء الذين يغادرون المستشفى مع أمهاتهم ؛ وأعرف آنسة كريمة تشتغل تسع ساعات في اليوم ولها مدة راحة لا تزيد عن يوم ونصف يوم في الأسبوع ، ورغم تعبها وحاجتها الى الراحة في هذه الفترة القصيرة فانها تكرس نصف اليوم لتعليم أمهات الأسر الفقيرة في حي فقير أعمال التطريز والحياكة وتقوم هي بشراء المواد الخام، ثم تقوم بدفع أجر العمل لأولئك الأمهات رغبة منها في زيادة دخل هذه الأسر الفقيرة؛ ثم تقوم ببيع هذه المنتجات بثمن تكاليفها بغير ربح وتعيد الكرة بشراء خامات لتوزيعها وهكذا ، أراها كل أسبوع تحيط بها الأمهات ، لا يمنعها عن الذهاب إليهن مرض أو تعب أو أي طارئ مهما عظم .

وتذكرني هذه الآنسة الكريمة واهتمامها بالأحياء الفقيرة بسيدة تتجول بين الأسر الفقيرة لمساعدتها، وقد انطبعت في مخيلتها صورة أسرة منها تعيش في منزل مظلم مكون من حجرة واحدة لا أثاث فيها، موحشة يسودها بؤس ضامت، وينام فيها أب وأم وسبعة أطفال ويعيشون جميعا بدخل قدره أربعون قرشا شهريا. يدفعون منها أجر هذا المسكن وثمن طعامهم وملابسهم ولذا فإنهم كالأشباح أنصاف عراة، أنصاف جياع. ومنذ ذلك اليوم، وقد لمست صديقتي الفرق الشاسع بين كيفية صرفها هي لمبلغ أربعين قرشا وبين ما تؤديه الأربعون قرشا لهذه الأسرة، وصديقتي تحاسب نفسها حسابا عسيرا. فقد قاطعت ركوب التاكس وأصبحت تجد لذة في ركوب الترام واقتصاد فرق سعر المركبين لتحسين شأن تلك الأسر، وقد عدلت ميزانيتها كلية فيما يتعلق بكمالياتها ونزهاتها. فلم تعد تشتري أدوات زينتها بأثمان مرتفعة وإنما بأقل من المتوسط. وعدلت من نزهاتها فحذفت بعضها وأبدلت بالبعض الآخر نزهات أقل نفقة.

لا تظني سيدتي وآنستي أن هذه الأعمال كبيرة عليك وأنها في غير متناول يدك، هي كما ترين أعمال صغيرة بسيطة ولكن المثابرة عليها والاستمرار في عملها جعلها أعمالا عظيمة. وكل عمل مهما صغر يعظم بالتكرار. ومجموعة الاعمال الصغيرة تكون أعمالا عظيمة.

تصوري سيدتي وآنستي الأعمال الهائلة التي نستطيع أن نقوم بها نحن نساء مصر لو أن كل واحدة منا وطدت العزم على القيام بعمل ما مهما صغر، ومن أولى منا نحن المصريات الشرقيات بالقيام بهذه الأعمال، وقد عرف الشرق منذ الأزل بأنه منبع المدنيات والحضارات والأديان، الشرق الذي يلابس اسمه المعنوية الفنية والزهد والتقشف والتصوف، من أولى منا نحن المصريات ومصر منار الشرق ودينا الحنيف قد جعل الزكاة ركنا من أركان الاسلام وأية غاية لنا أو غرض من الحياة إن لم يكن لنا مثل هذه الغايات. وما الذي نكسبه من الحياة وهي ذلك الحلم السريع الذي تبتلعه مع الأسف أعمال زائلة.

فلتصمم كل واحدة منا على عمل صالح، لا بقصد الشهرة، ولا بقصد الثواب، إني أطمع أن نسمو فوق هذا، وأن نقوم معشر المصريات بالعمل الصالح لحبنا للعمل الصالح نفسه، كما نحب الفضيلة للفضيلة نفسها. وليكون العمل الصالح كالفضيلة جزءا من كياننا إذا خدش أو فقد اختل له الكيان.

هيا سيدتي وآنستي، لنبدأ بعملك الصالح، ولا أقول غدا وإنما الليلة. لنخصص في منازلنا ركنا نجمع فيه الأشياء التي نرغب في توزيعها، ولنسمه ركن البركة. ضعي فيه ما يفيض عن حاجتك وحاجة أسرتك من ملابس وأحذية وأطباق وأكواب وملاعق وغيرها. ضعي فيه بعض قطع الصابون تصفيها إلى ميزانيتك وكذلك قليلا من الأرز والسكر. ضعي بعض أمشاط ثمن المشط منها ثلاثة مليمات، وغيرها من أشياء توزعينها على من يحيط بك من فقراء وبؤساء، فالزبال مثلا ثابت قطعا أنه رجل فقير يعول أسرة، وكذلك صبي المكوجي والبائع المتجول. بالله عليك سيدتي لا تناقشي البائع المتجول الحساب، ان المبالغ الصغيرة التي تتهاونين له فيها لا تنفعك كثيرا، وهي بالنسبة له من ضروريات الحياة.

اعتنى بخادمتك . تغلفيها وقيها ووفرى لها فراشا وغطاء ، ولا تنسى أنها تقوم بأعمال كثيرة فهى محتاجة لغذاء كامل . وتثبتى من أنها خالية من الأمراض فإذا مرضت فعالجيها فنى ذلك خدمة لها ولأسرتك التى قد تنتقل اليها الأمراض . وكذلك فإن فى نظافتها وحسن هندامها فائدة لها ولك ؛ فما نفع تلميعك الأرض والأثاث وتجميلك الحوائط والأبواب والنوافذ وتنسيقك الأزهار ، وعنايتك بكل ما يعرض للسمع أو الفم او النظر ، إذا كنت ترين هذا المخلوق القذر ينتقل فى منزلك فيجرح النظر وينقل ما قد يكون به من حشرات إلى فراشك وأثاثك وأولادك .

ولا تنسى الخادم فإن سبها لا يقدم شيئا و إنما يحط من قيمتك كسيدة راقية ويفسد ناحية من تربية أولادك . و إنما علميها وافهميها خطأها أكثر من مرة ، ولا تنسى أنها جاهلة خرجت من بيئة منحطة وأن هذه الحياة جديدة عليها ، فهى لم تعرف الأثاث ولا كيفية العناية به ، ولا تعرف الأدوات وكيفية استعمالها وتنظيمها ، وهناك فرق شاسع بين عقلك ومنطقك وتصورك ، وعقلها ومنطقها وتصورها . ارفعى كفاءتها العملية وارفعى أجرها كلما تقدمت ، و إلا فكأنك تتقاضين أجرا منها عن تعليمك لها . وهـذا ما تأباه نفسك الكريمة . وبخلقك منها شخصا جديدا له كفاءة عملية ترفع من أجره تكونين قد قدمت خدمة اجتماعيـة جليلة و برفعك اجرها تمنعينها من السرقة . فسرقة الخدم نحن المسئولون عنها أحيانا . ولا تقتطعى من مرتبها شيئا بدل ما قد يتلف منها ، فإن صممت على الاقتطاع لردعها ، فلا تتوانى فى إضافة مكافأة لها تفوق ما اقتطعت كلما أحسنت عملا وامنحيها يوما للراحة فإنها ستعود إليك فى اليوم التالى أكثر نشاطا .

فإذا لم تقدمى من الأعمال الخيرية غير مساعدة هذه البائسة التى تبـذل قوتها وصحتها فى منزلك فإنك تكونين قد قدمت خيرا كبيرا وساعدت فئة بائسة وعملت على علاج مشكلة اجتماعية نشكو منها جميعا .

كل واحدة منا تستطيع بحسن تدبيرها واقتصادها أن تعـدل ميزانيتها بحيث تخصص جزءا منها للعمل الصـالح . فلنكن أقـل بذخا فى طعامنا وملابسنا ونزهتنا وزينتنا . إن أقل الكماليات لنا توفر ضرورة من حياة شخص آخر . و إذا كنت ترين مع ذلك أن هـذه أشياء لا يمكنك القيام بها ، فاحتفظى بجرائدك وجواربك القـديمة وابعثى بها إلى إحدى الجمعيات الخيرية ، فمن هذه الجرائد والجوارب القديمة و بقايا خيوط الصوف يمكن عمل أغطية وسجاجيد تعطى للفقراء والأطفال .

وإذا لم يمكنك فتقدمى جزءا من وقتك ونشاطك . إننى متأكدة أن الكثيرات من سيداتنا وآنساتنا متحمسات لتقديم خدمات ومساعدات ، وأن نفوسهن فياضة بالخير ، ولكن تعوزهن معرفة الوسيلة العملية لذلك . ولذا فانى أعلن استعدادى لتقديم كل مشورة فى هـذا الاتجاه . فلتتصل بى من تريد بوزارة الشؤون الاجتماعية صباح كل خميس . فننظم ما يمكن عمله تفصيليا .

وفقنا الله جميعا للعمل الصالح ، لنعمل ما فيه الخير لبلادنا المحبوبة ؛

نعيمه الأيوبى

كيف يتعاون الجمهور

على مكافحة الغلاء المصطنع

لحضرة صاحب العزة محمد صلاح الدين بك

" ألقى صاحب العزة محمد صلاح الدين بك هذه المحاضرة بالإذاعة اللاسلكية بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية " المحرر

موضوع حديثنا الليلة " كيف يتعاون الجمهور على مكافحة الغلاء المصطنع " ، وهو موضوع هام، وعلى جانب من الدقة، خصوصا فى الأحوال الحاضرة ، وهو أيضا موضوع جاف أخشى ألا تجدوا فيه ما تعودتم أن تجدوه كل ليلة فى أحاديث محطة الإذاعة من طرافة وتسلية وسمر شهى . لذلك أعتذر إليكم سلفا عما قد أقع فيه من تقصير ، أو تقعون فيه من ملال وسأم ، معتمدا على جميل إصغائكم وكريم تسامحكم ، شاكرا لوزارة الشؤون الاجتماعية أن هيأت لى هذه الفرصة للتحدث إليكم فى موضوع من أوثق المواضيع الاقتصادية اتصالا بحياتكم اليومية ، واتصالا بعملى اليومى فى وزارة التجارة والصناعة المشرفة على مراقبة الأسعار وتحديدها .

وأود قبل كل شىء أن أدفع فكرة قد تتبادر إلى بعض الأذهان من اهتمام وزارة الشؤون الاجتماعية بمعالجة هذا الموضوع فى الأحاديث التى تذاع بدعوة منها . فقد يؤخذ من هذا الاهتمام أن هناك بالفعل غلاء مصطنعا عاما يحتاج الى تنبيه الجمهور للتعاون على على مكافحته . بل مالى أذهب الى الافتراض وأنا أقرأ أسبوعيا لمراسلى الجرائد اليومية بالاسكندرية ان أهلها يشكون غلاء الحاجيات الضرورية فيها ، أى غلاءها المصطنع بطبيعة الحال وإلا فلا معنى للشكوى ...

تلك أيها السادة فكرة خاطئة ينبغى أن أبدأ بتفنيدها .

ولست أنكر ولا يمكن أن أنكر أن هناك غلاء عاما يكاد يشمل جميع الحاجيات . ولكن لهذا الغلاء مبرراته المعروفة فهو إذن ليس غلاء مصطنعا .

وهذه المبررات ترجع كلها الى آثار الحرب القائمة كما لايخفى ، وأهمها انقطاع العلاقات التجارية مع أكثر الأسواق الخارجية وصعوبة الشحن البحرى وأخطاره ، مما أدى الى ارتفاع تكاليف السلع المستوردة من الخارج ، وقد استتبع ذلك ارتفاع تكاليف الانتاج المحلى لأنه يعتمد على كثير من السلع المستوردة كالوقود والسماد والخامات المختلفة . فضلا عن زيادة الطلب زيادة كبيرة على الاسواق المحلية بسبب حاجات القوات البريطانية وزيادة الطلب كما تعلمون تؤدى حتما الى ارتفاع الأسعار .

لم يكن غريبا إذن أن يقع غلاء عام لأن الأحوال القائمة هي التي فرضت هذا الغلاء ولكن هذه الأحوال نفسها توجب التزام جانب الحذر حتى لايساء استغلالها فيتجاوز الغلاء حدود مبرراته ويقع الجمهور فريسة لأصحاب الأطماع في هذا الوقت العصيب . وهنا يأتي واجب الحكومات فهي تملك من وسائل التشريع والتنفيذ مايكفل علاج مثل هذه الحال.

فهل اتخذت الحكومة المصرية من الاجراءات التشريعية والتنفيذية مايسعف بهذا العلاج ؟

نعم أيها السادة ، ويهمني أن أقول ان هذه الاجراءات جاءت في أوقاتها المناسبة ، وآتت ثمراتها المرجوة ، واننا في مصر بحمد الله ، وان كنا قد عانينا في أمور معيشتنا الكثير من نتائج الحرب وآثارها ، لانزال في حالة طيبة توجب الكثير من الرضا والارتياح ، كما يهمني أن أصيف أن الفضل في هذه النتيجة السارة لايرجع إلى الاجراءات الحكومية وحدها ، ولكن يرجع أيضا الى حسن سلوك الأغلبية الكبيرة من التجار ورجال الأعمال وأرباب الصناعات وجميل تعاونهم مع السلطات العامة في رعاية مصالح الجمهور .

على أن أي أمة من الأمم لايمكن أن تخلو من أفراد يغلبون مصالحهم الخاصة على المصلحة العامة ولا يراعون الذمة والقانون ، وكذلك تجدون عندنا أقلية من التجار لاتعف عن استغلال الأحوال القائمة استغلالا غير مشروع ، متحدين أوامر الحكومة ، عابثين بمصلحة الناس ، عاملين على أن يفرضوا عليهم غلاء مصطنعا يتجاوز الحد الذي تبرره ظروف الحال . فهذه الأقلية من التجار هي المقصودة بهذا الحديث ومن أجلها تهتم وزارة الشؤون الاجتماعية بأن يعرف الجمهور المصري كيف يتعاون على مكافحة هذا الغلاء .

ولا شك أيها السادة أن أول واجبات هذا التعاون هو أن يعرف الجمهور حقوقه قبل هؤلاء التجار ، و بمعنى آخر أن يعرف الجمهور ما هي الاجراءات التي اتخذتها الحكومة لحمايته مما يفعلون . وهذا ما أتشرف بأن أشرحه لحضراتكم الآن ...

قبل قيام الحرب الحاضرة وبمجرد قيامها بادرت الحكومة المصرية باتخاذ إجراءات متعددة ترمي الى تحقيق ثلاثة أغراض هامة هي :

أولا — توفير الحاجات الضرورية في مصر .

ثانيا — أن تكون هذه الحاجات في متناول الجمهور .

ثالثا — أن تباع بأثمان معقولة تحقق العدالة بين البائعين والمشترين .

فأما توفير الحاجات الضرورية في مصر فقد اقتضى صدور مرسوم بمنع تصدير أهم المنتجات والبضائع الا بترخيص من وزارة المالية ، وفيما يلي بيان الأصناف التي يتناولها هذا المرسوم :

القمح بأنواعه — البنزين — الكيروسين — المازوت — المعادن المصنوعة — المعادن الخام بجميع أنواعها — الخشب — الأدوية والمواد الطبية — الأسمنت ومواد البناء — قطع التغيير للآلات والماكينات والسيارات — المنجنيز — السيارات وجميع وسائل النقل

إطارات السيارات والإطارات الكاوتشوك — المواد الغذائية بجميع أنواعها — الحيوانات الحية — الأقمشة بجميع أنواعها والملبوسات — الجلود الخام والجلود المدبوغة .

وقد خوّل المرسوم لمجلس الوزراء تعديل الجدول الذى اشتمل على هذه الأصناف بالإضافة اليه أو الاخراج منه تبعا لتطورات الأحوال الاقتصادية .

ونص المرسوم فى مادته الثالثة على أن جميع الحاصلات والبضائع التى تصدر أو يحاول اخراجها من مصر مخالفة لأحكامه تعتبر مهربة وتضبط وتطبق عليها أحكام المادة ٣٣ وما بعدها من اللائحة الجمركية .

وبذلك حالت الحكومة دون تسرب حاجاتنا الضرورية الى خارج البلاد ، ولم تهمل فى الوقت نفسه مقتضيات التجارة الخارجية فصرحت لوزارة المالية بإعطاء ترخيصات التصدير وخوّلت لمجلس الوزراء ان يخرج من جدول المحظورات الأصناف التى يرى أنه لم يعد هناك بأس من إباحة تصديرها .

وعملت الحكومة من جهة أخرى على أن تكون جميع الحاجات الضرورية فى متناول الجمهور ، فاستصدرت مرسوما آخر يحظر الاسراف فى حيازة بعض الأصناف الهامة التى رئى أنها شحيحة أو ينتظر أن تصبح شحيحة فى الأسواق لاعتمادنا فيها على ما يستورد من الخارج أو لعدم كفاية الانتاج المحلى منها ، كالأخشاب ، والوقود ، والورق ، والجوت والنحم ، والحديد ، والأسمنت ، والقصدير ، والسكر ، والكبريت . فهذه الأصناف لا يجوز للتاجر أو للصانع أن يشترى أو يحوز منها كميات تتجاوز الحاجات العادية لتجارته أو لصناعته ، ويقدر ذلك بحاجة مدة أقصاها أربعة أشهر ، كما لا يجوز للمستهلك أن يشترى منها مقادير تتجاوز حاجة شهر على الأكثر . وتعاقب كل مخالفة لهذه الأحكام بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وبغرامة لا تتجاوز خمسين جنيها أو بإحدى هاتين العقوبتين .

وقد خوّل المرسوم لوزير التجارة والصناعة تعديل الجدول المشتمل على هذه الأصناف بالإضافة اليه أو الاخراج منه طبقا لمقتضيات الأحوال .

وهناك وسيلة أخرى تتوسل بها الحكومة لجعل الحاجات الضرورية فى متناول الجمهور وهى وسيلة الاستيلاء، وقد قررت فى الأصل لسد حاجات السلطات العامة وعلى الخصوص السلطات العسكرية ، ولكن الحكومة تستخدمها ايضا عند الضرورة لتوفير حاجة الجمهور ، كما فعلت بالنسبة للقصدير والورق والأسمدة أذ قامت بالاستيلاء عليها لتوزيعها على المستهلكين وفقا للعدالة وتبعا للصلحة العامة .

بقيت مسألة الأسعار . وهى أهم هذه المسائل كلها وأوثقها صلة بموضوع هذا الحديث واليكم ما تتخذه الحكومة فيها من الاجراءات .

ينص المرسوم بقانون رقم ١٠١ لسنة ١٩٣٩ الصادر فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ على أن تكون الأصناف الغذائية والحاجات الأولية الواردة فى الجدول الملحق به خاضعة للتسعير الجبرى .

وتقضى المواد ١، ٢، ٤ من هذا المرسوم بأن تقوم بتحديد الأسعار لجنة مركزية يرأسها وزير التجارة والصناعة ولجان محلية فى كل محافظة ومديرية يرأسها المحافظ أو المدير .

وهذه اللجان تجتمع أسبوعيا لتحديد الأسعار تبعا لما تستلزمه تطورات الأحوال .

وتقضى المادة الثالثة من المرسوم بأن يكون تحديد الأسعار ملزما لجميع الأشخاص الذين يبيعون الأصناف والمواد التى يتناولها التحديد مدى الأسبوع الذى ينسحب عليه .

وتنص المادة الخامسة على عقاب كل شخص يبيع هذه الأصناف بأزيد من السعر المحدد لها او يمتنع عن بيعها بهذا السعر بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر و بغرامة لا تتجاوز خمسين جنيها أو بإحدى هاتين العقوبتين .

وتخول المادة الثانية لوزير التجارة والصناعة تعديل الجدول المشتمل على الأصناف الخاضعة للتسعير الجبرى بالإضافة اليه أو الاخراج منه تبعا لمقتضيات المصلحة ووفقا لمجريات الأمور .

وقد أصبح هذا الجدول يشتمل الآن على الأصناف والمواد الآتية :

القمح، العدس، الذرة، الكبريت، الدقيق، السكر، اللحوم، الفحم، الخبز، القصدير، النوشادر، الصفيح، المسامير، الزيوت، الملح، السبرتو، البن، الشاى، الوقود السائل بأنواعه، الخشب، الخيش، الطوب الأحمر، الحديد والصاج، الأدوية والعقاقير والمستحضرات الطبية، الأسمنت، البطاطس، السماد الكيماوى، الورق، الغزل، الأقمشة .

هذا تلخيص كاف لأحكام المرسوم بقانون رقم ١٠١ لسنة ١٩٣٩ الخاص بتحديد أسعار جبرية للأصناف الغذائية والحاجات الأولية .

وهناك مرسوم قديم يرجع عهده الى سنة ١٩٣١ وتتصل أحكامه بهذا الموضوع بعض الاتصال فلا بد من الاشارة اليها إتماما للبيان .

يقضى هذا المرسوم باعلان أسعار البيع بالقطاعى للأصناف والحاجات الأولية الواردة فى الجدول الملحق به ، ويكون الاعلان بكتابة هذه الأسعار على بطاقات توضع على المواد والبضائع الخاصة بها، ومن خالف ذلك عوقب بغرامة لاتزيد على مائة قرش و بالحبس مدة لاتتجاوز أسبوعا أو بإحدى هاتين العقوبتين .

أما الأصناف التى تتناولها أحكام هذا المرسوم وأهمها المواد الغذائية والمنسوجات ، فأغلبها خاضع للتسعير الجبرى طبقا للمرسوم رقم ١٠١ لسنة ١٩٣٩ الخاص بتحديد الاسعار . وهذا هو موضوع الصلة بين المرسومين ، فالتاجر ملزم بأن يضع على هذه الاصناف العامة بطاقة بأسعارها ، ويجب طبعا أن تكون هذه الاسعار مطابقة للأسعار المحددة رسميا، وأن تباع البضاعة بالسعر المبين عليها . وبذلك تصان مصالح الجمهور الى أبعد حد مستطاع بالنسبة لاهم الحاجات المعيشية وهى الغذاء واللباس .

و يلاحظ أن المحاكم العسكرية هى المختصة بالنظر فى الجرائم المنصوص عليها فى كل من هذين المرسومين تحقيقا لسرعة الفصل فيها وردعا للتلاعبين بمعائش الناس .

بقى على أيها السادة أن أشير الى بعض المبادئ التى تسترشد بها اللجان المختصة بتحديد الاسعار ، ليتم لكم الإلمام بأهم نواحى الموضوع والاطمئنان الى سلامة الاجراءات التى تتخذ لحمايتكم من كل غلاء غير مشروع .

تجعل هذه اللجان همها الأول مصلحة المستهلكين ، لانها انما ألفت لرعايتها والسهر عليها فهى تضع الأسعار المناسبة المعتدلة لأهم الحاجات الضرورية ، وهى تراقب أسعار الحاجات الضرورية الأخرى ، فان تبينت أى محاولة لاستغلال الجمهور فى بعضها اقترحت ضمه الى جدول الأصناف الخاضعة للتسعير الجبرى . ولكن يجب أن يكون مفهوما أن هذه اللجان تراعى أيضا مصالح الزراع والتجار وأرباب الصناعات فلا تسمح بأن تلحقهم خسارة أو يفوتهم كسب معقول ، لأن الزارع والتاجر والصانع هم عماد الاقتصاد القومى ، وكل ضرر يلحقهم أو يلحق بعضهم يعود فى نهاية الامر على المجموع ، وليس من مصلحة المستهلك نفسه أن يقع عليهم الغبن فينصرفوا عن امداده بضروريات الحياة ، بل هو يفضل بالطبع أن يشترى حاجاته بأثمان معقولة ، وان كانت عالية نوعا ، على أن يعث فى الأسواق فلا يظفر بهذه الحاجات .

والسلع الخاضعة للتسعير الجبرى لاتخرج عن واحدة من ثلاث :

(١) سلع تستورد من الخارج .

(٢) سلع تصنع فى مصر .

(٣) محاصيل زراعية تنتجها التربة المصرية .

أما السلع المستوردة من الخارج فتراجع تكاليف استيرادها على ضوء البيانات المستمدة من مصلحة الجمارك ، وهذه التكاليف تشمل فى الغالب ثمن الشراء والدولون البحرى والتأمين ضد أخطار الحرب والرسوم الجمركية ، ثم يضاف اليها مقابل لمصاريف التاجر العمومية وربح معقول .

وأما السلع المصنوعة فى مصر فتراجع تكاليف إنتاجها بالاطلاع على بيانات المصانع ودفاترها ، وتراعى ظروف كل صناعة بما يكفل تحقيق المصلحة العامة قبل غيرها ، ثم يحدد السعر بعد ضمان الربح المناسب فى كل حالة من الحالات .

وأما المحاصيل الزراعية فتراجع تكاليف انتاجها على ضوء البيانات المستمدة من وزارة الزراعة ، و يضاف اليها الربح الملائم للفلاح المكدود ، وربح معتدل للتجار الذين يحملون هذه المحاصيل الى ايدى المستهلكين .

ومن ذلك تتبينون أن لجان التسعيرة تقوم بمهمة عسيرة تحتاج الى مراجعات طويلة وتفكير ثاقب وموازنة دقيقة لاعتبارات متعددة كلها مهم خطير .

وإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن تنهض هذه اللجان بمهمتها الشاقة على وجه مرض يستوجب كل ثناء وتقدير .

هـذا ما يتسع له مجال القول من تفاصيل الاجراءات المختلفة التي تتخذ لحماية الجمهور من التعرض لغلاء مصطنع لا تبرره ظروف الأحوال ، وقد أوردتها ببعض الأسهاب لأن الالمام بها هو اول واجباتكم فى التعاون على مكافحة هذا الغلاء .

وانا وإن كنت على يقين من انكم وعيتم كل ما سمعتم ، لا أطمع فى أن تستبقوا منه أكثر من عمومياته ، وهى كافية لتحقيق الغرض المنشود .

اما واجبكم الثانى فهو الاطلاع على كشوف الاسعار الجبرية والتعديلات التى تدخلها لجان التسعيرة عليها كل أسبوع ، وهـذه الكشوف تنشر وتعلق فى دور الوزارات والمصالح والمحافظات والمديريات والأقسام والمراكز ونقط البوليس وفى بعض الميادين الهامة والاسواق.

والواجب الثالث وهو أهم واجباتكم واخطرها ، ان تعملوا على الاستفادة من حماية القانون ، لأن هـذه الاجراءات كلها قد تذهب عبثا اذا تسامحتم فى حقوقكم ولم تحرصوا على المطالبة بها . واهم هذه الحقوق كما عرفتم هو حق شراء السلع الخاضعة للتسعير الجبرى بالاسعار المحددة لها ، والبائعون ملزمون بان يبيعوها لكم بتلك الاسعار ، ومن امتنع عن ذلك حق عليه عقاب القانون ، فاذا شئتم شراء سلعة منها فامتنع البائع عن بيعها وهى عنده ، أو اراد ان يتقاضى فيها ثمنا يتجاوز سعرها المحـدود ، فلا تتسامحوا معه ، وبلغوا عنه رجال البوليس أو وزارة التجارة والصناعة أو وزارة التموين .

ان لجان التسعيرة كما مر بكم تأخذ فى اعتبارها مصلحة الزراع والتجار وأرباب الصناعات ولا تسمح بان تلحقهم خسارة أو يفوتهم ربح معقول ، فلا معنى بعد ذلك لتسامحكم مع من تسول لهم انفسهم ان يتجاوزوا هذا الكسب الحلال متحدين احكام القانون ، عابثين بمصلحة الجمهور مستغلين الاحوال القاسية التى تحيط بالانسانية فى هذه الايام السوداء .

لا تعتمدوا على رجال البوليس والموظفين المختصين وحدهم ، فرجال البوليس ينوءون بأعمال كثيرة اخرى ، وموظفو التجارة والتموين مهما جدوا واشتدوا ودأبوا وراقبوا لا يستطيعون شيئا مذكورا حيال هذا العمل الجارف من المعاملات فى كل لحظة من لحظات النهار الا ان يعاونهم اصحاب الشأن بالتبليغ عن المخالفين ليلقوا جزاءهم الحق على ما يجترحون .

لا تقولوا ان المسألة مسألة قروش قليلة أو مليمات معدودات ، فالمسألة أخطر من هذا لأنها تتعلق بقداسة الحقوق وكرامة القوانين وواجب القضاء على جشع خبيث وطمع ممقوت واستهتار شنيع بمصالح العباد ، بل ان هذه المليمات المعدودة عندكم هى عند المخالف الجشع

مال طائل يأخذه حراما ضاحكا منكم، مستهزئا بكم، محتقرا همتكم، شاكرا غفلتكم، فرحا باجترائه علنا على كل مقدس من الحق والعدل والقانون .

لا تضنوا بأوقاتكم الثمينة إن تضيع فى التبليغ والتحقيق وإثبات الجرم على المخالفين ، فالأمر جليل خطير يستحق منكم التضحية ببعض الوقت الثمين — استغفر الله — فما أطلب منكم الا أن تشعروا من تتعاملون معهم بانكم حريصون على حقكم مستعدون للدفاع عنه وحمايته من عبث العابثين ، وانا الكفيل بعد ذلك بالتزامهم حدود القانون دون حاجة الى ضياع الوقت وبذل الجهود .

وانتن ايتها السيدات الفضليات ، يا رباة البيت وحارساته والمسئولات عن تدبير أمره ، اذا تهاون الرجال أو تسامحوا فلا تتهاون ولا تتسامحن واضربن المثل الصالح فى الحرص على قداسة الحقوق .

وليذكر الجميع قول الشاعر الحكيم :

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا

وكم كنت أود ان اقف عند هذا الحد ، مختتما بهذا البيت الرنان ، متداركا بحماسة الختام ما فاتنى فى سرد النصوص من ترغيب وتشويق ، ولكنى لم اوف بعد الموضوع من جميع نواحيه ، فالاجراءات الحكومية التى اقتصر عليها الكلام حتى الآن لا تتناول بحمايتها غير ضروريات الحياة ، اما الكماليات فلم يكن من المستساغ ان تتناولها حماية التشريع ، وقد تأثرت هذه الكماليات بظروف الحرب اكثر من غيرها ، ولا مانع يمنع تجارها من المبالغة فى رفع اسعارها ، والطبقات المتوسطة أو الغنية التى تتداولها هى على كل حال بعض الجمهور فما القول فيها ؟

لا مناص ايها السادة — اذا اريد مكافحة الغلاء المصطنع الذى تتعرض له هذه الكماليات باكثر مما تتعرض له الضروريات — من الاقتصاد قدر الامكان فى تداولها فيؤدى ذلك حتما الى اعتدال اسعارها ، ويؤدى ايضا الى نشر فضيلة من اكبر فضائل الامم ، وهى فضيلة الادخار التى يجب ان نعمل على نشرها بين جميع المصريين غنيهم وفقيرهم وفى أوقات الرخاء وأوقات الضيق على حد سواء .

وهناك وسيلة ناجحة أخرى لمكافحة كل غلاء مصطنع فى كل الأوقات وبالنسبة لجميع الحاجات ، وهى تشجيع الجمعيات التعاونية للمستهلكين فهى تضمن لأعضائها شراء اجود الأصناف بأحسن الاسعار واليهم فى النهاية تعود الارباح .

ولكنى ايها السادة لضيق الوقت أرانى مضطرا الى الاكتفاء بالاشارة السابقة الى هذين الموضوعين الجليلين اللذين يحتاج كل واحد منهما الى محاضرة مستقلة باكملها ؛

محمد صلاح الدين

عالم جديد

فى طيات هذا الجحيم

بقلم الأستاذ سيد قطب

أيا كانت النهاية الحربية لهذا النضال العنيف الذى تكتوى بلظاه أمم الأرض جميعا ، المحاربون منهم وغير المحاربين. فان فى طياته عالما جديدا تتمخض عنه الوقائع ، وهو اليوم جنين أخذت ملامحه فى التكون والظهور ، وسيولد يوم تضع الحرب أوزارها ، بل ربما تقف هذه الحرب بمناسبة مولده ، كما وقفت الحرب العظمى الماضية على مولد عالم "ويلسون" وشروطه الأربعة عشر . هذا العالم الذى هو فى طريق الأفول .

ويغلب على ظنى أن سيكون العالم الجديد جديدا بمعنى الكلمة ، وأنه سيختلف عن عالمنا الراهن فى سمات كثيرة — إن لم نقل : إنه سيبنى على أسس غير أسس هذا العالم — وأنه سيحدث انقلابا فى الأوضاع السياسية والاقتصادية ، وفى الأسس الاجتماعية والعائلية ، وفى التقاليد العقلية والروحية .

ومن واجبنا — كما هو واجب كل أمة تريد الحياة والنماء — أن تتهيأ للسير فى موكب العالم الجديد ، وألا تكون متخلفين عنه بسبب جهلنا لميزاته واتجاهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية ، أو مدبرين عنه متنكرين له والشعوب كلها تسير فى موكبه !

وهذا يقتضينا كثيرا من اليقظة والتنبه للتيارات الفكرية ، وللسمات الموحية بشكل هذا العالم الذى تتمخض عنه الأيام ، ومن تتبع التطورات السياسية والحربية فى كل بلاد العالم أو على الأقل فى المعسكرين الكبيرين اللذين يتناجزان غير بعيد من مصر ، بل فى داخل حدودها !

ومن الخطأ أن نقف وقفة المتفرج بسبب أننا لا نشترك اشتراكا فعليا فى الحرب ، فقد لا تكون لنا يد فى تشكيل العالم الجديد ، ولكن ينبغى أن نحاول اختيار دورنا فى هذا العالم بعد الحرب ، بدلا من أن نرغم على أداء دور نجهله أو لم نستعد له .

وكذلك من الخطأ أن نقف موقف الانتظار الجامد أمام تطورات هذا الجنين بحجة أننا لا نعرف ملامحه وهو فى عالم الغيب ، وأن التكهن بالمستقبل فى هذه الأيام عسير ؛ فإن بعض هذه الملامح قد اتضح الآن ، وبعضها يمكن التخمين فيه والاستنتاج ، وهما على كل حال خير من موقف الجمود أو الانتظار .

إن المعسكرين الكبيرين — معسكر الديمقراطية ومعسكر الدكتاتورية — لا يتناجزان فى هذه الحرب بالوسائل الحربية وحدها بل يعتمد ان اعتمادا كبيرا على الأسلحة السياسية والاقتصادية، وما "النظام الجديد" الذى يلوح به المحور لدول أوربا، و" النظام الجديد" الذى ترسمه الديمقراطية وتبشر به فى خطب إيدن وروزفت الأخيرة ، إلا بعض وسائل الكفاح !

ومن خلال هذين النظامين تتبدى ملامح العالم الذى سيكون !

وسأحاول فى هذه الكلمة التكهن ببعض ملامح الجنين الأساسية ورسم صورة تخطيطية لوجهه المرتقب ، فقد تنفعنا فى توجيه سياستنا العامة وتفكيرنا فى المستقبل القريب .

فأما من الوجهتين السياسية والعسكرية ، فأحسب أن التجربة قد دلت على فشل " الدويلات الصغيرة " التى خلقت لتكون سياجا لبعض الدول الكبيرة من الوجهتين السياسية والحربية ، وأن هذه الدويلات وسواها من الأمم الصغيرة ذابت أمام الهجوم الألمانى الكبير ولو كانت كتلا متحدة كبيرة لعز على الفاتحين فتحها فى هذا الزمن الوجيز .

فهى (أولا) لم تؤد الغرض منها وهو حصر الغول الألمانى داخل الأسوار، وهى (ثانيا) جاءت بعكس هذا الغرض لانها أطمعت هذا الغول فيها لصغرها ، وأمدته بالقوة فترة بعد فترة عند اقتحامها فى حين أنه وقف عاجز مدة كبيرة حين انتهت هذه اللقيمات وواجه الأسد البريطانى، ولا عبرة بغلبته على فرنسا ، فقد كانت أمة منحلة مضعضعة مستعدة للتسليم !

وقد بينت هذه الحرب بجلاء أن الأمم الصغيرة لا تستطيع الحياة إلا بحالفة الأمم الكبيرة إذا لم تستطع أن تتجمع فى اتحادات فتكون هى ممالك كبيرة ، وكشفت بجلاء عن ضعف الحماية الدولية القانونية أمام الوسائل الحربية ، فلا بد من القوة المادية لمقابلة القوة حين تصاب الفطرة البشرية بالانتكاس والجنون .

ومما لا ريب فيه أن الشعوب ستنتفع بهذه الدرس — أيا كانت نتيجة هذه الحرب — وستحاول الأمم الصغيرة تأليف اتحادات إذا لم تستطع الاندماج التام بسبب اختلاف العناصر وهذه إحدى سمات العالم الجديد .

وليس هذا مجرد تخمين ، فإن الأمم الكبيرة نفسها بدأت ترى من مصلحتها أن تجمع أصدقاءها الصغار فى كتل كبيرة ، وأخذت تعدل عن سياسة التفريق التى كانت سياسة تقليدية لها فى كثير من الفترات .

والاتحاد العربى الذى رحب به مستر إيدن وزير خارجية انجلترا هو أحد هذه الاتحادات التى ستسعى الأمم الكبيرة فى خلقها ، بعد تجربة هذه الحرب ، وقد أثبتت بجلاء ضرر وجود الدويلات الصغيرة الضعيفة القوة ، المحدودة الموارد .

فاذا اقتنعنا بأن هذه إحدى سمات العالم الجديد ، كان علينا واجب لأنفسنا وللعالم ، لا يجوز لنا تجاهله أو ترك فرصته السانحة تمر دون أن ننتفع بها و ينتفع العالم العربى بل العالم الإنسانى كله .

إن مصر ليست غريبة فى العالم العربى ، بل هى الشقيقة الكبرى لشعوبه ، وهو يترسم خطاها و ينتفع بتجاربها ، ويستضىء بنورها ، و يتطلع إليها فى حب و إعجاب وانتظار ، فمكانها فى الاتحاد العربى يجب أن يكون ملحوظا ، ويجب التمهيد له منذ الآن ، ولا يصح الانتظار حتى تضع الحرب أوزارها .

ومن واجب السياسة المصرية ألا يدعوا هذه الفرصة تفلت من أيديهم انتظارا لنتائج الحرب الدائرة ، فها هى ذى حليفتنا الكبرى تبشر بالاتحاد العربى وترحب به والحرب دائرة وهى أعلم بمصائرها لأنها هى المكتوية بنارها ؛ وهى التى تقدر مواردها وموارد خصومها ثم تجد من هذا التقدير أن هناك أملا كبيرا فى النصر لها ولحلفائها .

ولعل التفكير فى هذه المهمة العظيمة التى لا تقتصر على السياسة الداخلية المحدودة ، ولا سياسة هذه الأيام القريبة ، بل تمتد إلى المستقبل كله ، وتتجاوز الحدود الجغرافية الحالية الى مساحات شاسعة — أقول لعل التفكير على هذا النحو خليق أن يحل من مشاكلنا الحزبية الداخلية الشىء الكثير ، و يوسع آفاق التفكير الحزبى القصير .

* * *

وأما من الوجهة الاقتصادية ، فاحسب أن العشرين عاما التى تلت الحرب الماضية قد أثبتت فشل سياسة الحواجز الجمركية وسياسة " الاكتفاء الذاتى " من وراء هذه الحواجز كما أثبتت أن الشقاء العالمى ثمرة ملازمة لسياسة الاحتكار وعدم توازن الموارد الاقتصادية والمواد الخامة بين أمم الأرض جميعا .

ومن خلال أسس النظام الجديد الذى يلوح به " هتلر " ، وخلال خطب "روزفلت" عن توزيع المواد الخامة ، وخطب " تشرشل و إيدن " عن استعدادات الامبراطورية البريطانية للمساهمة فى إنهاض العالم بعد الحرب بالمواد المخزونة فى أنحائها .

من خلال هذا كله نستطيع أن نتبين سمة من سمات هذا الجيل تنفعنا فى توجيه سياستنا الاقتصادية منذ الآن حتى لا تصطدم مشروعاتنا بالعالم الجديد فتخسر أو تتحطم وهى فى مرحلة التكوين .

نحن فى هذه الأيام نبنى تفكيرنا الاقتصادى ومشروعاتنا الصناعية والانتاجية بوجه عام على أساس ما وقع فى الحرب العظمى وما تلاها من السنين . وأخشى أن أقول : إن هذا موضع الخطر . وأن الواجب تغيير هذا الأساس ، لأنه لن يكون أساس العالم الجديد .

وأزيد هذا الاجمال وضوحا فأذكر أننا نضع الآن مشروعاتنا الاقتصادية والصناعية على أساس الحماية الجمركية ، وأكتفى بمثلين اثنين فى هذا المجال :

أولها — صناعة النسيج ، وهى فى الغالب تقوم على أساس فرض ضريبة مرتفعة على المنسوجات الاجنبية ولا سيما اليابانية ، هذه الضريبة التى يؤديها المستهلك فى الحقيقة .

وثانيهما — زراعة القمح ، وهى فى الغالب تعتمد على أساس فرض ضريبة مرتفعة على الدقيق الأجنبى ولا سيما الأسترالى ، هذه الضريبة التى يؤديها المستهلك كذلك .

ونحن الآن — محقون فى سياسة الحماية الجمركية ، لأن العالم كله يصنع هذا الذى نصنع ، ولأن سياسة " الاكتفاء الذاتى " هى السائدة فى شعوب كثيرة ، ولأن مواردنا الزراعية لا تتسع إلا لاثنى عشر مليونا من السكان بينما يبلغ عددنا ستة عشر مليونا فى طريقها إلى الزيادة السريعة فلا بد من موارد جديدة فى عالم الصناعة تكافئ الزيادة الحاضرة والمستقبلة .

ولكن ينبغى بجوار هذا الواقع أن نلتفت للمستقبل . فكيف تكون الحال لو تمخض العالم الجديد عن نظام غير النظام الذى يسود عالم اليوم . ولو وزعت الخامات توزيعا متوازنا وأزيلت الحواجز الجمركية أو خففت إلى حد كبير ؟

الذى يحصل أننا لا نستطيع وحدنا التمسك بالنظام القديم ، وأن كل مشروعاتنا التى قامت على أساس الحماية الجمركية تنهار أو تتزعزع ، ويكون هذا بمثابة كارثة لاقتصادنا القومى لا تصمد لها مواردنا المحدودة .

فمن واجب رجال الاقتصاد منذ اليوم أن يتحسسوا الاتجاه العالمى المقبل ، ويقدروا آثاره فى مشروعاتنا الاقتصادية والصناعية ، ويجعلوا لهذه الآثار مكانها الملحوظ فى كل مشروع .

وأسلم خطة أن نراعى فى مشروعاتنا الجديدة إمكان قيامها على فرض زوال الحواجز الجمركية وبطلان الحماية المصطنعة ، فالصناعة التى تتوافر لنا موادها الخامة بأرخص مما تتوافر فى البلاد الأخرى وتنخفض نفقات إنتاجها العامة عن مثيلها هناك ، بحيث تكون فى سوقنا وفى الاسواق المجاورة أرخص من نظائرها بعد تكاليف الشحن ، هى التى نضمن لها البقاء والدوام فى جميع الأحوال ، لأن حياتها طبيعية تعتمد فيها على ذاتها .

أما الصناعات والمشروعات الأخرى التى تحتاج إلى حماية مصطنعة فمن واجبنا أن نقلل منها اتقاء للهزات الاقتصادية فيما إذا تمخضت هذه الحرب عن عالم جديد متخفف من القيود ، كما تشير بذلك جميع المقدمات .

* * *

وأما من الوجهة الاجتماعية فيبدو أن الوحدة الاجتماعية فى الشعب ، لن تكون هى الفرد كما كانت الحال فى فرنسا ، ولن تكون هى الدولة كما هى الحال فى الأمم الديكتاتورية . بل ستكون هى الأسرة .

ومعنى هذا أن الحرية الشخصية لن تشط وتوغل فى الفردية كما شطت وأوغلت فى فرنسا بعد الحرب الماضية إلى الحرب الحاضرة . لن يكون الفرد وحدة المجتمع وعموده الفقارى ومحوره الذى يدور عليه ، لأن هذه الفردية المتحررة من جميع القيود أضعفت من قوة فرنسا عندما اصطدمت بعدو منظم متحد الاتجاه .

ولن تكون الدولة كذلك هى محور الحياة بحيث يذوب الفرد فيها ويتلاشى ويصبح أداة من أدواتها كأية آلة توجهه حيث تريد بلا مناقشة ولا تفاهم ، فهذا النظام نكسة لاتطيقها البشرية ولا تصبر عليها مهما بدا فيها من القوة والبريق .

ولكن ستكون الأسرة هى وحدة المجتمع ، سيكون الفرد لبنة من لبنات الأسرة ، وستكون الأسرة وحدة متماسكة فى بناء المجتمع ، وستبذل الدولة للأسرة حمايتها وتسهيلاتها فتحوطها بالرعاية والتشجيع ، ويبدو أثر هذا فى النظم والتشريع .

وقد أخذت بعض الأمم فعلا بنظام الأسرة — كفرنسا الجديدة — وهذا النظام عند بعض الشعوب يحرم توزيع الملكية الزراعية التى تملكها الأسرة فيساعد هذا التحريم على بقائها متماسكة لاصقة بمورد حياتها كما تبدو آثاره فى حقوق الأبوين على الأبناء حتى بعد سن البلوغ ، وفى عقاب الآباء والأمهات المهملين فى تربية أطفالهم وهكذا . . .

وقد كانت انجلترا من بين الشعوب الديمقراطية هى المثل الأعلى لنظام الأسرة فى المجتمع ، فالبيت الانجليزى حرم تحيطه القوانين والتقاليد بالقداسة كما تحيط المعابد ، وتوارث اسم الأسرة ولقبها نظام معترف به ؛ ولعل هذا من أهم أسباب صمودها العجيب أمام العاصفة المدمرة !

ومصر من هذه الوجهة فى وضع تحمد الله عليه ، لأن نظام الأسرة لم يتضعضع فيها كما تضعضع فى شعوب كثيرة بعد الحرب الماضية ، وذلك بسبب تقاليدها الريفية القوية — هذه التقاليد التى حفظت كيانها القومى على ممر الأجيال .

ولكن هذا لا يعنى أن ليس عندنا ما يعاب من هذه الوجهة ، فتماسك الأسرة فى مصر تماسك فطرى لم تهذبه القوانين ولم يدخل عليه أى إصلاح . ومن الواجب أن يتجه تفكيرنا الاجتماعى إلى توفير الملكيات الزراعية الصغيرة وتشجيعها وحمايتها والاحتفاظ بحد أدنى منها لا يجوز تقسيمه بل يعوض الورثة بالمال عن نصيبهم فيه ، ومن أهم الدعائم التى تحافظ على كيان الأسرة وتلم شملها وجود ملكية زراعية ومنزل مملوك لها يحميها القانون من الحجز والضياع .

وكذلك يجب أن يبرز القانون تبعات الوالدين فى صحة الأطفال وتربيتهم ، فيمتنع كثير من التشرد الناشئ عن إهمال أولياء الأمور ، وتقل الأمراض والتشوهات الناتجة عن هذا الإهمال أو عن الأمراض الوراثية . فعقاب الأبوين اللذين يورثان طفلهما مرضا خبيثا كفيل بتحرزهما قبل الزواج وبعده . . . وهكذا

وفى نظير هذا يجب أن تشجع الأسرة على الحياة اللائقة بالمعاونات المادية والأدبية التى لا يتسع المجال هنا لبيانها ، ولا يعسر الاهتداء اليها فى نظم الشعوب التى وضعت حياتها العامة على هذا الأساس .

وسمة أخرى من سمات المجتمع تتبلور الآن وتتضح من خلال النظام الحاضر ، هى سمة التضامن الاجتماعى بين الطبقات ، بين المتمتعين والمحرومين ، بين الأغنياء والفقراء . ومع توافر هذه السمة فى المجتمع الانجليزى حتى قبل الحرب ، فإن الظواهر تدل على أنها ستخطو خطوات جديدة نحو الاشتراكية الديمقراطية على وجه من الوجوه ، وقد جاء فى قرار عمال استراليا أنهم يتجهون هذا الاتجاه ولكنهم يستمرون فى الحرب "بقصد الانتقام لما حدث فى لندن"

ونحن فى حاجة إلى التزود من هذا الزاد ، فالمجتمع المصرى من هذه الوجهة أشد المجتمعات الإنسانية اختلالا ، ومن الواجب أن نستعد منذ الآن — إن لم نبدأ بالفعل — فى تحقيق التضامن الاجتماعى ، بإعفاء الطبقات الفقيرة من معظم الضرائب التى تقتطع الآن من أقواتها ، و إضافتها فى صورة ضرائب متدرجة على أصحاب الإيرادات العالية . وكذلك بإلغاء الكثير من الضرائب غير المباشرة أى الضرائب الجمركية التى يؤديها الجميع ، إلى الضرائب المباشرة التى يتعين على الثروات الكبيرة أداؤها كما هى الحال فى انجلترا .

وذلك التدبير تشير الوقائع بأنه التدبير الوحيد الواقى من الهزات الاجتماعية العنيفة والكفيل بتوازن المجتمع وتضامنه فى العالم الجديد الذى تمخض عنه الأيام .

وأما من الوجهة الروحية والخلقية ، فيبدو لى أن العالم الجديد سيجد نفسه مضطرا أن يأوى إلى ظل من الدين والخلق والروحانية بصفة عامة ، بعد مالاقى من الجهد المضنى والعناء القاتل فى جهنم المادية و جحيم الإباحية .

وتبدو طلائع هذا الاتجاه فى فرنسا المتخمة المريضة الغارقة فى الشهوات ، كما تبدو فى الاستمساك الشديد بالتقاليد السمحة فى خطب روزفلت والدفاع عن المبادئ الإنسانية ضد البربرية المتكسة إلى عالم الادغال وشريعة الغاب .

وهذا الاتجاه الجديد لا يكلفنا نحن المصريين أكثر من الاهتداء إلى روحنا العريقة وتقاليدنا الخالدة ، حينما نزيح عن بصائرنا هذه الغشاوة التى رانت عليها من غبار المادية الأوربية ، وسنجد فى كنوزنا الروحية ثروة نقتات منها فى العالم الجديد ، ثروة تمكننا من هضم الحضارة الأوربية المادية والانتفاع بها دون أن تفسد فطرتنا وتحيلنا آلات خشنة جافة كما أحالت كثيرا من الأوربيين .

* * *

هذه هى الخطوط البارزة فى صورة العالم الذى يتمخض عنه هذا الجحيم البشرى . فعلينا أن نتهيأ ونستعد ، وألا تشغلنا الأحداث الحاضرة مهما عظمت عن هذا المستقبل القريب ؛

سيد قطب

مكافحة الحفاء في الريف

للدكتور أحمد حسين
مدير إدارة الفلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية

يشغل مشروع مقاومة الحفاء جانبا عظيما من اهتمام الحكومة والرأى العام وتبذل فى سبيله الجهود والأموال، ومع ذلك فإن هذا المشروع لم يحرم من نصيبه من النقد والتشكيك فى مبلغ فائدته ومدى ما ينتظر له من نجاح. وشأنه فى ذلك شأن كل مشروع إصلاحى جديد، فقد صادف تعميم التعليم من ينادى بخطره على الفلاح. وكذلك وجدت فكرة نشر المستشفيات من يقول بعدم جدواها وذهاب تكاليفها هباء ما دام الفلاح معرضا للعدوى على الدوام.

وهذا مشروع مقاومة الحفاء ينال حظه — كما قلنا — من ملاحظات الناقدين. فمن منادٍ: الغذاء قبل الحذاء، ومن قائل املأوا بطن الفلاح أولا وأصلحوا بالدواء جسمه و بالعلم عقله قبل أن تصلحوا بالحذاء قدميه.

ومن متسائل: هل الحذاء هو كل ما ينقص الفلاح أو أهم ما ينقصه؟ وهل إذا وزعت على الفلاحين النعال يحتفظون بها أم يبيعونها؟ وهل نضمن أن يواظبوا عليها حتى عند نزولهم فى الحقل بما فيه من ماء وطين؟

وإذا أعطينا للفلاح نعلا فى المرة الأولى فمن أين له ثمنه فى المرة الثانية؟

وهل الحفاء والانتعال إلا مظهر يجب أن تقدم عليه الجوهر؟

وجوابا على هذ كله نقول: إن مشروع مقاومة الحفاء لم يقصد به أن يكون هو الناحية الوحيدة التى تنصب عليها الجهود، أو الإصلاح الشامل الذى لانحتاج بعده إلى إصلاح. و إنما أريد بالمشروع علاج ناحية واضحة من نواحى النقص فى حياة أفراد الشعب وتلافى عيب جارح لكرامتهم.

ربما كان الناقدون على حق لو كان الاهتمام بالفلاح مقصورا على مقاومة الحفاء لكن الواقع أن النهضة الإصلاحية تبدو فى جميع النواحى، فهناك المراكز الاجتماعية التى تنشأ والمدارس والمستشفيات والمغاسل والحمامات التى تبنى، والجمعيات التعاونية التى تؤسس. وقد جاءت ناحية مقاومة الحفاء فسدّت نقصا فى برنامج الإصلاح كان لابد من الانتباه اليه إلا أنه مع الأسف قد أغفل أمدا طويلا حتى ظفر بلفتة كريمة من جلالة الملك المصلح فاستجابت البلاد لندائه الكريم واقتدت بسخائه فلم تبخل بجهد ولا مال.

ونحن من أول المؤمنين بأن الاصلاح المثمر لابد أن يشمل كافة النواحى فى وقت واحد لأنه لا خير فى علاج داء دون بقية الادواء . إذ كل منها يؤثر فى الآخر ويتأثر به . فالمرض يعجز صاحبه عن العمل فيؤدى إلى الفقر ، والفقر يعجز صاحبه عن توفير وسائل الوقاية أو العلاج لنفسه وهكذا . . . وقد شرحنا هذا التأثير المتبادل فى كلمات سابقة ، واذا كان الأمر كذلك فلا محل لوضع ترتيب عددى لعمليات الاصلاح أو لقصر جهدنا على الأولى منها دون البقية ، ما دامت كلها مترابطة متماسكة ، بدليل أنه لما اهتمت البلاد بمقاومة الحفاء أثار ذلك فى الحال موضوع الزى عامة ، وأخذت الجهود تبذل فى وزارة الشؤون الاجتماعية لوضع مشروع شامل لتهذيب الزى وتوحيده . كما أنه لما رئى أن يبدأ فى مقاومة الحفاء بتلاميذ المدارس الالزامية فى المدن توجه النظر فى الوقت عينه الى سد مختلف مطالبهم فينال موضوع تغذيتهم ما يستحقه من العناية التى تبشر بسد هذا النقص الخطير فى الجيل الناشئ وهكذا وجد الاهتمام بالغذاء والحفاء معا .

واذا كان موضوع هذه الكلمة هو " الحفاء فى الريف " وقد أرجئ تنفيذ المشروع فى الريف الى ما بعد المدن فإنا لانذكر أن المهمة فى الريف أدق وأشق منها فى المدينة . وذلك راجع الى كثرة عدد الحفاة فى الأرياف ، والى تبعثرهم فى القرى والحقول ، ثم الى طبيعة عملهم وما تقتضى من خوض فى الطين والماء . وقبل ذلك كله هبوط مستوى الأجور بحيث يعجزهم عن ثمن الحذاء .

وعندى أن الفقر هو أهم هذه العقبات ، لأن المشاهد أن أى فلاح بسيط تتحسن حالته بانتقاله من أجير الى خولى يتقاضى مائة وخمسين قرشا فى الشهر لا يلبث أن يبادر الى شراء مركوب يق به قدميه ويستوفى به المظهر اللائق . ومعنى هذا أنه لو وفقت وزارة الشؤون الاجتماعية الى تحقيق ما وضعته من البرامج لزيادة دخل الفلاح بواسطة المراكز الاجتماعية وغيرها لكان هذا أحسن معين على القضاء على الحفاء وغيره من آثار الفقراء .

ومع ذلك فلسنا ننوى أن نلبس الفلاحين كما يتبادر إلى ذهن البعض — أحذية فاخرة من روبرت هيوز أو راءول — بل كل ما نريده نعل بسيطة تكفى لوقاية قدميه وتكون حائلا دون وصول الامراض المتوطنة إلى جسمه . نريد مجرد نعل معلقة فى القدم من النوع الذى يسميه الفلاحون "حدوة" والذى يلبسه الاعراب و بعض القسس والذى كان يلبسه المصريون والرومان القدماء . ونحن نرى أن هذه الحدوة فعلا فى أقدام كثيرين من الفلاحين مقطوعة من جلد ثور أو جمل ومدبوغة محليا ولا تتجاوز تكاليفها اكثر من قرشين أو ثلاثة .

ولكى يطمئن الخائفون من طين الحقل ومائه نذكر لهم أن المزارع فى الممالك الأوروبية الراقية كانجلترا وفرنسا وغيرهما فيها كما عندنا طين وماء وفلاحون يؤدون كل ما تتطلبه الزراعة من عمل وهم متعلون .

ولا يخافن أحد من بيع الفلاح لنعله ، لأننا كما أسلفنا لن نعطيه إياها من النوع الممتاز الذى يمكن أن يجعل لها ثمنا يغرى ولن نعطيه إياها مجانا لأن ذلك يتنافى مع المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية السليمة ، بل ستساعد الحكومة على تقليل نفقات انتاجها وتساهم فى تكاليفها لتخفيض ثمن بيعها بحيث لا يرتفع إلى أكثر من قرش أو قرشين ، والمفروض أن هذه النعل تعيش عاما أو نصف عام فما أيسر شراء غيرها على الفلاح مهما كان فقيرا ، وكذلك فإن من أسس المشروع ضمان الاستمرار فيه بحيث يتعود الشخص لبس النعل وتصبح عنده ضرورة لا يستطيع الاستغناء عنها فإن طفل المدرسة الالزامية الذى يظل منتعلا خمس سنوات وكذلك الفلاح الذى يتعود النعل طويلا كلاهما تلين قدمه و يرتفع مستوى احساسه بكرامته فلا يمكن ان يحنى بعد ذلك .

ولعلنا قد أفلحنا فى الرد على ما يثيره المعترضون بحيث لا يكون الاعتراض بعد ذلك إلا تثبيطا للهمم أو مجرد رغبة فى النقد كشأن كثيرين من الهدامين .

وعلى أية حال فليس هناك من يزعم أن فى المشروع ضررا محتملا ، أو ينكر فائدته . وما من مصرى إلا و يملأ نفسه السرور حين لا يرى على أرض وطنه قدما حافية . وكل ما هناك أن بيننا من يقول بتقديم اصلاح على اصلاح . وهـذا وذاك ضرورى لا غنى عنه ، ولقد سعد مشروع مقاومة الحفاء بعناية عالية من مليك البلاد ومن رعاياه فى حين لم تحرم بقية نواحى الاصلاح من هذه العناية — خصوصا ما كان متصلا بحياة الفلاح — فجمعت الأموال ودخل المشروع فى دور التنفيذ السريع . ومهما كان رأينا فى الترتيب فإن من الواجب أن نتضافر على انجاز المشروع و إنجاحه مادمنا جميعا مقتنعين بأنه ضرورى ومفيد .

والآن ، ما الذى يكسبه الفلاح والبلاد من المشروع اذا نفذ وعم وشمل ملايين الفلاحين .

يقدر كبار أطبائنا عدد المصابين بمرض الانكلستوما فى مصر بحوالى ٥٠ ٪ من السكان وتصل الإصابة الى الجسم عن طريق القدم العارية فان "يرقات" هذا المرض القتال تكمن فى الأرض الرطبة الملوثة بفضلات الانسان — والفلاحون فى العادة يتخذون بقاعا وأكواما معينة لقضاء الحاجة — فيجتذب دفء القدم هذه "اليرقات" وتتسلل الى الدم من المواضع اللينة كالشقوق وما بين الأصابع ثم تصل هـذه الجراثيم بواسطة الدم الى القلب ثم الرئة حيث تخترقها فيسعلها المصاب الى حلقه ثم تنتهى الى المعـدة والأمعاء حيث يتم نضوجها فتكون هى ديدن الانكلستوما التى تنشب خطافاتها فى الأمعاء وتمتص الدم والغذاء ، وتفرز سمها المعروف الذى يهدم البدن و يؤخر نموه كما يؤخر النمو العقلى .

و يقدر هؤلاء العلماء أن الفلاح الفقير لو نجا من شركائه الخطرين فى غذائه الضئيل — ونعنى بهؤلاء الشركاء الطفيليين — الانكلستوما والبلهارسيا والديدان المعوية — لاستفاد بغذائه البسيط أكمل استفادة، ونجا من كثير من الأمراض التى تنشأ عن نقص التغذية .

فهما أنفقنا من المال فى تعميم العمل التى تمنع تفشى هذا المرض الخبيث قليس ذلك بعشر معشار ما نخسره من صحة الشعب ومن قدرته الجسمية والعقلية . وهو يجاب ذلك أقل بكثير مما ننفقه الآن لمعالجة هذا المرض الوبيل .

فالمشروع يضمن لنا مكافحة أحد المرضين الخطيرين الذين يهدمان كيان الفلاحين وأعنى بهما الانكلستوما والبلهارسيا .

والنعل بعد ذلك تحمى القدم من الجروح التى قد تسبب الالتهابات أو العدوى بالأمراض الخطيرة كالتيتانوس أو الحمرة بجانب وقايتها للقدم من القدارة أو لدغ الحشرات .

وهناك ناحية الكرامة الشخصية والقومية . فان الحفاء يشعر صاحبه بصغر شأنه وضآلة قدره كما أنه عنوان سيئ للشعب ومظهر لهبوط مستواه .

وعدا هذا فإن المشروع سيفتح الباب للانتفاع بمادة خامة هى الجلود تعودنا أن نصدرها الى الخارج بثمن بخس لتستخدمها المصانع الاجنبية وتربح من ورائها . وكذلك سينفتح باب واسع للعمل والرزق أمام عدد عظيم من العمال المصريين عن طريق تضاعف الطلب على الأحذية والنعال .

ولا شك أن الشعب حين يصبح الحذاء من ضروراته يكون معنى هذا أن مستوى حياته قد أخذ يرتفع . فمستوى حياة شعب ما يقاس بمدى التدرج فى لوازمه التى يشعر بضرورتها له ويسعى لتوفيرها .

فزنجى المجاهل لاتزيد حاجته على الضرورى من الغذاء، فما هو بحاجة إلى جد أو عمل فى سبيل الدخل مادام ليست له مطالب .

على حين أن الفلاح الأمريكى البسيط قد يكون الراديو والسيارة من ضروراته فلا بد له من الكد لتوفير ماتحتاج اليه هذه المطالب . وهذا هو الفارق بين مستوى ومستوى ، أى أنه كلما تهذب الشعب وكثر مايشعر بالحاجة اليه ازداد نشاطا ورقيا .

وأملى وطيد بعد ذلك ألا يمر طويل وقت حتى نرى شعبنا الكريم قد برئ من داء الحفاء ووصمته وتوافر له كل ما ينقصه واكتملت له أسباب التقدم والنهوض ؛

أحمد حسين

البيت نواة المجتمع

أولئك الذين بلغوا منا الخمسين أو تجاوزوها يعرفون ذلك البيت القديم الذى كان الرجال ينفصلون فيه عن النساء ، والذى كانت تجتمع فيه السلطة فى يد الأب — ذلك البيت الذى يمكن أن نسميه " بيت دكتاتوريا " حيث سلطة الأب هى السلطة العامة عرفا وقانونا . وكلنا يذكر تلك " المطرة " بجوار الباب الخارجى حيث كان يقعد الأب فيتناول عشاءه مع صبيانه أو مع الأعضاء الكبار من عائلته من الجنس الخشن دون الجنس اللطيف . وما يتبقى من العشاء يرد إلى البيت حيث يأكل سائر الأعضاء من الجنس اللطيف فى انفصال وعزلة .

وقد يكون فى وصف هذا البيت بأنه " بيت ديكتاتورى " شىء من المبالغة . ولكن لا شك فى أن الأب كان ديكتاتورا فى مظهره وسلوكه ، وكان المجتمع المصرى أيضا ديكتاتوريا .

وكما يكون البيت يكون المجتمع . ولا يمكن بتاتا أن نؤلف مجتمعا ديمقراطيا إذا كان البيت ديكتاتوريا . لأن البيت هو نواة المجتمع . فإذا حصرنا السلطات جميعها فى يد الأب وجعلنا الزوجة والأولاد خاضعين خضوعا أعمى لرأيه فإننا لا ننتظر من هؤلاء جميعا إلا أن يرضوا قانعين بمجتمع استبدادى تتركز السلطات فيه فى يد ديكتاتور .

ولذلك يجب اذا شئنا مجتمعا ديمقراطيا ان نوجد العائلة الديمقراطية . يجب عندئذ أن نجعل الديمقراطية معيشة تمارس وليست مذهبا أو مبدأ نؤمن به . فنحن نعرف أن المجتمع الديمقراطى هو ذلك الذى يعبر عن ارادة الأمة ويطالب كل فرد فيها بتبعاته السياسية والاجتماعية ، ويجعل سلطة الأمة هى العليا وأسلوب الحكم فيها هو الاسلوب الذى ترضاه . وكذلك يجب ان يكون البيت الديمقراطى . بل يجب أن تكون الديمقراطية فى البيت هى الاساس الذى تبنى عليه الديمقراطية فى المجتمع . ونحن هنا بالطبع ننشد امنية لما تتحقق . فان الديمقراطية حال مثلى تحتاج الى ان ترتفع المستويات الثقافية والاقتصادية حتى يتمكن كل فرد فى الامة من تحمل التبعات التى يقتضيها النظام الديمقراطى . ولكن مع ذلك يجب أن يكون البيت هو الاساس ، وان تحقق امنية الديمقراطية فى البيت كما يراد تحقيقها فى الأمة بل قبل تحقيقها فى الأمة .

حضرت من مدة قريبة مناظرة بين بعض الشبان والآنسات عن حق التصويت والانتخاب : هل يجب منحهما للمرأة اسوة بالرجل ؟ ولم يخطر ببال المتناظرين أن هذين الحقين انما يراد بهما ايجاد برلمان . وان غاية البرلمان الأصلية هى تقرير الميزانية للدولة ، وما ينطوى

عليه هذا التقرير من فرض الضرائب أو زيادتها أو نقصها وتعيين الايراد والمصروف لكل مصلحة . ولكن اذا نحن سلمنا بأن البيت هـو نواة المجتمع فهل يمكـن أن نسلم أيضا بان اقتراح مثل هذين الحقين للمرأة يجب أن ينطوى على حق المرأة فى البيت فى الاشتراك فى ميزانيته وأن "الحساب الجارى" فى البنك مثلا باسم الزوج يجب أن يكون أيضا باسم الزوجة وأن البيت يجب ان يكون له "برلمان" لا يبت فيه شأن الا باشتراك جميع الأعضاء ؟

إن البيت الديمقراطى الذى يؤدى فى النهاية إلى مجتمع ديموقراطى هو البيت الذى لا يعرف العقوبة الاستبدادية . هو البيت الذى يؤمن بأن العقوبة جريمة . هو البيت الذى تؤسس فيه جمعية للأطفال والصبيان تكون البذرة الديموقراطية الأولى فى حياتهم الاجتماعية . وهذه الجمعية هى التى تقرر "الجزاءات" ولا تقول العقوبات . فيتحمل الفرد جزاءه وهو راض لأنه هو نفسه عضو فى هذه الجمعية ، وهو عندئذ لا يكره أحدا من إخوته أو من أبويه لأنه لا يجد هدفا شخصيا لهذه الكراهة . وهو لذلك ينشأ بلا أحقاد أو إحن .

والبيت الديمقراطى هو الذى يشترك فيـه الزوجان اشتراك المساواة فى ميزانية البيت والحساب الجارى والمشروعات المـالية والاجتماعية . وهو البيت الذى يحاول فيه الزوج — فى بيئتنا الحاضرة — رفع زوجته الى مستواه الثقافى والاجتماعى حتى تصير المساواة حقيقـة واقعة بل حقيقة نافعة . هو البيت الذى يجتمع فيه الجنسان مع ضيوفهما فى ضيافة مهذبة نيرة مثمرة . ثم هو أيضا البيت الذى يعامل الخدم بالاحترام الذى تصنه الكرامة الإنسانية . وهنا يجب أن نذكر أن بعض الأمم ألغت اسم الخادم واستبدلت به اسم « أمين البيت » صيانة لكرامتـه . وأذكر أيضا ما أعرفه عن صديق أمريكى فى القاهرة يدعو خادمه المصرى مع زوجته وأولاده إلى الغداء عنده ثم يقف هو — أى هذا الأمريكى — مع زوجته وأولاده لخدمتهم جميعا . ولست أكبر من القيمة المـادية لهذه الدعوة ، لأنى لا أتعامى عن النظام الذى نعيش فيه وأنه يقتضى وجود السيد والخادم . ولكنى أيضا لا أتعامى عن القيمة الرمزية لهذا العمل . وهى قيمة ديمقراطية فى أمة تؤمن بالنظام الديمقراطى وتقول بالمساواة فى الحقوق المدنية والدستورية والكرامة الإنسانية بين السيد والخادم .

يجب أن نجعل البيت نواة المجتمع . فإذا كنا نريد مجتمعا تسوده الحرية والإخاء والمساواة فإننا يجب أن نعمم هذه الفضائل فى البيت . وأن نبنى العائلة على علاقات الشرف مع الروح الديمقراطى فى جميع معاملاتنا بعضنا مع بعض وجميعنا مع الأجانب . وقد تكون هناك أخطار من هذه الحرية تمنح للصغار ، أو من المساواة الجنسية تمنحها للمرأة التى ليست كفئا لها . ولكن عالمنا هذا محفوف بالأخطار . والنظام الديمقراطى كذلك لا يخلو من الأخطار سواء فى البيت

أو المجتمع . ولكن العبرة فى جميع النشاط الإنسانى بالنتائج . وما دامت لدينا كمية ساحقة من الأمثلة الصالحة فلا نبالى بالعدد القليل من الأمثلة السيئة .

ونستطيع أن نبرز بالموازنة مساوئ البيت الاستبدادى ومحاسن البيت الديمقراطى ، ففى الأول نجد أن السكينة تعم البيت ولكنها سكينة السجن المفتعلة ، ونجد الخوف والخجل والرياء . والصبى الناشئ فى هذا الوسط يحسن الطاعة ولكنه قد ينفجر يوما ما ، لأن الطاعة هنا كانت كظما وكبتا ، كما نرى عند أولاد البخلاء حين ينفجرون عقب وفاة والدهم فيبذرون ماجمع لهم ، لأن الكظم يؤدى الى الانفجار ، وكذلك الشأن فى أبناء الأب المستبد أو قرينة الزوج المستبد جميعهم يعيشون فى طاعة الكظم ، وهم ينشأون على خوف أو خجل ، والخجل هنا خوف ملطف ، وهم يواجهون الدنيا فى جهل وليست لهم قدرة على الابتكار ، أما البيت الديمقراطى ، فإنه يربى الشخصية قبل كل شىء ، هذه الشخصية التى نراها حتى فى الصبى يلعب وحده ويبتكر ويتحدث ويقابل الضيوف كأنه رجل صغير ، وهو يعرف الاستقلال لأنه تعوده . ولذلك يمارس هذا الاستقلال ، وهو يجرؤ على ارتياء الرأى ، واذا عاونته الظروف فإنه ينشأ عبقريا ، ثم هو بعد ذلك يصير عضوا نافعا فى المجتمع يحس التبعات السياسية والاجتماعية وأنه "راع مسئول عن رعيته" لأنه كان كذلك فى البيت ، أما ذلك الذى نشأ فى بيئة الاستبداد وانكر عليه الرأى ولم يعش فى جو الحرية والمساواة فإنه يرضى بأية حال اجتماعية ويقبل بيكتاتور كما سبق أن قبل الأب المستبد لأن البيت نواة المجتمع .

من وصايا الإمام على

لاعب ابنك سبعا ، ثم أدبه سبعا ، ثم صاحبه سبعا ثم ألق حبله على غاربه .

الفن فى الصناعة المصرية

وحاجة صناعنا الى تربية فنية

للأستاذ سلامه موسى

دعيت ذات مرة إلى زيارة أحد الأصدقاء الميسورين ، ودخلت مكتبته وأعجبت ببعض الخزانات التى رتبت على رفوفها الكتب ، فعلق الصديق على إعجابى، ثم دعانى إلى فتح إحدى هذه الخزانات وطلب إلى أن أقفل الباب ، فلما فعلت أبى الباب أن يقفل لأن الهواء احتبس فى الداخل فدفع الباب ، واضطررت إلى التمهل فى الإقفال حتى عاد الباب إلى مكانه وأقفلت الخزانة .

وكان المغزى الذى أراده صديق أن النجار الذى صنع هذه الخزانة قد أحكم الباب وجعل حروفه تماس حروف الخزانة ، حتى أنه عند ما يقفل بسرعة يتضغط الهواء فيدفع الباب إلى الخارج ، وبديهى أن هذا الإحكام يجعل تسلل الغبار إلى الكتب مستحيلا أو كالمستحيل .

ومثل هذا الإحكام قلما نجده عند نجارينا الذين يرضون بما دون الكمال مع قدرتهم عليه لو شاءوا ، ولكنهم يهملون لاعتقادهم أن الزبون يرضى بأقل من ذلك، وهذا الإحكام هو نفسه نوع من الفن ، لأن الروح الفنى يقتضى الحب والولاء للصناعة التى تمارس مهما تكن مكانتها أو قيمتها .

كنت ذات مرة أتنزه عند ساحل من سواحل النيل التى تصنع عليها الزوارق والسفن الشراعية فى دمياط ، ووقفت أتأمل صانعا يعلم صبيا كيف يدق المسمار ،ولشد ما دهشت عند ما رأيته ينصح له ويقول بأن طريقته فى الدق ليست " معجبة " ، فهو لم ينتقد الدق من حيث أنه فعل أو سريع أو غير ذلك ، ولكنه انتقده من حيث أن يد الصبى وهى ترتفع ثم تقع على رأس المسمار لاتبعث على الإعجاب ، لأنها تخلو من الرشاقة أو لباقة الحركة والإيماءة .

وهذا هو الروح الفنى . فإن الصانع الذى يحب صناعته يتوفر عليها بقوة نفسه كما يتوفر عليها بقوة جسمه . فهو لايستعمل عضلاته ومهارته التى تعلمها، بل يستعمل ذوقه، وهو ينفق عليها من نشاطه أكثر مما ينتظر منها من الثمن أو المكسب ، وهو لاينشد من عمله سلعة تباع بل طرفة تقتنى تحمل طابع شخصيته وتكشف عن فنه بل عن حبه وولائه لصناعته .

والفروق كثيرة بين الصناع . فإن مهارتهم فى العمل تختلف ،لأن مقدار ما تعلموه من الصناعة يتفاوت . ولكنهم يختلفون أيضا فى النواحى الفنية أى فى الاتقان والذوق . فأما الاتقان فإننا نرى التفاوت فيه عظيما بين صانع وصانع . بل هذا الفرق يزداد عندما نقابل بين صناعة مصرية وأخرى أجنبية حتى صارت عبارة " شغل بلدى" وصمة بدلا من أن تكون ميزة. ولسنا نتعامى عن تفشى الفقر بين مجتمعنا ورغبة الكثيرين فى شراء الرخيص الذى لم ينفق عليه من الوقت والعناية ما يستحق . فإن هذا الفقر من أسباب اللهوجة العامة فى صناعاتنا . ولكنا نخطئ اذا كنا نظن أن الرغبة فى بيع الرخيص من المصنوعات هى السبب الوحيد لهذه اللهوجة أى لقلة الاتقان والإحكام . فإن صانعنا يهمل لأنه أيضا لاينظر النظرة الفنية لسلعته بل يقنع بالنظرة التجارية .

ثم هناك الذوق . وهنا كثيرا ما يمتاز الصانع الأوربى على الصانع المصرى . ذلك أن الأول نشأ فى بيئة فنية فعرف البيت الذى رتب أثاثه واختيرت رسومه وصوره، وعرف المائدة التى تحمل أحيانا طاقة الزهر ، وعرف المدينة الجميلة والمتحف الفاخر الذى يحفل بالتماثيل والرسوم . وهو نفسه قد تعلم القراءة والكتابة منذ أن بلغ السادسة أو السابعة من عمره وصرن على الرسم وطلب اليه الاتقان فى الصغير التافه فعرف قدر الاتقان فى الكبير الخطير، فهو قد اتجه منذ صباه اتجاها فنيا غرسته فى نفسه البيئة البيتية التى لا نحظى نحن بمثلها فى مصر ، لأن فقر الطبقات العاملة عندنا يجعل البيت محروما من هذه المرافق الفنية التى تغرس الذوق فى الصبيان كأنه بعض أخلاقهم التى يجب أن ينشأوا عليها ويتعودوها . والواقع أن كثيرا من النقص الفنى فى الصانع المصرى يعود الى أن ملكاته الفنية لم تجد التربية النافعة فى البيت والوسط الاجتماعى، والى أنه أيضا فى كثير من الأحيان قد حرم التربية المدرسية الراقية إلا القليل الذى حصل عليه فى المدرسة الالزامية . وليس هذا القليل مع ذلك مضمونا متوافرا لكافة الصناع .

فالنقص فى الاتقان والذوق هو الصخرة التى تتحطم عليها صناعاتنا اليدوية . والنقص فى الاتقان — سوف يصلح بقوة المزاحمة الاقتصادية بين الصناع . أما النقص فى الذوق فيحتاج الى تدريب طويل . لأن الذوق هو زى خاص يفرضه المجتمع فى الاشكال والألوان والأناقة والرقة ، ويحتاج الصانع الى أن يعيش فى مجتمع راق له نزعات فنيه لكى يمتاز هو بالذوق الفنى .

فإننا مثلا نستشع اللون الأحمر الصارخ فى ملابسنا وأثاثنا وطلاء منازلنا ، ونستظرف الألوان الهادئة التى قد تميل إلى السواد أو الغبرة أوالسمرة ، ونحن لا نكتسب هذا الذوق إلا من المجتمع . فالصانع المصرى كما يكسب هذا الذوق فى الألوان مجتمعة يكسب أشياء

أخرى منه فى الشكل والرقة والأناقة ، فإذا كان ذوقه متخلفا فى هـذه النواحى فإن المسئول عنه هو المجتمع .

ولكن هل هذه الحال تدعو إلى اليأس ؟

كلا . فإن فى مصر كثيرا من المدارس الفنيـة التى يتعلم فيها الطلبة الفنون الجميلة على أرقى مستواها وأحدث تطورها . فماذا يمنعنا أن نأخذ صناعا فى الصناعات المختلفة ونجعل كل فئة منهم تدرس شهرا أو شهرين فى هذه المدارس دروسا نظرية وعملية ، كل فرد فى الصناعة التى يمارسها ويتكسب منها . وبالطبع يجب أن تؤدى لهم أجرا عن هذا التعطل . وهذا الأجر لن يكون كبيرا . فإن صانعنا يقنع بثلاثة أو أربعة جنيهـات فى الشهر . وهو لن يحتاج إلى أكثر من شهرين للتعليم والتدريب . وكلاهمـا ممكن إذا كان النظـام داخليا حتى يستوعب الدرس والتمرين معظم النهار وبعض الليل .

وظننا أن الصناع المصريين يرحبون بهذا الاقتراح . كما أننا جميعا — جمهورا وصناعا — سننتفع منه . لأن الجمهور سيحصل على مصنوعات فنية متقنة ، وكسب الصناع سيزداد . لأن فى الصناعات المصرية ما سيغنى عنـدئذ عن استيراد كثير من المصنوعات الأوربية . ومع أن الأوربيين لا يشكون من صناعهم مثل النقص الذى نشكو فإن مجالسهم البلدية تحرص على انشاء المدارس الليلية التى تعلم الصناع التبحر والتكمل فى صناعاتهم المختلفة ، وهذه المدارس تتناول عشرات الصناعات التى تمارس فى مدينة المجلس أكثر من غيرها .

إننا نرجو أن نصل الى اليوم الذى نفخر فيه بأن هذا المصنوع من أديم أو خشب أو معـدن أو ورق هو " شغل بلدى " أى من عمل اليـد المصرية التى مهرت ودربت حتى أتقنت ما تصنع بعد دراية فنية رفعت الذوق ، وجعلت الدقة والأناقة مذهبا مصريا يعترف به الوطنى والأجنبى ما

سلامه موسى

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يحسنه .

حديث شريف

لا نزال فى حاجة الى الكلام !

نحن منذ أن نلنا استقلالنا القريب نتصايح من هنا ومن هناك بدعوات إصلاحية ومشروعات إنشائية وانتقادات اجتماعية . . . إلى آخر فنون القول وضروب الآراء فى لإصلاح العام .

وننظر فى بعض الأحيان فنجد أننا لم نحقق — فى عالم الواقع — شيئا مما أكثرنا الحديث فيه، ونرى كل بضاعتنا كلاما فى كلام، فنسخط على أنفسنا وعلى الكلام الذى لا يتجسم أعمالا وننهم طبيعتنا بالقصور وترميها بالعجز عن العمل... وهذا السخط يبدو هو الآخر فى صورة كلام !

ولكننى أزعم — بعد هذا — أننا لا نزال فى حاجة إلى الكلام ، وأننا لم نشبع بعد كلاما ، وأن هذ الكلام ليس ضارا بالدرجة التى ننفر منها ونتوجس ونتشاءم .

فنحن كالورثاء تركة ضخمة ولكنها مثقلة ، وقد ورثها فجأة وبدون استعداد سابق وعلى غير انتظار، فهو ما يزال ينبش هنا وينبش هناك عن كنوزها الكثيرة المبعثرة التى لا تزال بكرا لم تمس ، وكلما نبش فى كنز مطمور وجد فوقه وحواليه أثقالا وركاما تكاد الكنوز تضيع فى غمارها ، وهو يصيح كلما عثر على أحد كنوزه : ها هنا كنز ثمين . . . وهنا كذلك كنز آخر . . . وها هنا كنز ثالث . . . وهكذا يتصايح كالمذهول حتى يكشف كنوزه وذخائره كلها وينفض عنها الغبار والوحل والركام ، ثم يحصيها ويأخذ فى الانتفاع بها ... وهنا يأتى دور الأعمال !

ما نظرت إليه بعد الاستقلال إلا تذكرت ذلك الوارث الغنى المثقل التركة ، وإلا أحسست أن صيحاتنا فى سبيل الإصلاح وطرق الإنشاء هى عينها صيحات ذلك الوارث على غير انتظار.

وما من شك أننا نملك ذخائر وكنوزا لا زالت حتى اليوم بكرا لم تمس : ذخائر طبيعية واقتصادية وروحية لا عداد لها ؛ ولكننا مثقلون بما وقع فى الماضى من إهمال كاد يذهب بها جميعا .

عندنا الكنوز المعدنية من حديد وفسفور ونحاس وقوة كهربائية كامنة فى مساقط المياه وهى ثروات مخبوءة فى حاجة الى الاستغلال المنظم الذى يحيلها ذهبا وثروة للسكان .

وعندنا كنوز الأرض الخصبة التى أسرفنا فى بعثرتها بطرق الرى الخاطئة حتى كادت تتبدد وتعجز عن إنبات الذهب فى كل عام .

وعندنا كنوز التاريخ والجمال الطبيعى فى الآثار والمناظر ، ولكننا لا نحسن استخدامها فى جلب السائحين من كل واد ، بينما بلد صغير كسويسرة يكسب فى العام نحو اثنى عشر مليونا من الجنيهات من هذا الباب .

وعندنا بعد ذلك كله وقبل ذلك كله كنوزنا الروحية المطمورة فى نفوسنا وتقاليدنا وثقافاتنا الدينية والخلقية سواء فى ذلك القديم والحديث ، والعالم اليوم فى حاجة ماسة الى هذه الكنوز الروحية يقتات منها بعد ما نضبت موارده الروحية وجفت ينابيعه ، فلو استطعنا أن نستخرج كنوزنا المخبوءة ونظهره عليها لوجد فيها شبعا وريا بعد المعركة والصراع .

ولكن هذه الكنوز جميعا لم تكن فى أيدينا طوال ستمائة عام بل ألف عام ، كانت فى أيد أجنبية عنا تقوم بالوصاية علينا ، ولا تبيح لنا شيئا من المرانة على استخدامها ، بل كانت هى نفسها تجهلها لبعد روحها عن روحنا ونضوب معين تعاطف بيننا وبينها .

وقد صرفنا همتنا كلها فى فك الوصاية عن رقابنا ، واسترداد حقوقنا السياسية المهمة الغامضة فلم تنفت طول مدة الصراع الطويلة إلى هذه الكنوز المزوية عنا ، وبغتة وجدنا زمامنا فى أيدينا ووجدنا هذه الذخائر مبعثرة تحت الركام !

فنحن معذورون حين ندلى بعشرات المشروعات الاقتصادية ، وعشرات التوجيهات الاجتماعية والروحية ، ومهما تكن مختلفة أو متناقضة فهى دليل على اتساع ثروتنا المادية والمعنوية وتعدد ذخائرها ، فكل من يعثر منا على ذخيرة مخبوءة يصيح من أقصى المنجم : وجدتها ... !

إلا أن هذا كله لا يعفينا من البدء بالعمل المنظم بعد خمس سنوات طوال ، فقد جمعنا اليوم من المناجم الكثيرة ما يصح إحصاؤه وجمعه وتبويبه .

ولن يكون هذ العمل منظما بمعنى الكلمة ، حتى تجعله الأحزاب جزءا من برامجها الأساسية وتخصص له من الفكر والجهد ما كانت تصرفه فى النضال السياسى لا فى الخمسين سنة الأخيرة بل فى الخمسمائة عام الماضية على تفاوت فى درجات الجهاد .

أحل ينبغى أن توضع المذاهب الاقتصادية والاجتماعية فى رأس قائمة البرنامج الحزبية ، ويكون ذلك محور الانتخاب ، فتجد الأمة معنى لتعدد الاحزاب وللحياة البرلمانية بوجه عام ، وتنشط للذهاب إلى صناديق الانتخابات وهى شاعرة أنها تفصل خطة على خطة فى تصريف حياتها اليومية وتوجيهاتها الاجتماعية .

ومع هذا فلنتكلم ، فلن يذهب الكلام سدى ، ولكنه سيختمر فى الاذهان ، ويخلق تيارا تجد الأحزاب نفسها ذات يوم أمامه وجها لوجه ، فتضطر أن تعدل مواقفها وتعين برامجها وتأخذ فى العمل المثمر بعد الكلام الطويل .

نعم ، ولنتكلم حتى نجلى الطريق أمامنا للعمل ونختار أقصر السبل ، وحتى تشرب أرواحنا حب الاصلاح وتؤمن بضرورة الإنشاء ويقتنع من يطلب منهم البذل والتضحية أن هذا واجب لا مفر منه ، ويقبل من توضع لهم قواعد الإصلاح على الانتفاع به .

فذلك كله رهين بالكلام ، وليس الكلام شرا على الدوام .

واجبنا فى مواجهة الغارات

للاستاذ محمد زكى عبد القادر

تؤكد الحرب الشعور بالتضامن الاجتماعى بين أفراد الأمة ، لأن الحرب تنطوى على كوارث عامة ، ومن شأن الكوارث العامة أن تجمع قلوب الأفراد وتوحد بينها ، فتبدو الأمة كتلة واحدة ، وقد جاءت الحرب الحالية بكوارث جديدة لم تكن معروفة فيما سبقها من حروب . وأعنى بها كوارث الغارات الجوية ، فهى لا تصيب المحاربين وحدهم ، ولكنها تصيب المدنيين أيضا ، تصيب النساء والأطفال فى بيوتهم بل وفى مضاجعهم ، وهذه وحشية من غير شك ، ولكن البحث فى هذه الناحية بحث لا فائدة فيه ، فالمحقق أن المحاربين يلقون قنابل طائراتهم على المدن الآهلة بالسكان ، وقد يكون غرضهم إصابة أهداف عسكرية ولكن الخطر على المدنيين قائم من ضربة طائشة أو خطأ فى التسديد .

وقد تعرضت بلادنا الى مثل هذا الخطر ولا تزال معرضة له ، وهذا يضع على عواتقنا جملة واجبات ، نلتزم ببعضها كأفراد وببعضها الآخر كجماعة تؤلف شعبا متحد الأهداف وأخيرا تلتزم الحكومة بواجبات خاصة هى غير واجبات الأفراد والشعب .

أما واجباتنا كأفراد تعنيهم صيانة حياتهم والدفاع عنها فتجىء فى الصف الأول من الواجبات ، وبمقدار قيامنا بها ، يكون تهوين العمل على الحكومة واحسان الدفاع العام عن الشعب ، والتقليل بقدر الإمكان من أخطار الغارات .

وأول هذه الواجبات أن يدرس كل واحد منا وسائل الوقاية من الغارات وأن يتابع كل ما يكتب عنها أو يذاع . وقد سمعت من كثيرين أنهم لا يعنون بقراءة شىء فى هذا الموضوع ، لا لأنهم يكرهون أن يحافظوا على حياتهم أو لأن حياتهم رخيصة لديهم ، ولكن لأنهم يعتقدون أن الأعمار بيد الله ، وأن الأقدار والحظوظ مقسومة ، وأن ما كتب للإنسان سوف يأتيه ، ولكنهم ينسون من جهة أخرى أن الله أمرهم أن يتقوا المهالك ، ويلتمسوا النجاة بوسائلها ، إن مثل هذا الإيمان لا ينبغى أن يصرفنا عن السعى لإبعاد الخطر عنا واتقائه إذا حل بنا ، والإيمان بالقدر والحظ هو بعد ذلك خط الدفاع الحصين الذى يعطينا قوة النفس والصبر على المكاره والرضاء بقضاء الله ، وهو الذى يجملنا بالشجاعة والصلابة فلا يستطيرنا الفزع ولا يخرجنا عن ثبات العزم ولا قوة الأعصاب .

أما الاعتماد على أن الأعمار بيد الله والسكوت بعد ذلك مع الاستسلام للحوادث فسلوك لا يحسن بانسان أن يختاره لنفسه فانه يدل على تهاون نهى الله عنه .

من واجبنا اذن أن نعد العدة لاتقاء الخطر ما استطعنا الى ذلك سبيلا . ونحن كأفراد مطالبون بوقاية عائلاتنا وذوينا ممن يعتمدون علينا ويركنون الينا، فاذا لم تكن للفرد منا عائلة، فان همه سينصرف بطبيعة الحال الى التماس أسباب الوقاية لنفسه . فاذا كان عمله يتطلب منه البقاء فى المدينة المعرضة للخطر ، وجب أن يهيئ لنفسه المخبأ إن استطاع ، أو يعرف الى أى مخبأ عام سبيلا ، وأن يبتعد بمسكنه عن المناطق التى تبدو معرضة للخطر عن غيرها . ثم يدرس وسائل الوقاية الأخرى ويتابع نصائح مصلحة الوقاية وما يكتب فى هذا الموضوع أو يذاع عنه ، وأن يعرف كيف تقع أكثر الاصابات ولماذا تقع وكيف يتصرف اذا فاجأته الغارة وهو فى الشارع أو المقهى أو البيت، وهو نائم أو مستيقظ، وأن يحتفظ بثبات النفس ويقظة الحواس . فلا يصرفه الجزع عن التصرف الهادى ولا يجعله الخوف يتداعى جزعا فاذا به فى وقت الخطر يتولاه الرعب فلا يعرف الى أين يذهب ولا كيف يختبئ . وقد دلت حوادث الغارات ، سواء فى الاسكندرية أو فى غيرها من العواصم والمدن الأوربية على أن الرعب الذى يصيب السكان المدنيين بسبب الغارات ، أشد فتكا من قنابل الطائرات . فاذا كانت ظروف الرجل الذى يعيش بمفرده فى المدينة تسمح له بهجرها الى الريف كأن كان ايراده من أرض يملكها مثلا، فان من واجبه حينئذ أن يعود الى الريف لكى يعيش فيه. ولا أحب أن استطرد من الموضوع الأصلى، فأعرض للفوائد التى يمكن أن يجنيها ويجنيها الريف من عودته اليه . ولكن حسبى أن أقول إن أول هذه الفوائد أنه سيعيش فى جو أكثر طمأنينة وأمنا .

أما اذا كان الرجل صاحب عائلة ، فينبغى له أن يعمل على ترحيل عائلته الى الريف اذا كان ذلك فى مقدوره . ولا يحسن أن ينتظر الى أن يحل الخطر فعلا ، فإن الخطر متوقع فى كل وقت . وإصالة الرأى هنا تتطلب منا أن نسبق الخطر ونتقيه لا أن نظل جامدين الى أن يحل فعلا ، فقد تصيبنا الكارثة لأننا لم نأخذ موثقا من الاقدار بأن تخطئنا .

فاذا لم يكن فى استطاعته ترحيل عائلته ، لعدم قدرته من الوجهة المالية أو لعدم وجود مكان فى الريف يطمئن اليه، فان الأمر هنا يتعلق بواجب الحكومة ، وهو ما سأعرض له فيما بعد. وهو لا يتعلق بالحكومة فحسب ، ولكن يتعلق أيضا بالأغنياء من الشعب وهذا يقودنا الى الحديث عن واجبنا كشعب متحد الأهداف والغايات .

وكما قدمت ، إن كوارث الغارات يجب أن تزيد التضامن الاجتماعى بين أفراد الأمة . وقد قال "جودوين" إن فى العالم من الخيرات ما يكفى الجميع. ولو عرف جودوين مصر وعاش فى هذا العصر لقال إن فيها من الأماكن ما يكفى أن يلجأ اليه الجميع . فسكان المدن المعرضة للخطر من الفقراء ذوى العائلات لا بد ان يجدوا فى ضياع الاغنياء فى الريف ملجأ ، لا بد أن يجدوا منهم آية على قيام التضامن بين أفراد الأمة ، فقد فتح اغنياء الانجليز قصورهم وضياعهم فى الريف للاطفال والعجزة والنساء فلفوا فيها كل اكرام وترحاب ، ودلوا بذلك على أن المصائب تؤلف بين القلوب ، وأن الشعب الجدير بهذا الاسم ، الشعب الطامح الى

المجد والحياة الكريمة هو الشعب الذى يعرف كيف يعطى من عنده من ليس عنده . ونحن نحمد الله على أن عندنا من الخيرات كثيرا ، وعندنا من الأغنياء عددا كبيرا . وقد أمرتنا الشرائع السماوية التى نعتنقها أيا كان الدين الذى ننتمى اليه على أن نعطى المحتاج وأن نبر الفقير ، وأن نؤوى المطرود ونعطى المحروم .

واجبنا كشعب إذن هو أن نتعاون لاتقاء كوارث الغارات والتقليل من أضرارها بقدر الامكان . وقد روى أن بعض أهل الاسكندرية هرعوا الى مخبأ فى احدى العمارات ، فذادهم عنه الحدم والبوابون فاضطروا أن يقفوا فى الشوارع معرضين للقنابل وشظاياها ، بينما كان المخبأ على قيد خطوات منهم ، فيه متسع لهم ولأكثر منهم . مثل هـذا الحادث لا يشرف أصحاب هذه العمارة وهو مع الأسف الشديد يدل على فقدان التضامن الاجتماعى .

إن حيوية الأمة تبدو فى خلال الكوارث . بل إن هذه الكوارث تعد الامتحان الأول والامتحان الأعظم لسلامة بنيانها وكيانها . و بمقدار تجارب الأمة فى هذه الكوارث وحدب الغنى فيها على الفقير ، والقوى على الضعيف ، بمقدار مسارعة القادرين الى حمل العاجزين والناجين الى معاونة المنكوبين ، تكون قوة الأمة و يكون استحقاقها للحياة الجيدة الكريمة .

أما واجب الحكومة فيما يختص بالغارات فواضح وقد كثر الكلام فيه . وواجبها الأول هو الاشراف على شئون الوقاية العامة ، بانشاء المخابئ وارشاد الجمهور الى وسائل الوقاية واذاعتها عليه ، وتعيين المناطق الخطرة واخلائها من السكان وتيسير الهجرة للراغبين فيها ، وتنظيم المهاجرين وتوزيعهم على البلاد فلا يتركون على هواهم ، يتكاثرون فى جهة من الجهات مع تدبير العمل للقادرين عليه منهم و إعانة العاجزين والضعفاء . ومن واجبها أيضا أن تعين المنكوبين بالغارات عونا عادلا شاملا ، وتهيئ لهم وسائل العيش بالعمل لمن يستطيعه منهم ، و بالانفاق على من لا يستطيع العمل .

اذا وضحت هذه الواجبات ، ووضحت الحدود بين كل منها ، وقام الأفراد بواجبهم وقام الشعب كمجموع بواجبه و بدت الأمة متماسكة صامدة فى وجه الخطر ، أمكن تقليل أضرار الغارات الى حد كبير . وأمكن معاونة الحكومة على اداء واجبها . فان الأمة ذات الحيوية والقوة لا تنتظر من الحكومة أن تفعل كل شىء . بل يجب أن يكون شعورها بالواجب حافزا على العمل الفردى من جانب كل فرد والعمل الجمعى من جانب المجموع مدفوعا اليه بالغايات والأغراض التى توجه الأمم والشعوب من غير انتظار لتوجيه الحكومات وتدخلها فى كل صغيرة وكبيرة . إن آية الرقى للأمة أن يقل اعتمادها على الحكومة ويزداد اعتمادها على أفرادها وهيئاتها و جمعياتها . أعنى أن تزداد اعتمادا على الاحساس العام بالواجب . والواجب فى نكبات الغارات يمكن تلخيصه فى عبارة واحدة ، هو أن تتضامن الأمة تضامنا اجتماعيا قويا صحيحا

محمد زكى عبد القادر

السجن تأديب واصلاح وتهذيب

للأستاذ عريان يوسف سعد

تعنى كل بلاد تتقدم ويطرد تقدمها بإصلاح سجونها وتحويلها رويدا رويدا الى معاهد تربية عملية .

وتعنى كل بلاد باقتباس النظم التى أخذت بها البلاد الأخرى التى قطعت فى هذه السبيل شوطا أبعد .

ولقد عنيت مصر بإيفاد رجال من كبار موظفى مصلحة السجون الى مختلف الأقطار يدرسون نظم السجون فيها ويحضرون مؤتمرات السجون حتى اذا عادوا قدموا التقارير عما شاهدوا فى تلك البلاد من نظم وما شهدوا فى تلك المؤتمرات من عرض لحالات السجون والمسجونين

ولكن مصر — كما اعتقد — فاتها فى هذا الشأن أمر قل أن يعرض لمختلف البلدان مثله ، ذلك أن طائفة من شباب البلاد بعد أن قطعوا مراحل التعليم الثانوى وشطرا من التعليم العالى قضى عليهم بأن يدخلوا السجون أيام الحركة الوطنية وأن يقضوا فى السجون المختلفة اعواما طويلة منهم من كان فى السجون المركزية ومنهم من كان فى الليمان .

وكانت المدة التى قضوها فى تلك السجون دراسة عملية لشؤون السجون والمسجونين فلو أنهم بعد أن أفرج عنهم وعينوا فى وظائف الحكومة المختلفة نقلوا الى مصلحة السجون ثم انتدب بعضهم لدراسة نظم السجون فى الخارج لكانت دراستهم دراسة عميقة ولأفادت مصلحة السجون من خدماتهم أجل فائدة . فإن الرجل الذى يقضى فى الليمان أربعة أعوام بين المذنبين خليق إن كان قد نال قسطا من التعليم أن يلمس مواطن الضعف من النظام القائم بعد أن كابد محاسنه وعيوبه عن قرب .

وانى أسوق حادثا واحدا أدلل به على خطر الجمع بين المسجونين مختلف الجرائم فى سجن واحد .

فى أيام الصيف وشدة الحر تكثر فى ليمان طره الإصابات بضربة الشمس فيزيد عدد المذنبين الذين يحيلهم الطبيب الى مستشفى الحميات فى الليمان لارتفاع درجة حرارتهم ؛ ونظرا

لضيق ذلك المستشفى كانت تضرب أمام المستشفى خيمة يوضع فيها المذنبون الرائدون على أسرة المستشفى .

وحرصا على ألا يهرب أحد من أولئك المرضى كانت توضع فى الخيمة سلسلة طويلة يسلك فيها أولئك المرضى قبيل المساء بأن تمرر تلك السلسلة فى الحلقة الوسطى للسلسلة التى تربط فى رجلى كل مذنب (وتلك لا ترفع من رجليه بسبب المرض إلا إذا مات أو أشرف على الموت) فاذا مرت السلسلة فى حلقات المذنبين جميعا أقفل طرفاها بقفل ضخم و بذلك يستحيل أن يهرب واحد إلا إذا كسر السلسلة أو أخذ المذنبين جميعا معه وهذا وذلك مستحيل .

وارتفعت درجة حرارتى يوما فتقدمت للطبيب فأحالنى إلى المستشفى فأخذت فراشى وغطائى وانتقلت إلى تلك الخيمة ،وأقبل المساء فنظمنا سجان فى تلك السلسلة وأقفلها ورقدنا كل على فراشه .

وكان يجانبى رجل من الريف و بجانبه رجل من مصر شرعا يتحدثان وأنا أسمع حديثهما رغم ما بى من مرض .

قال القاهرى لصاحبه : إنت تهمتك إيه ؟

— شروع فى قتل ، وما تهمتك ؟

— سرقة بسلاح فى الليل .

— الريفى : وأى شىء كنت تسرق ؟

— القاهرى : خزنة حديد بها آلاف الجنيهات .

— الريفى : وكيف تستطيع فتح الخزنة الحديد .

— لنا شريك (رجريجى) يعنى أغريق يأخذ ثلث المبلغ بعد أن تسهل له الدخول ونضمن له سلامة الخروج ومعه سلاح يشق به الخزنة كما يشق المطيخة .

وتنهد الريفى وقال لصاحبه : آه ياخويه لو ربنا يفرجها علينا ؟! دا فى بلدنا واحد عنده فلوس لا يأكلها حطب ولا نار إنما الخزنة الحديد ، مين يفتحها ؟

فضحك القاهرى وقال : سيب فتح الخزنة على الله وعلى الرجريجى .

قال الريفى : أقرأ معى الفاتحة ان ربنا فك ضيقتنا ندق الدقة دى تغنينا العمر .

وقرأ الرجلان الفاتحة وتعاهدا .

هذا الريفى لم يكن سارقا ولكن اختلاطه بلص محترف يمهد له السبيل إذا خرج لأن يفتح صفحة جديدة من الإجرام والسرقة سهل له فتحها اجتماعه بمن يحكم عليهم القضاء

بالسجن فى مختلف الجرائم فى مكان واحد تفرق بينهم المدة المحكوم بها عليهم دون نوع الجريمة .

ولو أن مصلحة السجون عنيت بألا تجعل السجن الواحد مقرا للمحكوم عليهم فى مختلف الجرائم يلقى بعضهم على بعض دروسا فيما حذقوا من ضروب الشر والأثم ويزين بعضهم لبعض الإجرام والخروج على المجتمع لقل عدد اللصوص من غير شك .

وليس ذلك بعسير على مصلحة السجون ولا يكبدها مصاريف تضيفها إلى ميزانيتها فيكون ذلك عقبة فى سبيل المشروع .

لو أن المصلحة خصصت سجنا للسارقين دون غيرهم لما هيأت الفرصة لدرس يلقيه سارق على رجل سجن بتهمة الضرب أو غيره .

ولو أن المصلحة توسعت فى هذا التقسيم فجعلت لمن زلت قدمه أول مرة سجنا لا يرسل إليه إلا أمثاله ثم تعهدتهم المصلحة بالنصيحة والتدريس لكان الأمل فى إصلاح عدد كبير منهم أملا قريب التحقيق .

هذه الطريقة تحول بين كبار اللصوص وبين من تزل أقدامهم أول زلة فتحول بين تمادى هؤلاء بعد خروجهم فى السرقة تحت إشراف من حذقوا السرقة وأتقنوها جريا وراء الكسب السهل والمتعة الزائفة .

هذا فيما يتعلق بالسرقة، وهى من غير شك جريمة شائعة فى أوساط الأجرام يتعلق بها ضعاف النفوس ويهيئ لهم نظام السجون الحالى فرصة التعرف إلى من هم أرسخ منهم قدما وأوسع حيلة فكأن القاضى لا يرسل السارق للتأديب وإنما يرسله لإتمام دراسة السرقة على

عريان يوسف سعد

ماذا يجدى العدل فى القوانين إذا لم يكن فى القلوب وإذا كانت القلوب مؤذية فهل يجدى العدل فى القانون ؟

أناتول فرانس

مقومات المجتمع المصرى

بقلم الأستاذ س . ق

المجتمع المصرى الحاضر تركة تلقيناها من يد الأجيال السحيقة والقرون الموغلة فى التاريخ، وهى تركة مثقلة لا تصلح — فى شكلها الحاضر — أن تكون رأس مال للأجيال القادمة ولا حتى للجيل الحاضر فى مفتتح عهد الاستقلال .

ولكنها — مع هذا — ليست شرا خالصا ولا ميئوسا منها، بل فيها الخير وفيها الشر، وإن يكن خيرها مطمورا خلف آكام من الشرور، منها فى ذلك مثل الأرض الطيبة يتعاورها الإهمال والإفساد، فيكثر فيها السبخ والأملاح، وينبت فيها الحسك والرؤان .

فإذا رزقت وارثا حسن التدبير صادق العزيمة أخذ يفلحها وينبشها وينقيها مما ألم بها، وما يزال كذلك غير يائس منها ولا مستكثر جهدا عليها حتى يعثر بالتربة الخصبة المطمورة فيلقى فيها البذرة السليمة الأصيلة .

والمجتمع المصرى — هذه التركة المثقلة — هو وليد الطبيعة المصرية وهى طبيعة سليمة قويمة، ولكن عناصر أجنبية عبثت بها وأفسدت ذلك المجتمع منذ أجيال وقرون . وما نحب أن نوغل فى التاريخ، بل حسبنا عهد الاستعمار التركى وعهد الاستعمار الأوربى، ومدتهما أكثر من ستمائة عام .

لقد عاشت مصر هذه الحقب كلها فى ظلام وفساد لا عهد للعالم بهما ولا يتصور العقل البشرى أشد منهما أذى لكيان الشعوب وأساس المجتمعات وقواعد الخلق والضمير .

ولو غير الطبيعة المصرية العريقة ابتلى بمثل ما ابتليت به مصر لما بقيت له سحنة ولا سمت، ولكان اليوم فتاتا متناثرا لا يصلح لشىء فى الحياة .

إن العراقة وروح الصبر والسخرية وشدة التمسك بالتقاليد هى التى أبقت لمصر عنوانها بعد هذه القرون، التى سادتها فيها أرستقراطية لا تمت إليها بصلة فى الجنس ولا فى الطبيعة ولا فى الاخلاق .

وقد كانت فى أوربا إقطاعيات ولكنها كانت إقطاعيات وطنية يشترك الأسياد فيها والعبيد فى وحدة العنصر فأمكن استصلاحها وإنقاذ الشعب من ويلاتها . أما فى مصر فقد كان الأسياد من أمم أجنبية لا علاقة لهم بالعبيد فى طبيعة ولا إحساس . ومع هذا فقد صمد هؤلاء العبيد واحتفظوا بشخصيتهم، وهذه إحدى مفاخر الطبيعة المصرية العريقة .

كل ما نقاسيه اليوم من ويلات اجتماعية ملخصا فى إهمال الريف والأحياء الوطنية ، وفقر سكانها وجهلهم ، وتفشى رذائل اجتماعية شتى كالفردية وإهمال حقوق الجمهور وعدم التضامن الاجتماعى ... إلى نهاية هذه القائمة الطويلة — إنما نشأ يوم كان السادة عنصرا آخر غير عنصر العبيد ، فلم يحسوا شيئا من آلام الشعب ولم يقدروا مصالحه أو يتدمجوا فى كتلته ، فبقيت الارستقراطية الأجنبية تنعم فى المدن وفى أحياء خصة منها ، بينما الشعب كله فى المعاور والقيعان والكهوف .

لهذا السبب لم تكن لنا قصور ريفية تاريخية ، ولا ارستقراطيات وطنية محلية كما هى الحال فى أوربا ، ولهذا بقى الريف قبورا مهجورة وأحياء الفقراء فى المدن أكواخا قذرة ، وانزوى المجتمع المصرى يعيش على فتات الأسياد ، ويتملقهم ويسخر بهم فى سره ، ويخشاهم ويسىء الظن بهم ويتندر عليهم فى مجامعه ، ويتخذ من الحكام عدوا ، ويرتاب فى كل حركاتهم وأعمالهم ، ويسرق ما تقع عليه يده من مالهم ، ويغتنم كل فرصة للتفلت من نظامهم وتمتلئ نفسه حقدا عليهم ، كما تمتلئ بالرذائل الاجتماعية من جراء هذا جميعه .

وما كاد هذا المجتمع يتخلص من النير التركى الظالم الثقيل ويجلس على عرشه واليا يختاره بمشيئته حتى تلقاه الاستعمار الأوربى وهو على حالته هذه مضعضع القوى مزعزع العقيدة سقيم الوجدان ، وإذا هو كالجسم العليل يتلقى كل مقومات الصحة فى التقاليد الأوربية وتجتذبه كل أمارات الضعف فى هذه التقاليد ، فكان هذا شرا على شر وسقما على سقم فى جسم منهوك هزيل .

تلك خلاصة المأساة التى أورثتنا هذا المجتمع الحاضر . ولولا إيمان عميق بعراقة الطبع المصرى وقدرته على نفض ما اندس فيه من الدغل والأدران لكان علينا أن ننقض الأيدى من كل رجاء وكل إصلاح .

* * *

والآن فلندع ما فات ولا نلق بالنا إلى الماضى الأليم .

نحن فى مولد عهد جديد ، فعلينا أن نخلق مجتمعا جديدا نستخلص عناصره من الطيبات فى ماضينا ، ونستنقذه من براثن التاريخ الطويل ، ونجمع له كل مقومات الأصيلة التى لم يستطع الزمن إزالتها فمن العبث أن نحاول الإصلاح من غير أساس .

نحن فى حاجة إذن إلى رسم المقومات الأساسية للمجتمع الذى نريده ، والذى يتفق مع عهد الاستقلال ومع المجتمع العالمى الحاضر . فإذا شخصنا هذه المقومات أمكن أن نبدأ البناء فوقها فى كل مراحل الحياة . وفى التربية والتعليم والتشريع .

ولا أحسب أن البحث وراء هذه المقومات يطول ، فهى واضحة بارزة فى تاريخنا وحياتنا على الرغم من كل ما اعتورها من آفات ، وهى تتلخص فى هذه الأصول الثلاثة : الثقافة المصرية القديمة ، الدين الإسلامى واللغة العربية ، المدنية الأوربية العلمية والصناعية .

فلنقل كلمة مختصرة عن كل من هذه المقومات :

فأما الثقافة المصرية القديمة ، ونعنى بها الروح المصرية والتقاليد والأساطير والخرافات فهى سارية فى دمائنا ، مؤثرة فى ميولنا ، مختبئة وراء عاداتنا ، منبثة فى خرافاتنا ، لا تخطئها عين الباحث فى أفراحنا ومآتمنا وفى مواسمنا وأعيادنا ، وفى كثير من اصطلاحاتنا اللغوية — على الرغم من اللغة العربية — وفى أمثالنا ومأثوراتنا الشعبية .. وفى كل مرافق حياتنا العامة . هى واضحة بعد ما يقرب من ألفى سنة فى المسيحية والإسلام ، وبعد قرون من الاستعمار التركى والأوربى . وهى حجر السلامة فى كياننا الباقى على الأيام .

وأما الدين الإسلامى واللغة العربية ، فمصر لم تتأثر بهما فحسب كما تأثرت كل البلاد التى فتحها الإسلام ، بل كانت موئلا لهما ضد عوادى الزمن والفتح ، فهى تشعر فيهما اليوم بنوع من الأمومة والحصانة ، ومهما أصابهما من العوادى بسبب الاضطراب الفكرى والتحلل الخلقى عقب الحرب العظمى فإن كيانهما سيظل سليما فى مصر أم التاريخ وحارسة المدنيات وراعية الأديان . وسيبقيان عنصرا أساسيا فى تكوينها الفكرى والاجتماعى وأحد المقومات الأصيلة فى بنائها التاريخى .

وأما المدنية الأوربية فلا سبيل لإنكارها ، والقلم الذى أكتب به هذه الكلمات والورق الذى أخطها عليه والنور الذى أستضىء به والمكتب الذى أجلس إليه ... كلها من آثار المدنية الاوربية .

ولو أصبحت هذه الأشياء جميعا من صنع مصر — وستصبح كذلك قريبا — فستبقى مع ذلك أوربية الأساس افرنجية السحنة ، وستبقى مؤثرة فى توجيهنا الفكرى وفى حياتنا اليومية بلا جدال .

هذه هى الخطوط الرئيسية فى حياة المجتمع المصرى ، وعليه أن يزاوج بينها وأن يحكم مزاجها ، وأن ينفى ما عداها مما علق به من غبار الستين والاستعمار ، وأن يأخذ من كل منها بما لا يفسد الخليط أو يفقده المرونة والانسجام .

والوسيلة إلى ذلك كله :

أولا — أن ترتقى دراسة التاريخ المصرى إلى المستوى اللائق بالتاريخ القومى ، وأن تحيلها دراسة حية نابضة تعنى ببعث مصر القديمة شخصية كاملة على ممر الأجيال ، وأن نبرز حياة البطولة المصرية كلما عثرنا عليها فى التاريخ ، وأن نضم إلى التاريخ الجاف نبضات الحياة فى الفنون والفلسفة المصرية القديمة بتوسع واستغراق .

ليت مصر القديمة هى هذه السطور الجوفاء الجامدة فى الكتب المدرسية . ولكنها هناك فى المتحف المصرى وأوراق البردى والموسيقى المصرية . وهى هناك فى النيل وأعياده ومواسمه

وخرافاته وأساطيره ، وفى العادات المصرية ، التى تعيش بين جدراننا ونحن عنها غافلون .

هـــذه الروح التى تظل علينا من كهوف التاريخ ومعابده هى الروح المصرية التى تجب دراستها دراسة صحيحة طويلة تصل الماضى بالحاضر ، وتشعرنا بالامتداد والخلود .

ثانيا — أن نجعل الدين الاسلامى أساس التعليم فى كل مرحلة من مراحل الدراسة وأن نجعل اللغة العربية أساس التعامل فى كل دار من دور العمل ، وألا نتسامح فى هذا أو تتهاون ، كما تصنع جميع الشعوب .

ومن الروح الإسلاميـــة والتقاليد المصرية ينبغى أن نصوغ التشريع مع ملاحظة روح العصر ، وليس هذا بمتعارض مع الصبغة العالمية للتشريع العصرى ، فقد اعترفت المجامع التشريعية الأوربية باعتبار التشريع الإسلامى أصلا من أصول التشريع الحديث .

ولست أدعو بهذا إلى اطراح القوانين المدنية والجنائية الحاضرة ، إنما أدعو إلى الملاءمة التامة بينها وبين روح التشريع الإسلامى وروح التقاليد المصرية معا ؛ فالقانون ظل المجتمع ، والمجتمع المصرى مزاج من ثلاثة مقومات فيجب أن يكون تشريعه ظلا صادق التمثيل له .

ثالثا — أما المدنية الأوربية ، فمن الخطأ والتعنت إهمال أثرها أو إبعاده عن محيطنا المصرى . فذلك جهد ضائع وتفكير غير مستقيم . ولكن ينبغى أن نهضمها ونحيلها دما مصريا خالصـــا ، فالحضارات نتاج إنسانى ، تصبغه كل أمة قوية الطبيعة بصبغتهـــا الخاصة ، وتمثله دما فى بنيتها يقويها ويحميها .

وعلينا نحن أن نتناول هذه المدنية الأوربية التى لنا نصيب فى تكوينهـــا معترف به يوم ردت مصر إلى أوربا خزائن الحضارة الاغريقية المغلقة ، ويوم ردت إليهـــا مرة أخرى كنوز الحضارة الإسلامية المطمورة ، علينا أن نتناولها اليوم تناول أصحاب الحق فيها المشتركين فى تأسيسها فنعطيها اللون المصرى المستق من الروح المصرية والروح الاسلامية معا ، ونخرجها مزاجا جديدا له عنوان معروف فى الفنون والعلوم والتشريع والحضارة على العموم .

فى التعليم ، وفى التشريع ، وفى الحيـــاة اليومية ، نحن فى حاجة إلى مزج هذه المقومات الثلاثة قبل أن نخطو خطوة واحدة فى سبيل الاصلاح الاجتماعى على غير أساس .

أما الأمراض الاجتماعية التى خلفها الاستعماران الفاسيان ، فجرعات قوية متتابعة من هذا المزيج كفيلة بشفاء أكثرها . وأما ما خلفته فى النواحى الاقتصـــادية والعمرانية فينبغى أن نسير فى خطوات مضادة لخطوات الاستعمار التركى ، بأن نجعل الحكومة للحكومين لا للحكام ، وأن نديل للقرية من المدينة ، ونرد للاولى اعتبارها وأموالها فى مشروعات التجديد والإصلاح .

وليس هنا موضع التفصيل فى هذه الشؤون . وكلها واضح معروف لاتنقصه الا النية الصادقة والعزيمة المنفذة ما

س . ق

الفلاح في القرية والعامل في المدينة

ليس في مصر مايدعو الى القلق العظيم و إلى وخز الضمير الوطني مثل حالة الفلاح المصري التي تنخفض الى مادون المستوى الذي يصطلح عليه المتمدنون . وقد أنفقت الحكومة المصرية مدة الرقابة البريطانية الملايين من الجنيهات لاصلاح الريف، ولكن هذا الاصلاح كان على الدوام يقتصر على التربة دون القرية ، وزيادة الخصوبة حتى تزيد المحصولات دون الترفيه عن الفلاحين . بل إن هذا الاهتمام بزيادة المحصولات قد عاد بالضرر الصحي على الفلاحين ، لأن التربة تشبعت بالمياه فكثرت الأمراض التي تفتك بالفلاح مثل البلهارسيا والانكلستوما ، فاذا أضفنا الى ذلك أن القرية في السبعين سنة الماضية كانت تفقد رويدا رويدا استقلالها الاقتصادي عرفنا مقدار البؤس الذي كان يعانيه الفلاح منذ بداية هذا القرن. فقد كانت القرية المصرية تزرع فتأكل مما تزرع ، كما كانت تغزل وتنسج الأقمشة التي تحتاج الى ما تنتجه الأرض ، ولكن واردات الأقمشة من أوربا قتلت صناعتي الغزل والنسج فانهدم استقلال القرية . ولم ينتفع الفلاح بزيادة الخصوبة أو وفرة المحصول ، لأن ايجار الأرض كان يزداد فيبقيه في ضيقه وفقره بل يزيده ضيقا وفقرا .

والبلاجرا هي واحد من أمراض الفقر التي تتفشى بين الفلاحين ، وهناك أمراض أخرى تتفشى أيضا وتعزى الى الجهل والفقر معا . فإن العجز عن النظافة يجعل العدوى بحمى التيفوس و بأمراض أخرى سريعا وقاسيا . كما أن خلو المسكن الذي يعيش فيه الفلاح من وسائل الرفاهية وخلو القرية من وسائل التسلية كلاهما يجعل الفلاح سريعا الى ارتكاب الجريمة اذ هو لا يبالي أن ينتقل من قرية خالية من الحياة الاجتماعية ومسكن لا يبعث على الانشراح الى السجن .

وقد عنيت مصلحة الصحة ثم وزارة الصحة في السنوات الأخيرة، بصحة الفلاح . وكان للمرحوم الدكتور شاهين باشا والدكتور عبد الواحد الوكيل بك فضل التنبيه ووضع البرامج للإصلاح ، ففي عام ١٩٣٤ وضع المرحوم شاهين باشا مشروعا يراد به اصلاح مساكن الفلاحين في مدى أربعين عاما .

أما مشروع عبد الواحد الوكيل بك فيقوم على أساس اجتماعي واقتصادي وصحي معا. وذلك لأنه يرى أن الحال السيئة التي يعانيها الفلاحون لا ترجع الى المرض وحده ، بل الى الفقر والجهل أيضا ، فهو يقترح إيجاد "مجموعة قروية" تتألف من طبيب وزائرة ومعاون صحي وطبيب بيطري وموظف تعاوني ومرشد زراعي ومعلمة للأعمال اليدوية ، وهؤلاء

الموظفون السبعة يشرفون على منطقة معينة من الريف فيرفعون المستوى الاقتصادى و يعنون بترقية الزراعة وصحة البهائم وتعليم الفتاة أو الأم القروية بقدر ما يعنون بصحة الفلاحين . والفلاح لا يعتمد على رأيهم فى صحة طفله فقط بل يحتاج اليهم لكى يستشيرهم فى نوع السماد الذى تحتاج اليه الذرة أو يسألهم عن العلة فى قلة اللبن الذى تدره جاموسته أو بقرته .

ولكن هذا المشروع للأسف لم ينفذ ، إذ اقتصرت وزارة الصحة منه على القسم الصحى ، ولها الآن مكاتب صحية يحتوى كل منها على طبيب وقسم رعاية الأم ومعزل صحى . والمأمول أن تكثر هذه المكاتب وأن تتوسع فيها الوزارة حتى تعيدها إلى المشروع الأصلى الذى وضعه عبد الواحد الوكيل بك .

على أن وزارة الشؤون الاجتماعية بمراكزها الاجتماعية سوف تحقق أغراض هذا المشروع.

والتفكير العام يتجه هذه الأيام نحو نقض الخطة السابقة فى وزارة الأشغال . فإن هذه الوزارة قد أصبحت تشعر بمسئوليتها الجسيمة فيما انتهت اليه مشروعاتها للتوسع فى الرى بإشباع التربة بالماء وإفشاء الأمراض التى أصبحنا نسميها "المتوطنة" وهى تعنى الآن بتجفيف التربة . كما أن الحكومة قد توسعت بإيجاد المستشفيات للرمد ولأنكلستوما والبلهارسيا ولكن جميع المفكرين يشعرون أن كل هذه الوسائل علاجية ، وأن الوسيلة الوقائية الوحيدة هى مكافحة الفقر وزيادة ثروة الفلاح بسن القوانين التى تمنع المالكين من المبالغة فى استغلاله كما تمنع التجار من التلاعب فى معاملته . فمن الناحية الواحدة نحتاج الى سن قانون يحدد قيمة الإيجار للأرض . ومن الناحية الثانية نحتاج الى تعميم شركات التعاون كما لا بد من قوانين أخرى لتنظيم بناء القرية وتحسين مساكن الفلاحين .

وقد كان من أثر النهضة الصناعية وايجاد طائفة من الصناعات الحديثة أن أصبح فى كل من القاهرة والأسكندرية و بعض المدن الأخرى وخاصة فى المحلة الكبرى طوائف من العمال تعيش بما تكسب بالعمل فى المصانع .

وما سبق لنا أن قلناه عن الفلاح حين فقد استقلاله الاقتصادى بدخول الأقمشة الأوربية نقوله أيضا عن العامل فى المدينة ، فقد كان هذا العامل يعيش قبل القرن التاسع عشر وهو مالك وعامل معا ، وكان يندمج فى "الطائفة" التى كانت تضارع الجيلد (Guild) فى انجلترا. ولكنه هو أيضا فقد استقلاله بتدفق البضائع الأوربية . بل إن اسماعيل باشا ألغى نظام الطوائف عندما رأى أنه فقد قيمته السابقة .

فلما كانت بداية هذا القرن كان عدد كبير من العمال يعمل فى مصانع الحرير ، وكان معهم بعض العمال الأوربيين الذين نبههم الى معنى النقابة وقيمتها . وكان المرحوم عمر لطفى بك من أولئك المفكرين الأبرار فساعدهم على تأليف النقابة . ولكن مع مضى نحو ٣٨ سنة

على هذه الفكرة لا يزال العمال بلا نقابات تعترف الحكومة بشخصيتها وتكفل للعمال حقوقهم إزاء عشرات المصانع التى قد تستبد بهم .

وقد أنشأت الحكومة مكتبا — ثم مصلحة — للعمل . ولكن هذه المصلحة لا تزال تفتقر الى تنفيذ الشرط الأول لنجاح أية محاولة لترقية العمال وهو الاعتراف بشخصية النقابة . وقد قدمت مشروعا لتأسيس النقابات وأخرجت الفلاحين والخدم منه ولكن هذا المشروع لا يزال فى طور الدرس . والمأمول أن يوافق عليه البرلمان قريبا .

ومساكن العمال فى المدن لاتعد سيئة اذا قيست بمساكن الفلاحين ولكنها تحتاج الى كثير من الإصلاح ، فان أحياء العمال فى المدن الكبرى تتكدس فيها المساكن وتخلو من المتنزهات وبعضها يخلو من وسائل الصحة والراحة ، وقد عنيت بعض الحكومات السابقة ببناء المساكن للعمال ولكن التنفيذ كان على الدوام مقصورا على عدد قليل من المساكن .

ومما يؤسف له أن العمال لم يجدوا الإرشاد الذى كانوا ينتظرون من القادة ، فقد تزعم نقاباتهم عدد كبير من المتجرين بالسياسة ، فكان مصير النقابة على الدوام الى الافلاس ، وكذلك اندفعوا فى تيارات حزبية عادت عليهم بالضرر ، ولكن رويدا رويدا يدرك العمال أن النقابة هى الأساس لجميع ألوان النشاط الأخرى ، ولذلك يركزون همهم فى حمل الحكومة على الاعتراف بها .

كيف ترعى عناية الله أرضا ... باء فيها المجد بالإقلال ؟

ينسج الخز والحرير ويمشى ... حافيا فى الرقاع والأسمال ؟

ويشيد القصور وهو شريد ... فى زوايا الكهوف والأطلال ؟

ويدر الغنى وما فى يديه ... شبعة الوالدين والأطفال ؟

العقاد

القيمة النفسية والخلقية للألعاب الرياضية

للأستاذ س . م

تفشت الألعاب الرياضية فى انحاء بلادنا وأقبل عليها الشباب إقبالا قد يعدّ فى بعض الأحيان شططا . فهم ينغمسون فيها وينفقون وقتهم وجهدهم فى التبريز والتفوق بحيث تضيع عليهم بسبب هذا الانغماس فوائد أخرى ثقافية و اجتماعية . بل أحيانا قد يؤدى الى ضرر صحى أكيد كما ترى فى حالات الضغط العالى للدم أو شلل القلب عند اولئك الرياضيين المحترفين قبل ان يبلغوا الخمسين من أعمارهم .

ولكن ليس هناك شك فى الفائدة الجسمية للرياضة المعتدلة . فإنها تساعد على النشاط واعتدال القوام والنمو السوى والتغلب على الاضطرابات الجنسية . وهذا التغلب يعدّ من الميزات النفسية للالعاب الرياضية . فإن الشاب يجد من ارهاق الحاسة الجنسية عنتا عظيما كما يجد أن الخواطر الجنسية تحتل رأسه وتشغله عن تأدية أعماله . ولكن الألعاب تفتح لهذا النشاط الجنسى مجرى جديدا مفيدا ينصرف اليه فينتفع المرتاض رقيا صحيا وذهنيا وسكينة نفسية .

وجميع المتحمسين للرياضة الداعين اليها قلما يذكرون الميزات النفسية التى تعود منها على المتمرنين المعتدلين، أن هذه الميزات لا تنقص عن الميزات الجسمية. ومن هنا ذلك النجاح الذى كثيرا مانلقاه فى صفوف أولئك الأشخاص الذين ينغمون فى الألعاب الرياضية فينبغون أيضا فى أعمالهم الحرفية سواء أكانت عملا حرا أم وظيفة حكومية . ونحتاج إلى بعض الإيضاح عن العلاقة القائمة بين الجسم والنفس لكى نعرف القيمة النفسية للألعاب الرياضية.

فإن مما يسلم به السيكلوجيون العصريون أنه كما تؤثر حالة الوظيفة فى العضو كذلك تؤثر حالة العضو فى الوظيفة . فقد أسمع فكاهة بارعة ينشرح لها صدرى فأبتسم وأضحك . وقد أفكر فى خصم قد بلوت منه الأذى والألم فأحس الغيظ فيدق قلبى ويسرع نبضى . وقد ترتعش يداى لفرط الغضب . فهنا حالات نفسية قد أحدثت حالات عضوية جسمية : سرور حرك الشفتين والرئتين بالابتسام ثم الضحك . وغضب حرك القلب بالدق وسرعة النبض واليدين بالارتعاش . ولكن حالة الجسم تؤثر أيضا فى النفس . فالجندى إذا وقف فى الصف معتدلا ومشى مشية الجندية بإيقاع منتظم أحس من القوة والشجاعة غير ما نحس

نحن حين نسير الهوينى فى الشارع متراخين مطأطئى الرءوس متمهلين . لأن اعتدال قامة ذلك الجندى ومشيته القوية قد أحدثت له حالة نفسية من الشجاعة تختلف عما أحدثت مشيتنا المتراخية فى نفوسنا من الاستكانة .

ومن هنا نقسمة النفسية بالألعاب الرياضية . فإننا حين نلعب نبارى خصما ونحاول أن نغلبه فى شوط من العدو أو الوثب أو مطاردة الكرة أو السباحة أو المبارزة فتتخذ أجسامنا حركات هذه الألعاب فتحدث فى نفوسنا العواطف التى تلازم هذه الحركات . فكما أن الابتسام يشعرنا بالسرور وكما أن انحناء الرأس يشعرنا بالخضوع أو الاستسلام كذلك العدو والمباراة والوثب والمبارزة تشعرنا بالشجاعة والإقدام والرغبة فى الانتصار والتفاؤل . وهذه كلها حالات نفسية تلازم الجسم حتى بعد انقضاء الألعاب . لأن من شأن العواطف أن تتريث إلى ما بعد انقضاء مهمتها . ألسنا نرى ذلك الروح الذى تعكر مزاجه فى البيت قبل خروجه إلى عمله فى الصباح يبقى طول النهار أو نصف النهار وهو متمعض كاره لا تنشط نفسه إلى المرح مع إخوانه والحديث إليهم ؟ فكذلك الخارج من ميدان اللعب ترافقه حالاته النفسية التى أثارتها ظروف اللعب وحركاته . فهو يقعد إلى مكتبه مستوفزا صاحيا مستبشرا عالى الرأس يشعر بالشجاعة والإقدام ويرغب فى الكفاح ، كفاح العمل بعد كفاح اللعب . وهو فى هذه الحال لا يعرف التشاؤم ولا يؤمن بالحيبة ولكنه يجرؤ ويرضى بالمحاولة ويقبل عليها غير محجم . وهذه حال تؤدى إلى النجاح وتجعل المستقبل زاهرا بالأمانى والمطامع .

أما ذلك الذى لا يلعب فإنك واجده منحنيا فى مشيته متمهلا فى خطوته قابعا فى قعدته . وهذه الأوضاع للجسم والأعضاء تؤدى إلى حال نفسية أخرى ، فهو فاتر متشائم ، بل لعله خائف يسىء الظن بالمستقبل ويجبح الطوارئ . لأن حالاتنا النفسية تساير إلى حد ما حالاتنا الجسمية . وكثيرا ما يدخل أحدنا أحد المكاتب الأمريكية أو الإنجليزية فى القاهرة فيجد لوحة معلقة على أحد الجدران قد كتب عليها بالانجليزية " ابتسم " والمعنى المقصود أن حركة الشفتين بالابتسام تحرك النفس بالسرور والتفاؤل . ولما كانت حركات الجسم فى الألعاب الرياضية هى حركات الكفاح والانتصار والإقدام فإنها تؤدى إلى الحال النفسية التى تتصف بهذه الفضائل التى تستمر مدة طويلة فننتفع بها فى عملنا كما انتفعنا بها فى لعبنا .

ولذلك يجب على كل منا أن يؤدى كل يوم بعض الألعاب الرياضية لصحة جسمه وصحة نفسه معا . ويجب أن تكون هذه الألعاب هوايتنا التى نفر من العمل إليها فتفيق أجسامنا من الترهل ونفوسنا من الفتور والتضعضع . والجسم السمين المترهل هو أسوأ الأجسام وهو عرضة لكثير من الأمراض ، ولكننا ننسى أنه يعرض النفس أيضا للفتور والضعف والخوف والجبن فيؤخر الشخص السمين عن النجاح والتوفيق .

وليس هناك شك فى ضرر الإفراط فى الألعاب الرياضية . ولكن لا شك أيضا فى ضرر التفريط فيها . فإننا نعيش حياة مدنية تميل بنا إلى الركود وكراهة النشاط وقضاء الوقت الطويل فى القعود وما يجر كل ذلك من انحناء القامة وترهل الأعضاء فتتضرر صحتنا الجسمية ثم ينعكس هذا الضرر إلى صحتنا النفسية . وعيشتنا المدنية هذه ليست هى المعيشة الطبيعية ، ولذلك تؤدى الألعاب الرياضية مهمة التعويض لهذا النقص المدنى وتبعث النشاط لأجسامنا كما تبعث الإقدام والتفاؤل والجرأة فى نفوسنا . وهى رياضة للجسم كما هى رياضة للأخلاق ٤

س. م.

الأب الحسن

الأب الحسن أو الأم الحسنة هى تلك التى تتيح لابنها الاستقلال وتحمل المسئوليات . والاستقلال يعنى فى النهاية تحمل المسئوليات . والتبعة أو المسئولية هى للاخلاق أو الشخصية بمثابة الفيتامين للصحة الجسمية . لأن الشخص الذى لا يتحمل أية مسئولية ولا يكلف الاعتماد على نفسه ولو فى الصغائر ينشأ وهو لا يعرف معانى الواجبات أو الحقوق ولا يجد فى نفسه الحافز على النشاط الابتكارى الذى يعول فيه على نفسه فقط .

ويجب لذلك أن تكلف الأم أولادها تكاليف مختلفة سواء فى ادارة البيت — إذا كانوا بنات — أو شراء أشياء خارجية . أو تأدية مهمات منزلية أو غير منزلية . وقد أسست جمعيات لاصطياف الصبيان والبنات ، وهى تقوم على أن يخدم الصبى أو البنت نفسها بعيدة عن معونة أبويها والخدم . وهذه الجمعيات تقيم فى الخيام بالقرب من الشواطئ . وعلى الأعضاء الصغار أن يخدموا أنفسهم وأن يؤدوا بعض الخدمات فى نظافة المكان والطبخ ونحو ذلك .

حياتنا العامة

ينقصها النظام

للأستاذ على حسنى ابراهيم

النظام روح كل عمل وقوامه ، وهو كمظهر خارجى أشبه الاشياء بالقالب المحكم الصنع يصب فيه العمل فيبدأ متناسق الاجزاء ، ترتاح له العين وتطمئن النفس .

ولقد كان النظام ، وسيظل دائما ، مظهر حضارة الأمة ورقيها ، والدليل الذى لا يخطئ على مبلغ نصيبها منهما جميعا . وإنا لنشاهد الآن أن الأمم التى احتلت الصدر بيع غيرها من الأمم هى التى أشربت روحها حب النظام فأصبح لها طبيعة وسجية لا تكلف فيها ولا تصنع ، وأن من بين الأمم الصغيرة كالأمم السكندنافية ما تغبطها أمم أخرى أكبر عددا واوفر ثروة على ما كانت تنعم به من حياة هانئة رضية قبل أن تصطلى بنار الحرب ، لم تكن لتكتمل لها وسائلها لولا تعلقها بالنظام وأخذها بأسبابه .

فما مبلغ حظنا نحن ابناء الأمة المصرية من النظام وما مدى حرصنا عليه ، واذا قسنا أنفسنا الى الأمم التى نسعى الى محاكاتها ونطمع فى مساواتها فهل نخرج بنتيجة تعلى من اقدارنا وتطمئن اليها نفوسنا .

لا أعتقد أن هناك من يتردد فى الإجابة على هذا السؤال ، ولا أن هناك من لا يقطع بأننا لازلنا وراء هذه الامم بأشواط عدة ، ودون ما نرجوه لأنفسنا بمراحل طويلة ، وانه آن لنا أن نحزم أمرنا للقضاء على هذه الفوضى التى تذهب بكثير من ثمار أعمالنا ، وتضعف كثيرا من جهودنا ، وتسلب أعمالنا احمال التناسق والانسجام ، وتعرضنا للسخرية والازدراء. ولن يتسع المجال هنا لقول كل ما يمكن قوله فى مزايا النظام وكيف يكون كل منا منظما فى حياته الخاصة والعامة ، ولكن سأحاول أن أعرض عرضا سريعا بعض مظاهر الفوضى فى حياتنا العامة وهى التى تتصل بغيرنا من أبناء هذه الأمة أو من نزلائها ، حيث تبدو الفوضى سافرة الوجه ، كريهة المظهر ، تدعو الى كثير من النقد ، وتثير كثيرا من السخرية ، ذلك أنه اذا جاز للمرء أن يتهاون فيما يقتصر نفعه أو ضرره عليه وحده ، فليس له أن يتهاون فيما يؤدى تهاونه فيه الى الإضرار بمصالح غيره أو الانتقاص من حقوقه .

فى الشارع :

الشارع معرض عجيب لمظاهر الفوضى فى مصر . ولطالما أوحى منظره إلى الأجانب الوافدين إلى هذه البلاد أسوأ الأفكار عن الأمة المصرية وعن مبلغ تعلقها بالنظام . وأذكر

أن صديقا لى سأل مرة سيدة أمريكية كانت تزور مصر عن رأيها فى الأمة المصرية فكان ردها "إنها أمة لم تتعلم بعد كيف تسير فى الطريق" وهو رد على اقتضابه فيه كثير من القسوة وإن كان فيه كذلك كثير من الحقيقة . والواقع أنك لو ألقيت نظرة ناقدة على أحد شوارع القاهرة كبرى المدن المصرية وأكثرها أخذا بمظاهر الحضارة لرأيت عجبا :

فهناك يزدحم كل من الافريزين اللذين على جانبى الطريق بجموع المارة من المترجلين بين رائح وغاد يصطدم هذا بذاك ، ويضطر أحدهم للوقوف حتى يمر الآخر . ولو أنهم اتبعوا النظام فسار كل فريق على الأفريز الذى إلى يمينه لما كان هناك اصطدام ولا توقف ولاستراح الجميع وأراحوا .

وتشارك المارة السيارات والعربات والدواب فى الطريق المعد لها وسط الشارع . وتعبره فى غير المواضع المخصصة للعبور وتحدث بسبب ذلك الحوادث وتزهق الأرواح أحيانا .

ويقف بعض المارة جماعات يتحدثون تارة على الأفاريز وأخرى فى نفس الطريق فيعيقون بذلك حركة المرور .

وتسير جماعة منهم فى صف مستقيم وسير بطىء فتقيم بذلك حائطا بطىء الحركة يسد الطريق على غيرها من المارة فلا يستطيعون اجتيازه إلا تسللا أو بالالتفاف حوله .

ويلقى المارة والقاطنون فى مساكن مطلة على الطرق بالأوراق وفضلات الأكل وما شاكلها إلى الطريق مع كل ما تتجشمه الحكومة من مشاق فى نظافة الطرق وإعداد أماكن خاصة تلقى فيها أمثال هذه الأشياء ، ومع كل ما تسنه من قوانين وتوقعه من عقوبات .

وتبدو المبانى على جانبى الطريق متباينة الشكل ، متنافرة الطراز . فمن دور شاهقة ذات عشر طبقات ، إلى بيوت قليلة المساحة ، ضئيلة الحجم . ومن طراز رومانى ، إلى آخر عربى ، إلى ثالث يونانى ، إلى رابع مصرى إن صح أن هناك طرازا مصريا .

ويحفل الطريق بالمتسولين فى مظهرهم المزرى ، وأطمارهم البالية ، بين متسكع فى مشيته ومتوكئ على عصا ، وزاحف على الأرض . وقد تفننوا فى اظهار عاهاتهم الحقيق منها والمصطنع وعرضها على المارة بشكل تقذى له العيون وتغثى النفوس .

ويزدحم الطريق كذلك بالباعة الجوالين يزاحمون المارة ويضايقونهم بما يعرضون عليهم من سلع تافهة . أو يزحمون بعرباتهم جوانب الطريق وهم لا يفترون لحظة عن المناداة على سلعهم بأصوات مرتفعة تزعج السكان وتقض مضاجعهم .

ولعل أعجب ما فى الطريق ذلك المعرض المتنقل للأزياء . فلن تجد شارعا فى أية مدينة من مدن العالم يحفل بما يحفل به أحد شوارع القاهرة التى تزدحم بالمارة . فهنا ترى فريقا يلبس الملابس الافرنجية مع فارق واحد وهو الطربوش بدل القبعة ، وفريقا آخر يلبس "القفطان والجبة" وثالثا يلبس الجلباب والمعطف أو الجلباب وحده، ورابعا يلبس العباءة . أما غطاء الرأس فيختلف من طربوش ، إلى عمامة ، إلى " طاقية "، إلى الاستغناء عن هذه جميعا نزولا على حكم " المودة " . وأما لباس القدم فيختلف كذلك من الحذاء المعروف ، إلى " البلغة " ، إلى " المركوب " ، إلى الاستغناء أيضا عن هذه جميعا لا نزولا على حكم " المودة " بل على حكم الفقر أو الجهل ، أو على حكمهما معا .

وفى وسط هذه الفوضى ترى رجل الشرطة منهمكا فى مطاردة الباعة وجامعى أعقاب السجاير ، أو فى فض المشاجرات واقتياد المخالفين إلى دار الشرطة وقد التف حوله فريق من الجمهور يدافعون عن مرتكبى المخالفة ، ويهونون من شأنها ، ويلحون عليه فى غض النظر عنها .

هذه صور سريعة لشوارعنا المصرية وما فيها من عجب عاجب . وهى صور تبرز حاجتنا إلى النظام فى أيسر شؤوننا اليومية ، وتبين إلى أى مدى تضعف الفوضى من جهودنا وتنال من كرامتنا .

ولما كان الضد يظهر حسنه الضد كما يقولون فإنى سأعرض هنا صورة رائعة لآداب المسايرة فى العصر الإسلامى ، يوم أن كانت المدنية الغربية الحالية لا تزال تتعثر فى خطواتها الأولى . فقد ذكروا أن الوليد بن اليزيد الخليفة الأموى لأمه بعض خلصائه لأنه اختص أحد الناس بمحبته وآثره بهواه فكان رده " كيف تلومونى فى هوى رجل سايرته طويلا فما حك ركابه ركابى ، ولا تقدمنى فنظرت قفاه ، ولا تأخر عنى فلويت له عنق ، ولا حجب الشمس عنى فى شتاء ولا النسيم فى صيف قط ، ولا سألته فى مسألة إلا ظننت أنه لا يحسن سواها " ؟ .

فى السيارات العامة وعربات الترام :

لا تكاد السيارة تصل الى موقفها حتى يندفع اليها راغبو الركوب قبل أن يتمكن من فيها من النزول . وينتهى الأمر بعد ازدحام الأجسام وتصادمها بركوب الأقوياء من الشبان والرجال . أما الشيوخ والضعفاء ، وأما السيدات والأطفال ، فعليهم أن ينتظروا طويلا حتى تتاح لهم فرصة الركوب فى سيارة خالية .

وبالرغم من أن هذه السيارات لا تقبل من الركاب إلا عددا محدودا فلا يندر أن نجد راكبا زائدا على ذلك العدد يصمم على عدم مبارحة السيارة متعللا بأعذار واهية ، غير مبال

بما يسببه للركاب الآخرين من التأخير ، ولا بما يصوبونه اليه من نظرات الازدراء والاستنكار . ولا يزال متشبثا بموقفه حتى يأتى رجل الشرطة فيرغمه على النزول بين سخرية الركاب وشماتتهم .

وكم أرثى لموزع التذاكر فى الترام " الكسارى " وهو يقوم إلى جانب عمله المرهق بمطاردة الغلمان الذين يتعلقون بالعربات عن اليمين واليسار ، ويلاقى كثيرا من العنت فى منع الجمهور من الركوب على السلم . ومن المؤلم حقا أنى رأيت غير مرة بعض رجال الشرطة يقفون هم أيضا على السلم مخالفين بذلك أوامر الشرطة وضاربين بين الجمهور أسوأ الأمثال .

ومن المناظر المألوفة فى الترام أن يدعو أحد الجالسين صديقا له إلى الجلوس بجانبه على مقعد اكتمل عليه العدد المخصص له من الركاب ، متخذا بذلك يدا على صديقه ولكن على حساب غيره من الركاب ، غير عابئ بما يسببه لهم من مضايقة ، ولا بما يوجهونه اليه من نظرات الاحتجاج والاستنكار .

فى المحطات ودور الملاهى ومكاتب البريد :

كانت مخالفة النظام هنا أكثر ما تتجلى فى تخطى الأفراد لدورهم حين يتقدمون لشراء " تذاكرهم ". ويسرنى أن أذكر أن كثيرا من هذه الدور تحتم الان على الجمهور أن يقف فى صفوف منتظمة كل حسب دوره ، وأن الجمهور قد أخذ يتقبل عن رضا هذا النظام ، ولكن ما زلنا نرى بعض الأفراد يندسون وسط الصفوف ، أو يطلبون إلى أحد أصدقائهم فى مقدمة الصف أن يبتاع لهم ما يريدون متخطين بذلك من سبقوهم إلى الحضور .

فى المصالح الحكومية :

لأى حد تسود روح النظام علاقات الحكومة بالشعب؟ وهل تقدم الحكومة للجمهور مثلا صالحا فى التمسك بالنظام والحرص عليه ؟ وهل يقوم الجمهور من جانبه عن طواعية واختيار باتباع ماوضعته الحكومة من الأنظمة، عالما أن ذلك هو الطريق الوحيد للوصول الى حقوقه المشروعة ؟

الجواب على ذلك أن الأعمال الحكومية لا يزال ينقصها كثير من النظام، وأن الموظفين والجمهور يشتركان معا فى مخالفة الأنظمة الموضوعة والانتقاص من قيمتها .

وإذا كان لكل شىء آفة ، فإن آفة النظام فى دور الحكومة "الوساطة" "والمحسوبية" وهما ما دخنا فى شىء الا أفسداه . عرف الجمهور ذلك ، ولمسه بيده ، فاتخذ منها سلاحا ماضيا يقتحم به دور الحكومة فينال به فى كثير من الاحيان مالا ينال بالعدل المطلق والحق المجرد .

والاغنياء وذوو الجاه اذا دخلوا دارا من هـذه الدور رحب بهم ، واحتفل بمقدمهم وقضيت حاجتهم فى غير تأخير أو إبطاء . أما الفقراء والذين لاحول لهم فينظر اليهم شذرا ويؤخرون عن دورهم ، ولا يفسح لهم فى القول ، ولا تقضى حاجتهم الا بعد لأى .

فى الحفلات :

ولا زالت حفلاتنا فى حاجة إلى كثير من التنظيم والتنسيق ، فكثيرا ما يتأخر المدعوون عن الحضور فى الميعاد المحدد ، أو يستصحبون معهم من الاصدقاء والأقارب من لم توجه اليهم دعوة ، مما يسبب للضيف كثيرا من الحرج . ولا زالت الموائد تحفل من أنواع الطعام وألوانه بما يتخم المعـدة ويدل على نقص فى الذوق واسراف لا مبرر له . ولا زال الحديث فى الحفلات أو على المـائدة إما غثا تافها ، أو عن أمور معقدة لاتفهمها كثرة الحاضرين ، أو مسائل شخصية لا تعنيهم فى كثير أو قليل .

البر والاحسان :

والمصريون على كرمهم وميلهم للإحسان والبر ، لا يحسنون توزيع ما تجود به أنفسهم من صدقات ، بل يهبونها جزافا فى كثير من الأحيان . وليس أدل على أن الاحسان فى مصر فى حاجة الى التنظيم من جيوش المتسولين المحترفين الذين تزخر بهم المدن والقرى ، والذين استناموا الى ما ينالون من الصدقات فأصبحوا عالة على المجتمع المصرى وسبة له ، وذلك فى الوقت الذى لاتجد فيه الجمعيات الخيرية المنظمة ، وجماعات الاحسان ، بعض مايكفى للقيام بأعمالها الخيرية التى ترمى بها الى مساعدة المحتاجين حقا بطرق منظمة تتمشى مع الإصلاح الاجتماعى المنشود .

هذه بعض مظاهر الفوضى فى حياتنا العامة . وقد آن لنا آن نحرر أنفسنا منها ، ونمحو عنا وصمتها ، وأن نظهر بمظهر الأمة الجادة فى نهضتها ، المؤمنة بمالها من ماض زاهر ، ومستقبل مجيد ما

على حسنى ابراهيم

كتب الأطفال

أن التغير الذى طرأ على تعليم الأطفال وتربيتهم يكاد يعد ثوريا . فإن العصا التى كان لها المقام الأول فى هذه المهمة قد جحدت حتى صارت المدارس لا تعرف معلما يحمل العصا بل صار الآباء يكرهون أن يوصفوا بالقسوة . وشعار التربية هذه الأيام هو الحب . فالآباء الناجحون فى تربية أبنائهم هم الذين يعاملونهم بالحب والفهم مع الحذر من التدليل . وكذلك المدرسة الناجحة هى التى يعامل فيها المعلم — بل المعلمة — الأطفال بالرفق والإغراء والتسلية والترغيب حتى ينشأ الطفل وهو هادئ راض عن بيئته ، لا يحمل فى نفسه حقدا على أحد ولا تتكون له مركبات نفسية تعطله عن النظر السليم والسلوك المستقيم .

ومن هنا نشأت " رياض الأطفال " التى يتخذ فيها التعلم أسلوب اللعب وتستحيل الواجبات المدرسية إلى أعمال يدوية وذهنية يحس فيها الطفل أنه لاعب يتسلى وليس دارسا يسأم درسه . "وروضة الأطفال" تضيق وتتسع وفقا لحال المدرسة من ثراء أو فقر بحيث قد تكون غرفة مجردة إلا من أشياء قليلة القيمة فى التعليم والتسلية كما تكون مبنى حاويا لكثير من الغرف والأبهاء والحدائق والملاعب يتنقل فيها الطفل من مكان إلى آخر ويجد فيها ما يحث ذهنه على التفكير ويديه على العمل .

وكذلك الشأن فى كتب الأطفال . فإن التغير فيها عظيم وليس هو تغير الكم بل تغير الكيف . فقد كنا نتعلم فى صبانا فى أوائل هذا القرن كيف نقرأ "الفوائد الفكرية" لمؤلفها المرحوم عبدالله باشا فكرى ، وكانت مجموعة من النصائح عن الأخلاق المجردة التى لا يكاد يفهمها غير الراشدين . ولم يكن فيها فصل واحد يمس النشاط الذى يهتم به الأطفال كأن الطفل كان يجب فى اعتقاد المؤلف أن يكون رجلا يعرف فوائد الصدق وأضرار الكذب والبر بالوالدين وخدمة الاوطان . وكنا نطالع هذا الكتاب أو تملى علينا منه الأمالى ونحن لا ننتفع إلا بالكلمات القليلة التى تدخل فى مألوفنا الطفلى أما سائر كلماته الكبيرة ومعانيها الدقيقة فبقيت غامضة مغلقة علينا الى أن شببنا وتناولناها من مؤلفات أخرى .

ولم تكن الكتب الأخرى التى استبدلت بهذا الكتاب أو التى كانت تقرأ وتدرس إلى جانبه بأحسن منه . ولعجيب أن الكتب الانجليزية الابتدائية التى كانت توزع علينا كانت بصورها وأسلوبها وقصصها تتناول شؤون الأطفال ، ولذلك كانت تثبت ألفاظها فى أذهاننا وتجرى بها ألسنتنا أكثر مما كنا نجد فى كتب المطالعة العربية التى كانت توزع علينا . فبينما كنا نجد فى الكتب الانجليزية أحاديث عن الثور والحمار والمائدة والمطبخ ولعب الكرة وقطف

الثمار والعصافير والأشجار مما يثير اهتمام الطفل أو الصبي ويحرك خياله وتلصق الفاظه بذهنه كانت كتب المطالعة العربية تسئمنا إما بنصائح أخلاقية عالية تتجاوز إدراكنا وإما بقصص عربية قد نقلت بنصوصها فكانت غريبة بموضوعها وعباراتها عن مألوفنا وفهمنا .

ولكن حوالى سنة ١٩١٠ ابتدأ المرحوم على عمر بك مع شركائه فى وضع سلسلة "القراءة الرشيدة" نحا فيها نحوا جديدا فى اختيار الموضوعات التى تمس اهتمام الأطفال وخيالهم كما عنى باختيار الكلمات التى لا تتجاوز قدرتهم على التفهم وإن لم يوفق كثيرا فى هذا .

ومنذ تلك السنة تقريبا ونحن نرى التجديد يأخذ بأساليب التأليف للأطفال . وصرنا نرى كتبا فى التاريخ الطبيعى وفى القصص المترجمة أو المؤلفة تنشر مع العناية بالتزيين والتصوير مما يجعل الكتاب تحفة يرغب الطفل فى اقتنائها للتعرف على ما فيها من غرائب تسترعى اهتمامه وفضوله الذهنى . وليسا هنا بصدد السرد لجميع المؤلفات الجميلة التى نشرت فى العشرين سنة الأخيرة ولكننا نذكر بعضها للدلل به على غيره . ولعل الأستاذ كامل كيلانى خير من نذكرهنا فإنه قد ألف كتبا عربية على نمط كتب الأطفال الانجليزية بعد أن جعل الموضوع مصريا تلابسه جغرافية مصر وتاريخها . كما أنه ترجم بعض القصص الانجليزية وأحيانا عمد الى القصص العربية القديمة فنقح فيها وأخرجها مصورة بعد أن زود بتفسير الكلمات البعيدة عن مألوف الصبيان . وله الآن نحو خمسة عشر مجلدا صغيرا تؤلف مكتبة جميلة للأطفال وتستحق عناية الآباء والمعلمين معا .

ومن المحاولات التى كان يجب أن تنجح لو أنها لقيت العناية التى تستحق مؤلفات صغيرة لمحمد حمدى بك والمستر جورج روب وهى تسير على النمط الانجليزى فى العناية الكبيرة بالتصوير الكثير والكلام القليل والتجويد لهذا المصور .

ومن الجهود الحسنة التى قام به الأستاذ احمد عطية الله إخراجه مجموعة من الكتب التى تتدرج قطعها فى الطبع وصعوبة فى القراءة ، وقد ضمها جميعها فى علبة خاصة يقتنيها الطفل فيجد فى وضعها هذا ما يحمله على صيانتها وقراءتها والإعجاب بها .

والسيدة زكيه عزيز مجموعة طريفة من الأوراق السميكة المفصلة تجمع جميعها فى علبة خاصة وعلى كل ورقة من هذا الكرتون صورة لحيوان أو نبات أو أداة مع جملة كلمات مفردة تجعل الطفل المبتدئ يقرأ فى لذة كأنه يلعب ويعبث . ثم هو يجد فى هذه الصور الزاهية ما يحمله على الرسم والسؤال والتفهم فتمهر يده ويتفتق ذهنه .

وقد حاول كثيرون إخراج مجلات للأطفال تختلف من حيث الاتجاه والأسلوب فإن بعضها اعتمد أو بالغ فى الاعتماد فيها على التسلية حتى جعل اللغة العامية لغة الكتابة . وبعضها حاول أن يرتقى الى اتخاذ الأساليب المتبعة فى المجلات الاوربية الراقية للاطفال . وهما يجب

أن نذكر التوفيق الذى حصلت عليه مجلة "بابا صادق" و إن كان المجال لا يزال واسعا فيها للتحسين والتجويد .

و بعد هذا العرض القصير الذى نحس أننا لم نلم فيه بالجهود الكثيرة الشريفة التى بذلها كثير من المؤلفين المضحين نرى أننا مازلنا فى البدايات الأولى فى ميدان التأليف للأطفال. وهناك عقيدة شائعة وهى أن كتب الأطفال يجب ألا يهتم بها غير صغار المؤلفين . وهذا اعتقاد فاسد . فإن التأليف للصغار يجب أن يقوم به خير المؤلفين وأعمقهم ادراكا لنفسية الطفل وأبصرهم بمستقبل الشباب .

وصبياننا فى فقر بالغ من المؤلفات التى توسع آفاق تفكيرهم . فان المؤلف البارع يستطيع أن يلقن الأطفال دروسا فى التاريخ والجغرافيا من حيث يسليهم بالقصص التى لا يشعرون فيها أنهم يكلفون واجبات الدرس . وكذلك الشأن فى كثير من المكتشفات والمخترعات العلمية التى تثير فضولهم إلى الاستزادة والتبحر فيها والطفل المتمدن هو ذلك الذى يقنى رفا من الكتب قبل أن يبلغ العاشرة من عمره و يجد فى نفسه هواية لأحد الفنون وهذه هى ثمرة الكتب التى قرأ فى سنيه الثلاث أو الأربع الماضية ، وهو الذى ترد اليه كل أسبوع مجلة راقية تحدثه عن شؤون العالم وتقص عليه كل ما جد فيه من اكتشاف أو اختراع مع ذكر حوادثه العظمى التى ينتبه لها ذهن الطفل سواء أكانت هجرة أحد الطيور من شواطئ البلطيق الى مصر ، أو صيد الفيلة عند فكتوريا نيانزا أو صورة إحدى الشوارع الجديدة فى نيويورك أو ما يجرى بين الصينيين واليابانيين من قتال وغير ذلك مما يجعل الطفل يقظ الذهن متعطشا إلى المعارف التى يطالبها بالمطالعة والحديث والدرس .

و إننا حين ننظر إلى كتب الأطفال فى اللغات الأجنبية و إلى ما ينفق عليها من آلاف الجنيهات لإخراجها أنيقة جميلة متينة حتى يختفى المعارف التى تجعل من الطفل فيسوفا صغيرا و إنسانا متمدنا ، نحس بالأسف العظيم للعاقة الذهنية التى يعيش فيها أطفالنا وهى فاقة تكاد تكون كاملة لولا جهود هؤلاء المؤلفين الذين ذكرنا بل إن هذا الأسف ليزداد عندنا مادام الإقدام فى ميدان الصحافة لم يتناول إلا قليلا صحافة الأطفال. و إن المستقبل ليحدثنا و يسائلنا : هل نحن نعد له عدته بتعليم صبياننا وتثقيفهم حتى ينشأوا رجالا ونساء متمدنين ؟

إن الأطفال هم ورثة المستقبل . وجدير بالوارث أن يربى حتى لا يتلف تراثه . وخير التربية ما غرست أصوله فى سنى الطفولة .

تربية الذوق

جزء من الإصلاح الفردى والاجتماعى

هذا العنوان صحيح ، لأن الذوق الجميل دليل على رقى النفس وتهذيب الاحساس ، وكل رقى نفسى وتهذيب حسى يؤديان فى النهاية الى أن يستنكف الفرد من التصرفات المؤذية للمجتمع . وينظر للحياة الشخصية والاجتماعية نظرة عالية تنفر من الشرور والجرائم والرذيلة على وجه العموم .

والفنون الجميلة كالموسيقى والرسم والتصوير والنحت والشعر ذات أثر قوى فى تربية الذوق وتهذيبه والارتفاع به الى مستوى الفضيلة ، وما الفضيلة إلا رقى النفس وترفعها عن الشر والإفساد .

نعم ، إن الفنون لا تخضع لقانون " المنفعة " ، بل لقانون الجمال ، ولكن لها فى النهاية أثرا نفعيا غير مباشر عن طريق تربية الذوق وتهذيبه حتى ينفر من التصرفات المنحطة .

وقلما تعيش الأحقاد والسخائم والحسد فى نفس الفنان المطبوع الأصيل ، وكذلك قلما يطيق الكذب والرياء والنفاق الاجتماعى الذى يطيقه الكثيرون ممن لم تسم الروح الفنية بطباعهم البشرية .

ولكن الفن لا ينهض بأذواق الفنانين وأرواحهم فحسب ، بل هو يعدى من يتذوقون آثارهم ، وهؤلاء لا يرتقون الى تذوقها إلا بعد مراحل من التهذيب والتثقيف تهيئهم للتمتع بالجمال فى آثار الفنانين وفى آثار الطبيعة كذلك .

والإعجاب بالمنظر الجميل واللحن الجميل والصورة الجميلة والعقيدة العالية هو فى حقيقته فضيلة من الفضائل الانسانية ذات " منفعة " اجتماعية لا تقل — إن لم تزد — عن الفضائل المتعارفة ، وعن أى فن تطبيقى من الفنون العملية فى الحياة .

وليس الجمال وتذوقه نافلة على هامش الحياة ، بل هو جزء أصيل فى كيانها " تنتفع " به فى حدود أرقى من حدود " المنفعة " المعروفة فى سوق المبادلات ! وللجمال فائدته كما أن له لذته سواء بسواء .

* * *

و بعد فنحن فى مصر لانهمل شيئا كإهمالنا تربية الذوق الجميل فى كل مكان . فى البيت والمدرسة والطريق ، وفى كل ماتقع عليه عين الطفل منذ نشأته إلى أن تتكون أخلاقه وطباعه.

وقلما نعنى فى البيت بالأزهار فى حجرة الجلوس أو على المائدة ، وقلما نعنى كذلك بالصور الفنية والتماثيل الجميلة أو بعدها جزءا من الأثاث عند تجهيز منازلنا بفاخر الرياش . وتنسيق الأثاث فى حجراتنا تنسيق آلى غالبا ، يلاحظ فيه التناظر والتقسيم الهندسى أكثر مما يلاحظ التوزيع الفنى الذى يدل على ذوق داخلى يتجاوز لأشكال .

وقلما ندرب الأطفال على التطلع إلى تآلف الألوان والأشكال فى الأزهار المختلفة ليؤثر ذلك فى ذوقهم عند اختيار الملابس وقطع الأثاث وأحجامها وألوانها وفى إطارات الصور وتناسبها مع الصورة ثم تناسبها مع قطع الأثاث الأخرى ... الى آخر مايغرس الذوق السليم فى طبائعهم الصغيرة .

أما فى المدرسة ففكرة الحديقة جديدة فى المدارس التى ننشئها ، وكثير من المدارس هى دور عادية مصمتة الجدران لافناء لها ولا حديقة ، وكل مابها حجرات يحشر فيها التلاميذ حشرا . بينما الواقع أن الحديقة لاتقل ضرورة للمدرسة عن المعمل ، لا لتنقية الهواء فقط ولكن لتربية الذوق بمناظرها الجميلة ، وتنمية الملاحظة بمشاهدة الأزهار المختلفة الأسماء والأشكال والروائح ، ودراسة الحياة دراسة عملية فى أحد عوالمها الحية .

وحتى المدارس الجديدة ذات الحدائق ينقص بناءها الجمال لأن تصميمها وضع على أساس التناظر وحده بين أجنحة البناء المختلفة ، مما يجعلها أشبه بالعنابر والسجون ، إذ أن وحدة البناء تتكرر تكرارا مملا بلا تنوع فى الشكل أو الوضع ، ومن ذلك مدرسة بنى سويف ومدرسة دمياط وهى آخر طراز من البناء .

ولا تزال مدارسنا كبيوتنا فقيرة من الصور الفنية والمتاحف عامة ، وهى فى نظرنا لاتقل ضرورة عن المصورات الجغرافية الكثيرة . ولعل مما يحمد لوزارة المعارف إكثارها فى هذه الأيام من صور الحيوان والنبات فى أوضاع ومراحل مختلفة ، مع كتابة نبذة تحت كل صورة بيانا لها . وكذلك صور بعض الأجناس البشرية المختلفة .

ومن الضرورى أن تزداد العناية بمثل هذه الصور التى يتعلم فيها التلاميذ أكثر مما يتعلمون فى حجرات الدراسة دون أن يشعروا ببذل طاقة فكرية معينة ، ويدربون فيها قوة الملاحظة تدريبا لذيذا مفيدا .

ولكن هذا لايغنى عن الصور الفنية والتماثيل المجسمة والمناظر الطبيعية الجميلة التى تخلق حاسة الذوق الفنى وتنميه وتصقلها .

ونحن لم نحاول إلا حديثا أن تكون الكتب التى بأيدى التلاميذ معارض للصور والرسوم الجميلة بجانب أنها خزائن للعلومات والمعارف . وحتى حين عنينا بتجميلها بالصور لم نعن بنفسية الأطفال وميولهم فى اختيارها ، ولم نرتبها حسب القواعد السيكلوجية بحيث نثير بها استطلاع الأطفال وننمى خيالهم ونعلمهم فى وقت واحد .

لى قريب بمدرسة حلوان الثانوية أنعم الله عليه وعلى إخوانه بمدرس للغة الفرنسية جعل من كراسات التلاميذ معرضا فنيا للصور التى يطلب الى التلاميذ الصاقها بكراساتهم بنظام معين أو يمنحها لهم جوائز ومكافآت فى مناسبات خاصة .

حتى لقد خيل الىّ أن هذا الأستاذ يرمى إلى تنمية الذوق الفنى فى نفوس تلاميذه وحسب ، ولكنى علمت أن عنايته بدرسه الأساسى لا تقل عن عنايته بهذا الفرض الجليل .

ومثل هـذا ينبغى أن يكون فى جميع الدروس وفى كل مظهر تقع عليه أعين التلاميذ فى حجراتهم وكراساتهم وكتبهم المدرسية .

وأما الأصوات الجميلة موسيقى وغناء فقد حرمنا الله منها — مع الأسف الشديد — فنحن لا نسمع اليوم فى كل مكان إلا بكاء وعويلا ونواحا دائما ، أو دغدغة وتكسرا وتخلعا ذميما من جميع المطربين والمطربات بلا استثناء ، وحين يشذ مطرب أو مطربة عن هـذه الطريقة فيسمعنا صوت الانسان السليم يعرض عنه الجمهور أو يقلل من بيدهم أمر الإذاعة من حفلاته !

والجمهور معذور فى أن يعرض مؤقتا عن أصحاب الأصوات السليمة والألحان الإنسانية ، لأن أعصابه تخدر باستمرار من سماع النواح والتكسر المريض ولا تترك له فرصة كافية فى الأربع والعشرين ساعة ليفيق من هذا التخدير ، فطبيعى بعد هذا أن يعرض عن الصوت أو اللحن الذى ينبهه ، وأن يطالب بمخدر جديد يفسح له فى مدى الخيالات والتصورات المريضة ، كما يصنع مدمنو المخدرات سواء بسواء .

وحالة التحدير ليست هى الحالة الطبيعية للجمهور ، فلا ينبغى أن يتخذ ذوقه فى أثنائها مقياسا ، ولا بد أن نغذيه بمبهات وموقظات إن لم يطقها أول الأمر فإنه يستحسنها عنـد ما يفيق !

وأما المناظر التى تقع عليها أبصار أطفالنا وكبارنا فى غير المدرسة والبيت فهى أسوأ أثرا فى أذواقهم وأشد إفسادا ، وحسبنا أن جمال الهندسة المعمارية مفقود فى مبانينا وشوارعنا حتى فى الأحياء الراقية التى أنشئت حسبما تتفق بدون تصميم مقصود ولا طراز معروف .

ولا أريد أن أصف أكوام القمامة والأتربة ومخلفات المنازل المهدمة والتلال التى تصنعها مصلحة التنظيم وشركة المياه وشركة النور كلما عنّ لإحداها أن تقوم بعمل من أعمالها

فى المجارى أو فى أنابيب المياه وأسلاك الكهرباء ، فتلك مناظر مألوفة لا تخلو منها القاهرة والمدن الكبرى فى يوم من الأيام ، وكأنها حفر وأكوام نموذجية تحرص هذه المصالح والشركات على بقائها معروضة دائما للأنظار ! ! !

ولا يهمنى هنا أن أعدد المضار الصحية لهذه القذارات ، ولكنى فى معرض تأثيرها فى الذوق العام ، ودعوتها المارة إلى زيادة التوسيخ بإلقاء قشور الفاكهة والأوراق الممزقة ومصاصة القصب الذى لا يستحى الكثيرون من مصه وهم سائرون !

وكذلك لن أتعرض لعشرات الأزياء التى تقع عليها العين فى كل مكان وما يوحيه منظرها من تشويه عام فقد تكون هذه التشكيلات العجيبة أثرا من آثار فساد الذوق يحتفى عندما يرتفع ذوقنا عن هذا المستوى الغريب .

* * *

إننا نهمل إهمالا شنيعا فى كل المؤثرات التى ينشأ الذوق الفردى والذوق العام من الاستجابة المتكررة لها . وليس الذوق السليم ترفا ولا شيئا كماليا ، بل تنبغى العناية به كالعناية بشئون الطعام والشراب . فذلك الذوق هو أول ما يفرق الإنسان من الحيوان .

وهل يمكن تفسير إهمالنا لمناظرنا الطبيعية الجميلة التى يفتن بها الأجانب إلا بنقص تربيتنا الذوقية . لقد وقف مستر إيدن يشاهد منظر غروب الشمس فى النيل من قصر النيل فأخذ وقال بدهشة " هذا أجمل منظر رأته عيناى " ومما رأته عيناه مناظر سويسرا الخلابة التى يفتن بها السائحون .

ولكن الجمال الطبيعى فى مصر جمال ساذج فطرى لم نحاول تعميقه أو الانتفاع به . ولو كان النيل وشطآنه الطويلة فى أى بلد من بلاد العالم لأحالوه جنة لا مثيل لها فى الأرض قاطبة .

وعدم العناية بشواطئ النيل يسبب لنا خسارة مالية من وجهة السياحة . وذلك ضرر آخر منشؤه إهمال تربية الأذواق . وهو على فداحته أقل من أن نعيش فى مهد الجمال دون أن تلتذ أرواحنا بتذوقه والتطلع إليه .

« س . . . »

معالجة الأجرام

يمكن أن نجد الصلة بين المجرم والمجنون فى ناحية اجتماعية معينة هى عجز كل منهما عن الملاءمة بينه و بين الوسط .

فالمجنون — سواء أكان مبتدئا بانيوروز أو منتهيا بالسيكوز — يجد نفسه عاجزا عن التوفيق بين مطالبه الانانية ومطالب المجتمع الغيرية فيعمد إلى الاختلاء . ويكظم فى نفسه شهواته ويتجنب الاختلاط ويستسلم للأحلام والأمانى التى تعوضه من الحقائق المؤلمة ، وقد يهرب من هذه الحقائق بالخمر . وقد تنتهى الأمانى التى يتسلى بها إلى سيكوز أى جنون كامل . وهو فى كل هذه الحالات كاظم عاجز عن مواجهة الحقائق يضع شهواته الأنانية التى جسمتها فى نفسه مساوئ التربية أيام الطفولة أو عقبات أخرى فوق مصالح المجتمع .

وكذلك المجرم يجد نفسه عاجزا عن التوفيق بين مطالبه الانانية ومطالب المجتمع الغيرية ولكنه يختلف عن المجنون أو الرائع بأنه لا يكظم بل يخرج بالعمل . والعمل هنا هو الجريمة فالرائع يخلو إلى نفسه ويعتقد أنه مظلوم ويحلم ويستسلم للأمانى ولا يؤدى عملا مفيدا وهو فى هذه الحال ، وقد يفر من المجتمع بالخمر . ولكن المجرم عند مايجد أنه غير ملتئم مع المجتمع يعمد إلى التعريج عن كظمه بالهجوم على مختلف أوضاعه فيسرق أو يفسق أو يقتل .

والغرائز الانسانية ليست جميعها على درجة واحدة من القوة والثبات فى النفس ، فأقوى الغرائز عندنا هى تلك التى تخدم أنانيتنا من طلب الطعام والجنس الآخر والاقتناء الخاص ، وأضعفها هى تلك التى تخدم المجتمع كالرغبة فى الالائمة مع الناس وكراهة الانفراد وكالرغبة فى المساواة والعدل والبر وما تجره هذه المعانى من أخلاق أخرى .

وإذا وجد أحدنا نفسه فى مأزق قد اصطدمت فيه الغرائز الانفرادية بالغرائز الاجتماعية فإنه يحتاج إلى أن يزن جميع العوامل والعناصر لكى يوفق بينهما ويعيش فى المجتمع المعيشة الراضية التى تحول بينه و بين أن يكون عضوا نشازا فيه ، فإذا لم يوفق إلى هذا فإنه ينتهى بالزيغ النفسى . فإذا اتخذ هذا الزيغ أسلوب الكظم كان جنونا (بيوروز أو سيكوز) وإذا اتخذ طريقة التعريج كان إجراما .

فالمجرم والمجنون كلاهما زائغ . ولكن الزيغ عند المجنون يجد الآن المعالجة النفسية الرفيقة التى يقصد منها الى رده الى المجتمع . وذلك بأن نوضح له أن الأوهام والأسلوب الذى يتبعه فى زيغه إن هى إلا وسائل يريد بها الفرار من الواقع . وأنه يجب عليه أن يواجه هذا الواقع

بكل ما فيه من صعوبات . وهى صعوبات يعتقد هو انها فوق طاقته ولكنها فى الحقيقة ليست كذلك .

أما الزيغ عند المجرم فلا يجد أية معالجة نفسية . بل نحن نعامله كما نعامل المجانين قبل نحو قرن ، حين كنا نحبسهم ونعتقد أن بهم روحا شريرا يتسلط على سلوكهم . وقد ثبت أن ٧٥ فى المائة من المجانين يمكن علاجهم لأن أمراضهم نفسية وليست عضوية . مع أنه لم يكن يشفى منهم أحد حين كان الحبس هو الأسلوب الوحيد لمعاملاتهم .

فهل نستطيع أن نعالج الإجرام بنفس الأسلوب الذى عولج به الجنون ؟ وكيف تكون هذه المعالجة ؟

إن الأساليب التى تتبع مع المجنون متعذرة ؛ ولكن الغاية واحدة ، وهى رده الى مجتمع بمواجهة الواقع حتى يتئم ويتعاون معه . وهذا ممكن مع المجرم أيضا .

ولكن هناك فرقا بين المجنون والمجرم ، فان المجنون فى أغلب الحالات يحترف ويمارس عملا ثم يجنح الى الزيغ لأسباب اجتماعية فى أغلب الأحوال . ولكن المجرم يجنح الى الزيغ أى الاجرام لأسباب اقتصادية فى أغلب الأحوال ، أى أنه لا يمارس حرفة كاسبة أو هو يكره الجهد والمثابرة والمرانة التى يحتاج اليها نظام العمل فى مجتمعنا . فالمجرم يحتاج لهذا السبب الى أن نعلمه عملا كاسبا يكفل له العيش ويثبت له معه أنه يمكنه أن يعيش به عيشا راضيا بعيدا عن أخطار السرقة والبطش والتزوير وسائر ألوان الزيغ .

ولسنا فى حاجة الى أن نشرح عيوب السجن . فكلنا يعرفها ؛ ولسنا فيها منفردين لأن عشرات الدول الأخرى تعالج الجريمة بالسجن كما نعالجها . واذا استثنينا دولة أو دولتين تعالج المسجون بالتعليم والتدريب اللذين يؤهلانه لأن يعمل ويكسب ويستبدل بالاجرام كسبا حلالا من عمل حلال فاننا لا نكاد نجد أى تجديد فى النظر الى الاجرام .

وقد قلنا إننا لسنا فى حاجة الى أن نشرح عيوب السجن . إذ من منا يجهلها ؟ ألسنا نرى المجرمين يخرجون بعد سنوات قضوها فى أعمال لا هى تفيد الدولة بإنتاج له قيمته ، ولا هى تفيدهم بتعليم أو تدريب . وسرعان ما يعودون الى السجن ويجزون بعقوبات أقسى مما نزل بهم فى المرات السابقة . ثم تقضى المدة الجديدة ثم تعاد العقوبة وهلم جرا

وهذه الحال هنا ما يماثلها فى جميع الأقطار . فقد قام الأستاذ هيرمن مانهيم بجامعة لندن بإحصاء جمع فيه التفاصيل الخاصة بعدد من المسجونين يبلغ ١١٩٧ ومن المسجونات يبلغ ٧٧ فى مدة عشرين سنة تقع بين سنة ١٩١٥ وسنة ١٩٣٥ فى السجون الانجليزية . وليس بين هؤلاء مسجون أو مسجونة إلا وقد حبست أربع مرات على الأقل ومن عجيب ما وجد

أن فترة الحرية التى قضاها كل من هؤلاء بين الافراج والأشغال قصيرة جدا، و إليك بعض الأمثلة من حياة هؤلاء المجرمين :

فى ٣١ سنة قضى مسجون ٣٠ سنة فى السجن بثمانيـة أحكام .

« ٢٦ « « ٣٤ « « بعشرة « .

« ٢٣ « « ١٩ « « بستة « .

« ٢٠ « « ١٩ « « بخمسة « .

« ٢٦ « « ٢٠ « « بستة « .

« ٢٢ « « ٢٠ « « بخمسة « .

وهذه الأرقام تدل القارئ على أن السجن يكاد ينادى المسجونين بعد خروجهم . لأنه قد رتب لهم أسلوبا فى العيش يعجزهم عن الملاءمة بينهم و بين المجتمع .

ومما وجده الأستاذ مانهيم بعد أن بحث حالات ٧١١ عائدا و ٤٥ عائدة أن ٦٠٪ منهم قد ارتكبوا الجريمة الأولى قبل أن يبلغوا الثانية والعشرين من أعمارهم ، وأن ١٣٪ من الرجال العائدين ارتكبوا الجريمة الأولى قبل أن يبلغوا الثالثة عشرة من أعمارهم . وقليل جدا هم الذين ارتكبوا الجريمة الأولى بعد الأربعين . ومن هنا نفهم أن الاجرام أسلوب يتبعه المجرم منذ شبابه بل صباه ، لأنه عاجز عن اتخاذ أسلوب اجتماعى آخر .

ووجد الأستاذ مانهيم أيضا أن أعظم الأسباب لجرائم الصغار تعود إلى الفاقة البيتيـة إما لأن العائل متوفى، وإما لأنه عاطل مريض عاجز عن الكسب ، وإما لأن الوسط البيتى أو المدرسى سيىء . وقد رتب هـذه الظروف من ناحيـة درجاتها فى استحداث الاجرام فى الصبيان بما يلى :

الأحوال البيتيـة سبب للإجرام فى ١٣٣

تعطل العامل « « ١٠٨

الاختلال الذهنى « « ١٤٤

ولكن هذا الاختلال الذهنى قد يكون هو الآخر نتيجة لسوء المعيشة البيتية .

ويستنتج المؤلف أن الفاقة هى السبب الأكبر للجرائم الصغيرة . وهى أيضا أحد الأسباب للجرائم الكبيرة . ولكن العبرة الكبرى من الكتاب أن السجن لا يعالج المجرمين .

السعادة

للاستاذ صالح ميخائيل
وكيل مصلحة المشروبات والابحاث الاقتصادية

" السعادة " هدف الفرد ومطمح العائلة و بغيـة الشعوب ومبحث كبار الفلاسفة فى جميع العهود بل هى جوهر كل بحث فلسفى ولكن ما هى "السعادة" ؟

لا شك فى أنها نوع من الشعور نلذ به ونود لو أننا دائمـا نشعر به ، ولكنه شـعور يختلف عن شعور " السرور " .

فالشعور سطحى ووقتى ، أما السعادة فعميقة فى القلب وغير وقتية ، فكم من بائس يضحك من منظر هزلى أو من قصة فكاهية ولكن سرعان ما يعود الى شعور البؤس المتغلب عليـه وكم من "سعيد" يغضب لحادث عرضى لا يلبث أن ينقشع أمام صحو قلبه " السعيد ".

وهـذا الشعور العميق الداخلى هو " جوهر السعادة " أما موضوع " السعادة " فهو الشيء الذى يسعد الانسان بحيازته أو الشخص الذى يهبا بحظوته ، أو المبدأ الذى يغتبط لخدمته وما الى ذلك من ضروب مواضيع السعادة .

و بينما " جوهر السعادة " لا يختلف فى طبيعته باختلاف الأشخاص لأنه شعـور ناتج عن الوصول الى غرض معين " فمواضيع السـعادة " تختلف من فرد لآخر ومن قوم لقوم فالبعض يجد سعادته فى المـال بحيث يطغى الشـعور المنبعث من جمع الثروة على كل شعور آخر ، والآخر فى خدمة وطنه ، وثالث فى خدمة وطنه .. الخ ، وفريق آخر يضع سعادته فى الحصول على أغراض غير مشرفة ، وقد يختلف موضوع سـعادة الفـرد من وقت لآخر بحسب تطورات ظروف حياته والمؤثرات الخارجية عليه .

كما أن سبل الوصول الى السعادة تختلف من شخص لآخر فهناك من يسعى بسبل مشرفة وهناك من يعمد الى سـبل دنيئة ومنحطة ، فشخص يركن الى الجد والعمل والتفوق الخلق والعلمى وآخر الى الدسائس والمكائد والرشوة .

واذا كانت الحياة الاجتماعية يجب أن تزدهر وتنمو ، واذا كان المجتمع يجب أن يسمو و يرقى فلابد من أن تكون مواضيع سعادتنا وسبل الوصول اليها مشرفة لا تنطوى على الخسة وسوء الخلق .

فهل هناك من مقياس نسترشد به فى اختيار مواضيع سعادتنا والسبل المؤدية لها بحيث لا تتعثر الحياة الاجتماعية و بحيث لا نجنى على أنفسنا أو غيرنا .

هناك مقياس فى غاية البساطة غير أنه يحتاج الى شجاعة أدبية وارادة قوية .

فإن كان أحدنا فى شك مما اذا كان موضوع سعادته مشرفا أو غير مشرف أو غير واثق مما اذا كانت السبل التى يتبعها فى الوصول الى هذا الموضوع سامية أو منحطة فليسأل نفسه السؤال الآتى :

هل تسير الحياة الاجتماعية سيرا حسنا اذا ابتغى كل ما يبتغيه هو لنفسه أو اذا ما اتبع الآخرون السبل التى يتبعها أو أن المجتمع ينفك وينهار ؟

أو بعبارة أخرى فليسأل نفسه هل يصح أن يكون عمله هذا قاعدة عامة للتخلق ؟

فإذا كان الجواب سلبيا فيجب أن يجد فى نفسه الشجاعة والارادة للإقلاع عما هو سائر فيه .

بهذه الطريقة وحدها تستقيم الأمور وترقى الشعوب ؟

صالح ميخائيل

وكيل مصلحة المشروعات والأبحاث الاقتصادية

العمدة محور الرقى القروى

يستطيع العمدة أن يكون محور النشاط وعامل الإصلاح فى قريته . فانه فى أغلب الأحوال أوفر القرويين مالا . وقد يكون أيضا أحظاهم بأكبر قسط من التعليم . وهو فى الغالب ينتسب الى أكبر العائلات التى تمتاز بالمكانة الاجتماعية والعقارية ولذلك فإن له مكانا ملحوظا فى مجتمع القرية قبل أن يكون له المكان الملحوظ فى المركز الادارى. ولهذا السبب أيضا يكبر نفوذه وتحترم كلمته ويقتدى به ويعتمد عليه . وكثيرا ما نجد من العمد من لا تقع فى بلدته جريمة إلا يكتشف فاعلها ولا تصل الى المركز من سكان قريته شكوى لأن القرويين يحتكمون اليه ويجدون فى نزاهته ما يرتاحون اليه ويطمئنون به الى حكمه .

والعمدة المتبصر البار يستطيع أن يرقى قريته ويجدد لها مرافقها المادية والاجتماعية . وركود العمدة وتراخيه يؤديان الى ركود القرية أيضا ، وتراخى أهلها . لأنه هو وعائلته القدوة الحسنة أو السيئة لجميع السكان يجدون فى شخصه مثالا للأخلاق كما تجد نسوة القرية فى زوجته مثالا آخر فى الزى والأخلاق والسيرة .

وأعظم ما يجب أن يشغل ذهن العمدة هو الصحة العامة . لأن هذه مشكلتنا الكبرى فى الريف . وهذه المشكلة ترجع على حد قول الدكتور على ابراهيم باشا الى "سياستنا المائية التى اتبعها مهندسو الرى منذ خمسين سنة تقريبا بإشباع الارض بالماء حتى أصبحت مباءة للديدان التى تصيب الانسان والنبات والحيوان". وبديهى أن علة تعيش وتنمو فى أرضنا خمسين سنة وتصيب جميع الريفيين تقريبا لا يمكن أن تتخلص منها فى سنة أو سنتين . بل إننا نحتاج الى عشرات الاعوام لكى نعود لفلاحين عادات جديدة لا فى صيانة أجسامهم من هذه الديدان فقط بل أيضا فى الرجوع الى أساليب الرى القديمة بالاقتصاد فى الماء عند الرى ومناوبة الأرض بالجفاف من وقت لآخر .

واذا ما تخلص الفلاحون من هذه الديدان فإن عبئا ثقيلا جدا يكون قد انزاح عن كواهلهم وهو عبء المرض والضعف اللذين جعلا الحيوية المصرية تنحط الى مستوى بالغ الخطورة لا فى الصحة العامة فقط بل فى الإنتاج الاقتصادى العام .

ولكن الشفاء من هذه الديدان ليس أمنية تتحقق فى السنوات القريبة . فنحن نكافح هذه الديدان فى الوقت الحاضر مكافحة لها قيمة الإسعاف بالحقن وبتوزيع الأحذية ونحو

ذلك . فيجب على العمدة المستنير أن يحض أبناء قريته من الجنسين على الانتفاع بهذه العلاجات ، وان يلح فى المطالبة بإيجاد مراكز صحية لهذا الغرض .

وهناك شئون أخرى تؤثر فى الصحة العامة وبخاصة فى نقل الأمراض الوبائية . منها العناية بالمساق حتى لاتتصل بالأقذار ، ومنها اقامة لكنف فى المنازل . ومنها مقاومة الأمراض الوبائية التى تنتاب القرى من وقت لآخر . فإن كل هذه الشئون تحتاج الى التنوير العام . فاذا كان العمدة مستنيرا يقظا فانه يدأب فى تنبيه السكان الى الخطر من بعض عاداتهم الموروثة والى ضرورة الإقلاع عنها . وأملنا فى الاصلاح الهندسى للقرية واقامة المبانى العصرية لايزال من الآمال البعيدة . وحسبنا فى الوقت الحاضر أن نصلح القائم ونتوقى الاسوأ الذى يتضح ضرره ويتجه الاسعاف للتخلص منه . فان العمدة الذكى يعرف أن اسوأ ما فى الحميات الوافدة سرعة عدواها ، كما يعرف أن الفلاحين لايؤمنون بالعدوى . ولكنه باللطف والكياسة يستطيع أن يقنعهم بضرورة التبليغ عن كل مرض وبائى يقع فى بلدته وأن يقنعهم بأن الشفاء ممكن اذا كانت المعالجة ستجرى على ايدى المختصين من الأطباء . وهو بهذا النشاط ينقذ كثيرا من الشباب والصبيان خطر المرض والموت . بل يجب ان نزيد إحساس الفلاحين بخطر العدوى حتى فى أمراض الماشية وضرورة عزلها عن الماشية السليمة .

وهناك عادات أخرى تفشو من وقت لآخر بين الفلاحين كالإفراط فى تناول الشاى أو غيره ، بل هناك فلاحون فقراء أو أجراء يستهلكون أجورهم الصغيرة فى شراء الدخان مع حاجة أولادهم الى القليل الذى يكسبون لكى يشتروا به قوتهم . وهذه العادات التى تجعل الفلاح يطلب الترفيه النفسى بالشاى أو الدخان تدل على سأم وكراهية للعيش . والعمدة المستنير يستطيع ان يعالج هذه الحال أو يخفف من شرها اذا هو ساعد هؤلاء المنغمسين فى هذه العادات على أن يزيدوا كسبهم ويرفهوا عن انفسهم بالاجتماع المثمر بينهم وبين اخوانهم فى المسجد أو عند شيوخ القرية والمسنين من الصالحين .

على أن كل هذا الذى ذكرنا من نشاط العمدة الذكى المستنير يعد نشاطا سلبيا . ولكن هناك أيضا ألوانا عدة من النشاط الايجابى الذى يمكن ان يعمد اليه العمدة لترقية قريته . وأول ذلك هو " الجمعية التعاونية " فإنه يمكنه أن يؤسس هذه الجمعية لأى غرض زراعى مفيد . مثل تأمين الماشية أو خزن العلاق أو شراء البذور أو ايجاد الانوال . وعندنا أن أهم ما يمكن ان تقوم به جمعية تعاونية فى الوقت الحاضر هو تأمين الماشية . ولو أن جمعياتنا التعاونية أخذت بتأمين الماشية وآثرت هذا العمل على غيره لما شذ فلاح واحد عن الانضمام إليها . لأن الماشية هى أساس الاقتصاديات الزراعية ، فضمان حياتها وسلامتها يكفل

الانتظام الزراعى . وسوف نحتاج الى سنين عدة قبل أن يعم الاقتناع بفوائد الجمعيات التعاونية . ومتى عم فإننا سنرى انتعاشا جديدا فى الريف لا نكاد نحلم به الآن .

وقد كان النول من المؤسسات القروية قبل نحو خمسين سنة قبل أن تتدفق علينا المصنوعات الاوربية وتمحوه من قرانا . ولكن فرصة الحرب القائمة وما أحدثته من حماية جمركية فعلية يجب أن تنبه العمدة البصير الغيور على انهاض الفلاحين الى إدخال النول من جديد فى القرية .

والعمدة يجب قبل كل شيء ان يجعل من شخصه وأعضاء عائلته و بيته أنموذجا يقتدى به الفلاحون فى الصلاح والنشاط والبعد عن العادات السيئة . وهو حين يفعل ذلك يجد الاستجابة العامة بين سكان قريته للاقتداء به .

الروح الاجتماعى فى المدرسة

اتجهت المدارس الجديدة الى ألوان من النشاط الاجتماعى تكون الأخلاق وتنمى الشخصية . فهى تؤلف ناديا لتلاميذها له ميزانيته المالية الخاصة ومكتبته وبرامجه من القاء خطب إلى القيام بنزهات مفيدة الى غير ذلك . والصبى وهو يشترك فى هذا النشاط يحس الروح الاجتماعى الذى يلازمه عند ما يترك المدرسة ويجعله يهتم بشئون المجتمع فينتفع وينفع معا . وقد يظن بعض الآباء ان اشتراك الصبى فى درامة يمثلها مع زملائه من التلاميذ أو تعليمه الغناء أو الموسيقا وأداء الأدوار أمام اخوانه — ان هذا الاشتراك هو مضيعة للوقت الذى كان يجب أن ينفق فى درس الحساب أو الجغرافيا اللذين سيمتحن فيهما . ولكن انتفاع الصبى بهذا النشاط قد يعود عليه فى المستقبل بفوائد تتجاوز قيمة هذه المواد التى يمتحن فيها . لأن هذا النشاط يجعله رجلا اجتماعيا يعرف كيف يعامل الناس و يعاشرهم و يثير فى نفسه اهتمامات مختلفة تحمله على قراءة الصحيفة ودرس المجتمع فى تطوراته . وهو يربى شخصيته ويجرئه على الاختلاط . فان المرانة على القاء خطبة بين زملائه يكبر شخصيته أكثر جدا مما تكبرها دراسة المواد التعليمية .

مجادلاتنا ومناقشاتنا

انطلق صاحبي في صوت صاخب ، يقول : لا يمكن أن أصدق هذا ! من يقول به؟ لا أحد في الدنيا إن هذا الرأى خطأ ، بل خطأ شنيع . ياشيخ اسكت . ما تقولش كده لا تجعلني أتهم ذكاءك .

قلت : ياصاحبي وماذا عن الرأى ذاته ؟ لقد سمعت منك شيئا عن الدنيا ، ومن يصدقون فيها ، ومن لا يصدقون . وسمعت منك شيئا آخر عن الخطأ ، والخطأ الشنيع ، وعن ذكائى وحسن ظنك به . ولكن الرأى الذى ابديته أنا ، لم أسمع منك شيئا عنه . لماذا هو خطأ ؟ لماذا لايصدقه الناس ؟ لماذا تتهم ذكائى لأنى أقول به ؟

قال بصوت أشد حدة وأشد صخبا : هذا كلام لا يستحق المناقشة . الخطأ فيه ظاهر، ظاهر جدا ...

ووجدت أن لا فائدة من الاسترسال فى حوار كهذا ، وأيقنت انى إن افعل ، فمن المؤكد انى سأخسر هذا الصديق . قلت . حسنا ، هل لك أن تشرب فنجانا من القهوة ؟

وأدرت الحديث الى موضوع آخر : وهكذا أقفلت باب الشر واسترحت .

هذا نوع من المجادلات الكثيرة التى تدور بيننا . يحتد كل منا ، ويتعصب لرأيه ، لا يؤيده لك بالحجة ولكن بالصخب والضجيج والصوت العالى . قلما يعرف عدد كبير منا أن قيمة الكلام ليست فى التأكيد بأن كلام غيرك خطأ وأن رأيك أنت هو الصواب ، دون أن تقدم دليلا على تلك الدعوى .

وأكثرنا يقع فى خطأ آخر : تدور المناقشة حول موضوع فى القانون ، فيتدخل فيها جميع الحاضرين ، سواء أكانوا عارفين او غير عارفين بالقانون . والغريب أن يكون غير العارفين أكثر المتحدثين خلافا ، وأشدهم تحمسا ، وأعظمهم تعصبا لآرائهم .

وتدور المناقشة على مسألة هندسية فيشترك الحاضرون فيها جميعا مهندسين وغير مهندسين ، دارسين وغير دارسين . ويختلط العارف بغير العارف . بل يكاد المهندسون وذوو الاختصاص يصعب عليهم أن يبدوا آراءهم لأن غيرهم من ذوى الأصوات العالية والحناجر القوية قد شغلوا الوقت كله .

وما يقال عن مسائل القانون ومسائل الهندسة ، يقال عن مسائل الطب والزراعة والتجارة وعن سائر المسائل . قلما يعرف كثيرون منا حدودهم . ماذا يعرفون وماذا يجهلون . قلما يسلم أحد منهم أن غيره مختص بهذا الفرع من العلوم أو الفنون فهو يبحث ويجادل ويناقش ويتحمس ويبدى آراء . ويحكم بالخطأ على آراء غيره .

إن قيمة الكلام ليست فى أن تتكلم فحسب ، ولكن فى أن تتكلم لسان العارف الدراس الواثق من علمه وفنه ورأيه . قيمة الكلام هى أن تزن ما تقول . وأن تكون شجاعا عادلا فتعترف لغيرك بما قاله من صواب وتعترف بما وقعت فيه من خطأ . قيمة الكلام هى أن تتكلم حينما يكون الكلام مطلوبا ، وحينما تشعر فى نفسك بالمقدرة على أن تتكلم بشىء جديد برأى او فكرة أو توجيه . أما أن تتكلم والسلام فسفسطة لا ترفع من قدر المتحدث ولكنها تنزل به .

كثيرون منا يكرهون أن يقولوا إنهم لا يعرفون ، مع أن قوة الجدل الحقيقية فى المعرفة الصحيحة . ولا معنى لأن تجادل وانت لا تعرف من الموضوع شيئا . خير أن تسكت وتصمت وتتعلم . إن الذى يعرف متى يكون الصمت يعرف متى يكون الكلام ، والذى يتعود ضبط لسانه يكفل لنفسه الاحترام ، ويكفل الانصات لرأيه وقوله ، اذا عن له أن يتكلم .

وهذا العيب الذى نعانيه فى مجالسنا الخاصة ، نعانيه أيضا فى مناقشاتنا ومجادلاتنا العامة ، فى مسائل السياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع . فأعقد المواضيع الاقتصادية يتصدى لمعالجتها من لا يعرف من الاقتصاد ألفه . والامر كذلك فى سائر فروع العلوم والمعارف . أما السياسة فصيبتها معروفة ، فإن المصريين كلهم ساسة من الطراز الأول ، عارفون ببواطن السياسة وخوافيها .

تقابل إنسانا من الناس ، تعرف أنه لا يكاد يلاقى كاتبا من الدرجة الثامنة الا بشق النفس ، فيسألك رأيك فى السياسة ، فاذا رددت عليه السؤال وطلبت أنت منه أن يبدى هو رأيه ، هز اللعين رأسه وقال فى ابتسامة العارف الواثق المتواضع إن رجلا له مركز كبير قال له . . . كيت . . . وكيت . ثم يروح يروى لك هذا الكيت والكيت . . . ناسبا اياه إلى أعظم المصادر واوثقها . واذا لاح لك أن تستوضحه شيئا عن هذه المصادر ابتسم هذا الانسان الجاهل المغرور وربت على كتفك كأنه يقول لك : مسكين إنك لا تعرف شيئا . أما هو فقد واتاه الله العلم كله .

فصيبتنا أننا ندعى العلم بكل شىء . وكلمة " لا " تكاد لا توجد فى قواميسنا . كأنما نحسب فيها ما ينقص من مقامنا ، مع أن الذى يعرفها ، ويعرف كيف يقولها ، ومتى يقولها ، هو الذى يعرف قدر نفسه ، وهو الشخص المثقف حقا ، الذى يحظى بالحب والاحترام والتقدير .

الفيتامينات وأهميتها فى التغذية

للدكتور أحمد كرم بقسم مراقبة الأغذية

فى ختام القرن التاسع عشر كان علماء التغذية يقدرون قيمة الغذاء بمقدار ما يحتوى عليه من المواد الزلالية والمواد النشوية والسكرية والمواد الدهنية، وبما تنتجه كل منها من الحرارة فى جسم الانسان وبما تحتوى عليه من أملاح .

ويكاد المرء الآن أن ينسى هذه المواد لكثرة ما يذكر عن مجموعة جديدة من مواد أخرى ضرورية للحياة اكتشفت حديثا وموجودة فى أغذيتنا ، وتلك المواد هى الفيتامينات .

وهذه الفيتامينات هى مركبات كيماوية على أعظم جانب من الأهمية لنمو الانسان والحيوان والمحافظة على صحتهما ونسلهما ، وهى موجودة فى أغذيتنا ولكنها لاتشترك مع بقية مواد الطعام فى إمداد الجسم بما يلزمه من حرارة وبنيان ، ووظيفتها أنها تسهل للجسم الاستفادة من مواد الطعام ، وهى كثيرة الأنواع ولا يمكن لإحداها أن تحل محل الأخرى فى وظيفتها ، فهناك فيتامين (أ) وفيتامين (ب١) وفيتامين (ب٢) وفيتامين (ج) وهو المسمى فيتامين (C) وفيتامين د أو D وفيتامين (هـ) وهو المسمى فيتامين E وكل فيتامين من هذه يؤدى عملا خاصا ونقصه فى الجسم يسبب حتما مرضا خاصا ويزول هذا المرض بمجرد حصول الجسم على القدر الكافى من الفيتامين الناقص .

فالفيتامين (أ) ضرورى لنمو الجسم وصيانته وتحصينه ضد العدوى، ونقصه فى الغذاء يوقف النمو ويسبب نقص الوزن ويعرض الانسان للعدوى بالجراثيم ولالتهابات خاصة بالعين قد تؤدى إلى فقد البصر، ويوجد هذا الفيتامين فى النباتات الخضراء كالسبانخ والخس والجرجير والجزر والطماطم ، وفى صفار البيض واللبن والقشدة والجبنة ، وفى زيت السمك وفى المشمش والبلح والبرتقال .

أما عن النوع الثانى وهو المسمى فيتامين (ب١) فانه يقى الانسان من مرض يسمى "البرى برى" ومن مرض التهاب الأعصاب، وهو يقوى الشهية والهضم ويساعد على النمو كما أنه ضرورى للأنثى للاحتفاظ بخصوبتها الطبيعية للنسل وإدرار اللبن الوفير فى ثديها، ونقصه من الغذاء يؤدى إلى نقص الشهية أو فقدها وتعطيل الهضم وإضعاف نمو الأطفال فى زمن الرضاع. ويسبب أيضا نقص الوزن والقوة والنشاط، كما يسبب العقم عند النساء. ويحدث مرض "البرى برى" فى المناطق التى تكثر فيها زراعة الأرز حيث يكون هو الغذاء الرئيسى، ويرجع

السبب فى ذلك إلى أن هذا الفيتامين موجود فى قشرة حبة الأرز وجنينها وكلاهما يضيع فى عملية التبييض ، ولذلك فالأرز المضروب المبيض الذى يأكله الناس عادة لا يحتوى على هذا الفيتامين ، وهو موجود أيضا فى جنين حبة القمح ، ولذلك فان خبزنا المصنوع من الدقيق المتحول لا يحتوى على ذلك الفيتامين ، وهو يوجد أيضا فى صفار البيض وفى الحبة وفى البطاريخ والكبد والكلاوى واللبن ، وفى كثير من الخضراوات والبرتقال والليمون والبطيخ .

أما النوع الثالث وهو الفيتامين (ب٢) فهو الذى ينتج عن نقصه فى الغذاء مرض البلاجرا وهو مرض يميز بطفح جلدى خاص يظهر فى الأجزاء المكشوفة من الجسم عند المصابين به من سكان الريف كما يميز بأعراض فى الجهاز الهضمى والجهاز العصبى وقد تؤدى الأعراض العصبية إلى الجنون .

وأهم مصادره الخميرة والسمك والبيض والكبد واللبن وكثير من الخضراوات ، والبرتقال والليمون والكمثرى والموز والبلح .

أما الفيتامين الرابع وهو الفيتامين (ج) المسمى فيتامين (C) فانه يقى من مرض الاسقربوط وهو مرض يميز بنزيف فى الأغشية المخاطية وتقرحات باللثة ونزيف بداخل العضلات والمفاصل وألم وتورم بالمفاصل والأطراف وقابلية العظام للكسر بسهولة وتسويس الأسنان وخلخلتها وسقوطها ويصحب كل ذلك نقص فى الوزن وفقدان للشهية وشحوب فى الوجه .

وكاد هذا المرض أن ينقرض لولا أنه يشاهد من وقت لآخر بين الرضع إذا كان هذا الفيتامين ناقصا عند أمهاتهم وبين الكبار إذ كانوا لا يتغذون غذاء جيدا بسبب الفقر أو أمراض فى الجهاز الهضمى ، ويوجد هذا الفيتامين بكميات وفيرة فى البرتقال والليمون والشليك وفى العنب والبطيخ والخس والبسلة والجرجير والطماطم .

أما الفيتامين الخامس وهو فيتامين (د) أو (D) فانه يقى من مرض الكساح ولين العظام ، وهو ضرورى للحامل لوقايتها من تسويس الأسنان ووقاية الجنين من لين العظام ، وضرورى للرضع لوقاية الطفل من الكساح وتسويس الأسنان .

والكساح هو مرض يسبب تشوهات بالعظام فيحدث عنه اعوجاج فيها وتقوس فى الظهر عند الأطفال وتشوه فى تكوين الصدر والحوض مما يسبب ضيقا فيه ينتج عنه عسر فى الولادة فيما بعد إذا كان الطفل أنثى .

وليس نقص هذا الفيتامين هو العامل الوحيد فى إحداث مرض الكساح بل إن هناك عاملين آخرين ، فالعامل الأول هو نقص أملاح الجير والفوسفات فى الغذاء وهما الملحان اللذان تتركب منهما العظام والأسنان ، فان وجد الفيتامين ولم يوجد الملحان أو وجد الملحان ولم يوجد الفيتامين حصل مرض الكساح ، أما العامل الثانى فهو الإفراط فى أكل المواد النشوية والسكر

والحلوى ، وتوجد علاقة وثيقة ومهمة جدا بين أشعة الشمس وبين الفيتامين(د)وتلك هى أن أشعة الشمس تكون ذلك الفيتامين فى جسم الانسان،ولذلك فإنه من أهم الضروريات أن يتعرض للشمس الحوامل والأطفال يوميا ولو لمدة نصف ساعة وأهم مصادر هـذا الفيتامين هى زيت السمك وبعض الأسماك كالسردين والرنجة غير المملحين،وصفار البيض وأبطارخ والزبدة واللبن .

أما الفيتامين السادس وهو الفيتامين(ه)المسمى فيتامين(E)فهو ضرورى للخصوبة والتناسل ويوجد فى الحبوب الكاملة فلا يوجد فى الدقيق المخول. ويوجد أيضا فى الخضراوات وأهمها الخس والبسلة وله علاقة خاصة بأعضاء التناسل وعدم وجوده فى الطعام يؤثر فى خصوبة كل من الرجل والمرأة .

وهنا يمكننا أن نلخص فوائد الفيتامينات وأهميتها فى غذاء الانسان فهذه الأهمية تنحصر فى ثلاثة أمور عامة فى النمو وفى التناسل والرضاعة وفى الاحتفاظ بالصحة الجيدة وسنتكلم عن كل منها على حدة .

عن النمو — ثبت من التجارب أنه اذا ربيت صغار الحيوانات على أطعمة مستخلصة كالنشا النقى والمواد الزلالية الخالصة والزيوت والأملاح النقية وكلها خالية من الفيتامينات وقف نمو هذه الحيوانات . كذلك الأطفال الذين يغذون بألبان مغلية أو ألبان منزوعة منها القشدة،أو بسكريات ومواد نشوية فإنهم لا ينمون نموا طبيعيا لأن مثل هذا الطعام يفتقر الى الفيتامينات ولكنهم سرعان مايعودون للنمو الطبيعى اذا ما أعطيت لهم مواد غذائية تحتوى على كل أنواع الفيتامينات بكميات كافية . ونوجه النظر الى أنه قد يكون لبن الحيوانات مفتقرا الى بعض الفيتامينات ، وعلى الأخص اذا غلى أو نزع منه الدسم . أو أن لبن الأم مفتقر الى الفيتامينات بسبب افتقار غذائها فى الفيتامينات،ولذلك كان من الواجب دائما أن يعطى الرضع وهم الذين يغذون باللبن وحده بعض المواد الغنية بالفيتامينات كعصير البرتقال وصفار البيض وزيت السمك أو مستخلصاته ولعله أيضا من باب الاحتياط لاستكمال الغرض المنشود أن تعطى بجانب ذلك بعض المواد الغنية بالفيتامين (ب١) كخلاصة الخميرة ، كما نوجه النظر أيضا الى ضرورة أن يتناول الكبار من الأطفال طعاما قوامه اللبن والزبدة والفواكه والخضراوات والحبوب الكاملة وكلها تحتوى على الفيتامينات اللازمة للنمو،وذلك مادام فى سنى النمو أى الى سن الخامسة عشرة والأفضل الاستمرار على ذلك الى سن العشرين وإلا تأثر النمو الطبيعى أو وقف تماما وأصبح الطفل رجلا ضعيفا نحيفا قصيرا .

أما عن تأثير الفيتامينات فى التناسل والرضاعة فمن المعلوم أنه كما أن المواد الغذائية اللازمة لبناء أنسجة جديدة فى حالة النمو وفى حالة الحمل والرضاع تلزم بكميات أكبر من المعتاد فإن ما يلزم أيضا من الفيتامينات يجب أن يكون بكميات أكبر فى هذه الأدوار .

ولما كان من المعروف أن الفيتامينات (ا) و (د) أى فيتامين (D) أى فيتامين (E) تخزن فى جسم الجنين مدة الحمل كى يستعين بها فى بدء حياته الخارجية بعد ولادته . فان هذه الكمية الاحتياطية تختلف باختلاف مقدار ما يوجد منها فى طعام الأم مدة الحمل ، كذلك فإنه اذا لم تتعد الأم المرضع بأغذية بها المقدار الكافى من الفيتامينات فان لبنها يصبح مفتقرا الى تلك الفيتامينات ، ولذلك فان صحة الأم وصحة الطفل تتوقفان على وجود مقادير سخية من الفيتامينات فى غذاء الأم مدة الحمل وارضاعة ، وهذه هى أهم الوسائل التى تؤدى الى زيادة النشاط التناسلى والى ايجاد ذرية سليمة صحيحة البنية .

ولقد ثبت أن الفيتامين (ه) وهو المعروف بالفيتامين (E) والموجود فى جنين حبة القمح وفى أوراق النباتات الخضراء وفى صفار البيض ذو صلة وثيقة بالاستعداد التناسلى وأن عدم وجوده فى لطعام يسبب عقما عند الرجال والنساء ، كما ثبت أيضا أن نقص الفيتامين (ا) والفيتامين (ب١) يسبب الضعف العام عند النساء .

أما قيام الفيتامينات بوظيفة حفظ صحة الانسان فقد كان كل ما يدور حول أهميتها فى سبيل ذلك هو معرفة أقل كمية من كل فيتامين على حدة لتقى الانسان أمراض سوء التغذية التى تنجم عن انعدام الفيتامينات ، وانعدامها هذا يحدث كما سبق أن بينا التهابات العين ومرض " البرى برى " ومرض الكساح ومرض لبلاجرا .

هذا على أن مجرد نقص الفيتامينات فى الغذاء وان لم يسبب تلك الأمراض إلا أنه من المحتم أن يحدث ضعفا يزول عند ما يأخذ الانسان طعاما غنيا بالفيتامينات .

وبهذه المناسبة نود أن نسدى نصيحة للسيدات والآنسات اللاتى تدفعهن دوافع المدنية الحديثة الى تضمير أجسامهن بأن يلجأن الى تجويع أنفسهن فيتعاطين القليل من الطعام من غير تمييز بين ما يجوز الاستغناء عنه وما لا يجوز فينتج عن ذلك حرمانهن من كثير من أنواع الطعام الذى يشتمل على الفيتامينات اللازمة للحياة والأملاح الضرورية لها والتى لا يخشى من تعاطيها على تحقيق ما يلتمسنه من الخفة لتحقيق الرشاقة .

هذا ولما كانت عملية تحضير الأطعمة تؤثر فى أغلب الفيتامينات بفعل حرارة الطبخ وعلى الأخص إذا كانت الحرارة عالية جدا ولمدة طويلة والطعام مكشوفا فى الهواء أثناء طبخه ، ولما كانت بعض الفيتامينات التى تذوب فى الماء تخرج من الطعام الى الماء الجارى الطبخ فيه فلذلك يجدر بنا احتفاظا بالفيتامينات عند طبخ ما كولاتنا من خضر وفاكهة أن نراعى ما يأتى :

(١) ألا تكون النار شديدة ، وألا يترك الطعام على النار مدة أطول من اللازم للنضج ، وهذا يحتاج الى ضبط كمية المياه المطلوبة للتسوية .

(٢) الا يكشف الطعام بدون مبرر وهو على النار .

(٣) والفواكه المرغوب أكلها مطبوخة يجب تسويتها إما على البخار بأن توضع فى مصفاة فوق الماء الذى يغلى ويغطى الاناء ، وأما أن تطبخ فى الفرن أو تغلى فى كمية مناسبة من الماء حتى تؤخذ البقية الباقية من المياه مع الطعام عند تناوله فلا يفقد ما يكون قد ذاب فيها من الفيتامينات التى تذوب فى الماء .

وقبل أن أختم هذه الكلمة أذكر باختصار كيف يمكننا أن نحصل على المقدار اللازم من الفيتامينات المختلفة دون الالتفات الى ما يحتوى عليه كل طعام من أطعمتنا من تلك الفيتامينات ، وذلك باتباع القواعد الآتية :

(١) خذ يوميا نوعا أو نوعين من المأكولات الغنية بالفيتامينات .

(٢) خذ كوبتين من اللبن فى كل يوم وأعط الأطفال أربع كوبات منه .

(٣) خذ فاكهة واو مرة واحدة فى اليوم .

(٤) خذ كميات كافية من صنفين من الخضار يوميا .

(٥) خذ سلطة خضراوات مرة على الأقل فى اليوم .

(٦) خذ ما يكفيك من البيض والزبدة ، ولا تنس أن تتناول الكبد والكلى فى طعامك بين آن وآخر .

(٧) خذ خبزا مصنوعا من دقيق غير منخول بالمنخة أو دقيق مفصولة منه النخالة الخشنة كلما أمكن ذلك .

(٨) وأخيرا ، عرض نفسك وأولادك للشمس كل يوم لمدة نصف ساعة ما

دكتور أحمد كرم

متفرقات اجتماعية

عمل النساء :

يبلغ عدد النساء اللاتى يعملن فى خدمة الموائد على الطائرات خمسمائة سيدة أو آنسة فى الولايات المتحدة الأمريكية . وهذا العدد يدل القارئ على توسع الأمريكيين فى النقل الجوى وعلى سعة الطائرات التى يطيرون عليها . فإن هذه الطائرات تحتوى الموائد للطعام لأن شقة السفر قد تزيد على أربع أو خمس ساعات يحتاج فيها المسافر الى طعام أو شراب .

ويعمل فى الولايات المتحدة ١٢ مليون آنسة وسيدة . لأن الفتاة الأمريكية تتعلم الحرفة كالشاب سواء . وهى قد تنقطع عن العمل والكسب عند الزواج أو لا تنقطع ضهما . وقد كان لهذه الحال أثر سيئ فى الكيان العائلى ، لأن عقلية المرأة الأمريكية لم تعد مثل عقلية جدتها التى لم تكن تطمح الى أكثر من الزواج والأولاد . على أن هناك ظاهرة جديدة ترى الآن فى الولايات المتحدة ، وهى أن الزواج يتم فى سن مبكرة فيما بين العشرين والخامسة والعشرين ، ويعلل هذا التبكير بأنه قائم على أن الزوجين يتكسبان ويستطيعان الإنفاق على تكاليف المعيشة فى المدن الكبيرة . وهى تكاليف باهظة لم يكن يستطيعها الشاب لو أنه تزوج وأسس عائلة بكسبه وحده . أما الآن فكسب الزوجة يتيح له ذلك .

الكيمياء فى الريف :

عنيت المدن عن طريق مجالسها البلدية بقمامتها وأحالتها الى مواد نافعة . ولكن العناية بقمامات الريف قليلة . مع أن الريف حافل بها . مثال ذلك أن البراز الآدمى ليست له مجار تحمله الى مستودعات مائية يمكن استغلاله فيها كما هو الشأن فى المدن . زد على هذا كثيرا من مخلفات الزراعة التى لا ينتفع بها الا فى الحريق ، وهو أكثر أنواع الاستغلال تبديرا للطاقة .

فإن نبات الذرة يمكن أن تستخرج منه مواد كثيرة مثل الكحول أو الزيت . وقد استطاع أحد العلماء الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية أن يستخرج عشرات المواد الكيماوية المفيدة من الفول السودانى .

وأعظم العوامل التى تجعل المزارعين فقراء أنهم يبيعون محصولاتهم خامة غير مشغولة . ولو أن الفلاح باع الخبز بدلا من أن يبيع حبوب القمح مثلا أو لو أنه باع نسيج القطن بدلا من أن يبيع القطن كما جاء من شجرته لما شكا الصائقات التى تتوالى عليه .

وبالطبع تعد هذه الآمال بعيدة التحقيق . ولكن هناك من العلماء الكيماويين من يعتقد أنه يمكن اختزان قمامة العزبة أو القرية لاستخراج غاز الاضاءة منها ، وهذا الغاز زيادة على أنه يزود الدور والطرق بالضوء يمكن استخدامه أيضا للإدارة . والعبرة بايجاد آلات رخيصة سهلة يمكن اقامتها فى العزبة أو القرية .

الإضاءة الصحية :

من التجارب التى يسلم بقيمتها فى المصانع أن الاضاءة الحسنة التى توزع فى أنحاء المصنع بدون بريق أو توهج تزيد الإنتاج وتنقص الحوادث السيئة وتجعل العمال مرتاحين ذلك الارتياح النفسى الذى يمنع الاحتكاك .

وهذا الذى يقال عن المصنع يمكن أن يقال أيضا مع زيادة الحجة قوة وبرهانا عن البيت ، فإن الضوء الحسن يحيل أحقر غرفة الى جمال سحرى . وهو يتيح لأعضاء العائلة الاجتماع والسمر فى أنسة وألفة . وفى مثل هذه الايام التى نضطر فيها الى الانكفاء الى بيوتنا عند الغروب أو بعده بقليل يجب أن تتوافر الاضاءة الحسنة فى البيوت . ولذلك يجب على ربة البيت ألا تبخل بأحسن المصابيح وأجمل النجف لمنزلها . والمصباح الغازى هو فى حقيقته المصباح الرخيص لأنه لايستهلك من الطاقة الكهربائية ماتستهلك المصابيح الرخيصة . وما نقتصد لهذا السبب فى ثمنها تؤديه مضاعفا فى ثمن التيار الكهربائى .

ونظن أنه يمكن خفض ثمن التيار الكهربائى للفقراء بايجاد ثلاثة أو أربعة مصابيح ثابتة لا يمكن تغييرها وبلا حاجة إلى عداد . فإن فقراءنا مازالوا يضيئون بمصابيح البترول القديمة التى تضفى على البيت جوا قاتما يكرب النفس زيادة على ما فيها من أخطار الحريق .

مدارس المراسلة :

كثرت مدارس المراسلة فى جميع الأمم المتمدينة وخاصة فى الولايات المتحدة حيث تقل ساعات العمل ويكثر الفراغ . فإن الشاب الذى يعمل ست ساعات فى النهار يجد سائر وقته فراغا . وهو يرحب بالالتحاق بمدرسة ليلية أو يتصل بإحدى مدارس المراسلة التى تزوده بدراسة نافعة لحرفته أو لفرع من فروع الثقافة . وقد تهيئه هذه الدراسة لأن ينتسب لإحدى الجامعات ويتقدم لشهادتها النهائية . وهذا بالطبع ممكن فقط فى تلك المواد التى لا تحتاج الى إشراف المعلم والى التدريب العملى . فمثلا لا يعقل أن يعلم الطب بالمراسلة .

ولكن هناك عشرات من المواد الدراسية التى يمكن الشاب والفتاة أن ينتفعا بدراستها عن طريق المراسلة، وهى تختلف من اللغة والآداب الى السيكلوجية والاختزال. وقد استطاع كثير من الشباب أن يرقوا بهذه الدراسة وأن يزيد كسبهم بزيادة المعارف عن العمل الذى يحترفونه ، وأن تزيد شخصيتهم بزيادة الثقافة التى حصلوا عليها .

ويجب على الشاب الذى يرغب فى هذه الدراسات أن يختار مدرسة مشهورة وألا يقدم على الالتحاق بها الا بعد الاستشارة والسؤال عنها ممن عرفوها أو ممن انتفعوا بدراسة المراسلة قبله .

أطباق من خشب :

يذكر المسنون منا ملاعق الخشب التى كان يصنعها نجارونا قبل نحو أربعين سنة . ولا تزال تصنع إلى الآن صحاف من الخشب كما نرى فى قصعة الجبن .

ومع أن الأدوات المعدنية قد احتلت مكان أدوات الخشب ، فإن الغلاء الحاضر فى الواردات يجب أن يحملنا على إحياء صناعات الخشب التى تتصل بحاجات المنازل . ويمكن النجار المصرى أن يصنع كثيرا من صحاف الفاكهة كما يصنع الملاعق (وقد كانت تصنع من العظم أيضا) وهناك كثيرون من المتيسرين استطاعوا أن يستخدموا النجارين المصريين فى صناعة أشياء كثيرة كانت تصنع من قبل من المعدن وقد قل ورودها هذه الأيام وارتفعت أثمانها . فإن النجفة التى تحمل المصابيح الكهربائية سواء منها المعلقة أو القائمة تصنع الآن من الخشب صنعا أنيقا . ويمكن اتخاذ أشكال مختلفة يحسنها النجارون عندنا لذوقهم فى الخرط . والنجفة التى قد يبيع ثمنها عشرة جنيهات يمكن صنع مثلها من الخشب بجنيه أو جنيهين وصحفة الفاكهة التى تصنع من الخشب لفاخر وتطلى بطلاء لائق تزين أثرى الموائد . وفى الإقبال على هذه الأدوات تنشيط لصناعة وطنية كادت تقتلها المزاحمة الأجنبية .

المدارس الشعبية :

تتصافر المجالس البلدية والجامعات وأندية العمل والحكومة فى بريطانيا على إيجاد مدارس شعبية يتعلم فيها العمال . ومعظم هذه المدارس يعمل فى المساء فيما بين الساعة الرابعة والعاشرة وهى تتناول موضوعات ثقافية وفنية يراد بها ترقية العامل لا فى الفن الذى تعلم والذى يعتمد عليه فى تكسبه بل فى فروع أخرى ثقافية لا يحصل عليها غير الذين التحقوا بالجامعات .

ويؤخذ من إحصاء حديث أن هذه المدارس الشعبية تحتوى على نحو ثلاثة آلاف فرقة فى الجزر البريطانية ، وأن ٥٧ فى المائة من المتعلمين يطلبون العلوم الاجتماعية (أى دراسة

الحكومة والاقتصاديات والتطور الاجتماعى والأخلاق الخ) و ٢٦ فى المائة يطلبون الاداب والفنون . و٨ فى المائة يطلبون العلوم المادية والبيولوجية . و ٤ فى المائة يطلبون الفلسفة .

وقد ألقيت فى المدارس فى العام الماضى ٩٧٠ محاضرة عن العلاقات السياسية بين بريطانيا والدول الأخرى . و ٤٥٠ محاضرة عن الموسيقا والمسرح .

والطلبة يحضرون هذه المدارس متطوعين ويؤدون بعض المصروفات الخفيفة أو لا يؤدون شيئا .

الجرذان فى الريف :

يقال إن كل عشرة جرذان تعيش فى الريف تأكل مقدار ما يأكله انسان . وقيمة هذه الحقيقة تبرز بروزا مؤلما عند ما نعرف مقدار ما تستهلكه الجرذان من ثروتنا فى الحقل والمنزل الريفى وخاصة فى الصعيد حيث تكثر زراعة الحبوب . فإن السائر فى بعض الطرق الزراعية فى المديريات العليا يجد الجرذان تتنقل عبر الطريق وهى لا تباليه . وهى تفتك بالحبوب ولا تستنكف من أكل المراعى إذا لم تجد الحبوب .

والفلاح يخزن الحبوب فى الظوامع التى تعجز الجرذان عن الوصول إليها ولكنها لا تترك شيئا آخر يؤكل دون أن تصيبه منه قليل أو كثير . ولكن ليس من المبالغة أن نقول إن هذه الجرذان تستهلك من ثروتنا الزراعية ما تبلغ قيمته الملايين من الجنيهات وأن مكافحتها من الواجبات القومية .

وقد ذكرت احدى المجلات أن الحكومة البريطانية اهتدت إلى جراثيم لوباء تيفوئيدى يصيب الجرذان ويقتلها ، وهى تعدى أحد الجرذان ثم تطلقه . والمظنون أن ٨٠ فى المائة من الجرذان تموت بهذه الحمى . ولكن يبقى بعد ذلك ٢٠ فى المائة لا تؤثر فيها هذه الحمى . وهى تتوالد بسرعة . بل أكثر من ذلك تلد سلالة جديدة قد ورثت مناعة فلا تمرض بهذه الحمى . ولا يزال الجرذ الريفى ينتظر المكافحة الحاسمة .

الخبز الأمثل :

بمناسبة الكلام عن علاء القمح والخبز نرى أن ننقل هنا ما حدث فى المؤتمر السادس لاتحاد الجمعيات الطبية فقد عرض الدكتور على حسن نتائج أبحاثه مع الدكتور محمد عبد السلام فى هذا الموضوع . وخلاصتها : أن الأمم تضطر فى الأزمات إلى صنع الخبز من حبوب قد تختلف قليلا أو كثيرا عن الحبوب التى يستخدمها الشعب فى صنع خبزه العادى . وقد أظهر البحث أن أنجع الطرق لتحسين حال التغذية فى بلد ما هو العمل على تيسير حصول الفقراء

على أطعمة رخيصة طيبة . ولما كان خبز القمح غالى الثمن والحبوب الأخرى الرخيصة لا تصلح وحدها أساسا لصنع الخبز فى المدن فقد رئى أن يحل الإشكال بعمل مخلوط منها ومن القمح بشرط ألا تقل قيمته الغذائية عنها فى خبز القمح . وأجريت تجارب تبين منها أن أحسن مخلوط هو المؤلف من دقيق القمح بنسبة ٥٠ فى المائة . ودقيق الذرة الشامية أو الذرة الرفيعة بنسبة ٤٦ فى المائة . ودقيق الحلبة بنسبة ٤ فى المائة . ويتساوى هذا المخلوط مع دقيق القمح فى صلاحيته للنمو . ولكنه يمتاز من وجوه أخرى . فقد لوحظ أن الحيوانات التى كانت تتغذى به كانت أحسن فراء وأكثر نشاطا من تلك التى كانت تتغذى بالقمح وحده .

حديقة عامة :

كان الثرى الأمريكى المشهور جون روكفيلر قد أسس حديقة خاصة تبلغ مساحتها ٢٠٠ فدان انجليزى فى كليفيلاند (اوهيو) بالولايات المتحدة ، وقد أهداها ابنه للجمهور ، وهذه الحديقة تحتوى على بحيرة تبلغ مساحتها خمسة أفدنة ، وقد هيئت بالمصابيح الكهربائية للتنزه والسباحة فى الصيف وللتزحلق فى الشتاء ليلا ، كما أنها مزودة بعدد من الزوارق ، وإلى جانبها ناد يحتوى على جميع المرافق التى توجد فى أندية الشباب ، وبهذه الحديقة أكثر من ثلاثين ميدانا مختلفا للألعاب مثل التنس وغيره ، وقد فرشت الأرض بالأسفلت فوق أساس من الخرسانة ، ومما يدل القارئ على عناية المؤسس لهذه الحديقة أن عدد العمال الذين يعملون فيها كانوا يبلغون فى بعض الأيام ١٤٠٠ عامل ، وقد حمل اليها تسعة آلاف شجرة غرست فيها على نظام يليق للتنزه صيفا وشتاء ، وحبس عليها وقفا للإنفاق على خدمتها .

طريقان للنجاح :

من المشاهد أن الناجحين الموفقين فى أعمالهم أو البارزين فى المجتمع يتخذون إحدى طريقتين : الأولى وهى أقصى الاثنتين هى طريقة الجد والمثابرة واليقظة والتبصر والمواظبة ، وهى طريقة معبدة مأمونة يعتمد فيها الناجح على أخلاقه أكثر مما يعتمد على ذكائه .

أما الطريق الأخرى فهى طريق الإلهام ، فهناك الناجح الذى يصغى إلى حديث نفسه فاذا خطر له خاطر هب إلى تحقيقه ولم ينتظر حتى تبرد حماسته ويفتر نشاطه .

والفريق الأول لا يثق بهذه الطريقة ، ولكن ليس هناك شك فى أن بعض خواطرنا هى الصلة بين العقل الباطن والعقل الظاهر ، وهى لا تثب إلى وجداننا إلا لأنها ترددت فى غموض من وقت لآخر ، وهذا التردد لم ينشأ إلا ثمرة للاختبارات الشخصية السابقة ، فهى

ليست طارئة جزافا ، ولذلك ينبغى على كل من ينشد النجاح ألا يهمل هـذه الخواطر وألا يسرف فى التبصر إلى حد قمعها .

والنجاح العادى يعود إلى المثابرة والمواظبة والجد أى إلى الأخلاق ، ولكن النجاح العظيم نجاح الابتكار والاختراع والإبداع يعود إلى هـذه الخواطر التى تلتمع فى أذهاننا من وقت لآخر .

التعاون :

ألفت أول شركة أو جمعية للتعاون قبل مائة سنة فى مدينة صناعية صغيرة فى شمال انجلترا تدعى روتشـديل ، وكان الباعث على تأليفها غلاء الأقوات ، فإن العمال اجتمعوا وأسسوا حانوتا يشترون منه بأثمان السوق ولكن الربح يعود على هؤلاء العمال المشترين أو يضاف إلى رأس المـال للتوسع .

ومن هذه البذرة الأولى أصبح عدد الأعضاء فى جمعيات التعاون الانجليزية ثمانية ملايين عضو ، والحركة المـالية الثانوية فيها تزيد على ٢٧٠ مليون جنيه وعدد الجمعيات ٨٠٠

وحركة التعاون تنتشر فى جميع أنحاء العالم المتمدن ، وهى مستقلة لا شأن للحكومات بها ، وقد أدت أعظم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية بل أحيانا التعليمية فى الهند واليابان كما فى ألمـانيا وبريطانيا .

وفى مصر تساعد الحكومة الجمعيات التعاونية ، ولكن الانسان يشك فى قيمة هـذه المساعدة ، فإنها من ناحية أضعفت روح الاستقلال عند هذه الجمعيات ومن ناحية أخرى أوجدت لها تلك العراقيل « البيروقراطيـة » التى تلازم كل عمـل حكومى ، وقد يتساءل انسان هنا أيهما كان أنفع للجمعيات التعاونية فى مصر أن يكون لها اتحاد عام يرعى مصالحها فى استقلال و يطالب بامتيازات لها ، أو أن تتولى الحكومة رعايتها مع ما تقتضى هذه الرعاية من تدخل يجعل الاستقلال معدوما .

ثم يجب أن نزيد على هـذه الاعتبارات ما قلناه مرارا ، وهو أن جمعيات التعاون الزراعية فى مصر يجب أن تجعل تأمين المـاشية أساس وسبب وجودها .

صناعتنا :

منذ سنة ١٩٣٠ حين تقرر تنقيح المكوس الجمركية بحيث يمكن أن يساعد هذا التنقيح الصناعات الناشئة فى مصر انتشر كثير من هذه الصناعات أهمها :

(١) الغزل والنسج للقطن والكتان والحرير والصوف .
(٢) دبغ الجلود .

(٣) الصناعات المعدنية .

(٤) الصناعات الميكانيكية والكهربائية .

(٥) الأثاث .

(٦) العقاقير الطبية .

(٧) مواد البناء .

(٨) الصناعات الكيماوية .

(٩) البلاط والفخار والقيشانى .

(١٠) المواصلات النهرية والجوية .

وهذه الصناعات قد فتحت أبواب الرزق لالاف العمال المصريين فيجب أن نرعاها جميعها بالحماية الجمركية والسلف الصناعية وتيسير وصول المواد الخامة الأجنبية اليها حرة من المكوس كما يجب أن يجد صاحب المصنع التسهيلات التى يحتاج إليها فى إنشاء مصنعه كالحصول على الرخصة مثلا .

متوسط الثروة الزراعية :

مما يؤسف له كثيرا أن متوسط مايصيب كل مصرى من الأرض الزراعية يأخذ فى النقص عاما بعد آخر كما ترى من الارقام التالية :

كان متوسط مايصيب المصرى سنة ١٨٩٧ يبلغ ٢١ قيراطا

« « « « « « ١٩٠٧ « ١٨ «

« « « « « « ١٩١٧ « ١٧ «

« « « « « « ١٩٢٧ « ١٤ «

« « « « « « ١٩٣٧ « ١٠ قراريط

والمغزى الواضح من هذه الأرقام أن السكان يزيدون والأرض لا تزيد، وهذا مع العلم بأن عندنا نحو مليون فدان من البحيرات التى يمكن تجفيفها ، وعندنا من الصحارى التى يمكن استغلالها بإيصال المياه اليها ما يبلغ هذه المساحة .

وليس شك فى أن الصناعات الجديدة تستوعب عددا كبيرا من العمال، ولولاها لعمنا القحط ولكن انتشار الصناعة يجب ألا يلهينا عن الرقى الزراعى وزيادة المساحة الزراعية كل عام .

الإصلاح الزراعى :

ذكرت التلغرافات فى الشهر الماضى أن الشيخ عبد المجيد أحمد وزراء حكومة كراشى قد وضع " مشروع السنوات الخمس " لتزويد كل فلاح بفدانين وبقرة واثنتى عشرة شجرة فواكه .

وهذا الخبر هو أحد الأخبار الكثيرة عن المجهود الذى تبذله كل أمة لإحياء زراعتها وتزويد الفلاح . ففى رومانيا والمكسيكا وبولونيا وبروسيا وايطاليا وزعت الأرض على الفلاحين بعد ان استصلحت وأعطى الفلاح مع الأرض البذور والماشية بل أحيانا بنى له المنزل الذى سيقيم فيه هو وعائلته ، والزراعة هى أولى الصناعات الانسانية ، وهى تعمل للاستقرار والثبات . فالأمة التى تخشى الاضطرابات الاجتماعية يجب أن تعنى العناية الكبيرة بالزراعة حتى تقيها من التزعزع أمام العواصف .

وفى مصر حيث متوسط ما يصيبه المصرى عامة ١٠ قراريط لا يمكن أن نفكر فى مثل هذا الإصلاح . ولكن بتجفيف البحيرات وإصلاح بعض الصحارى المتاخمة للوادى يمكن توفير نحو مليونى فدان تزيد الإنتاج العام وترفه عن الفلاحين المزدحمين .

والزراعة بعد كل ذلك معيشة وليست حرفة فقط . وهى معيشة الصحة والاطمئنان والقناعة .

بناء المنازل :

كان متوسط ما يبنى فى انجلترا قبل الحرب نحو ألف بيت جديد كل يوم . وكان الانجليز يعتمدون — حكومة وأمة — ببناء المنازل وبيعها لعائلات العمال بأثمان منخفضة قد تحملت الحكومة قسما من تكاليفها أو أقرضت هيئات مختلفة قروضا بلا فائدة لبنائها .

والسبب فى هذا الاهتمام ببناء المنازل الجديدة أن المسكن الصحى الذى توافرت فيه وسائل الصيانة ووجدت الشمس مكانا فى غرفه هو خير مايقى الناس من الأمراض . كما أنه من الناحية الاجتماعية يعين على ايجاد العائلة السعيدة التى تغرى أعضاءها بالبقاء والاجتماع فيه .

ولكن عناية الحكومة البريطانية لم تقتصر على تشجيع حركة البناء فحسب بل اتجهت أيضا إلى تشجيع حركة الامتلاك ! فان العامل يؤدى قسطا شهريا أو أسبوعيا لا يزيد على مقدار الايجار إلا قليلا وبعد سنوات يصبح المنزل ملكه الخاص . ويرى الاجتماعيون أن الشخص الذى يملك عقارا ويؤلف عائلة هو أبعد الناس عن الجريمة ، لأنه يرتبط بالمجتمع ويأخذ باعتباراته ويحترم عاداته ويجد فى الاستقرار العام مصلحته الخاصة .